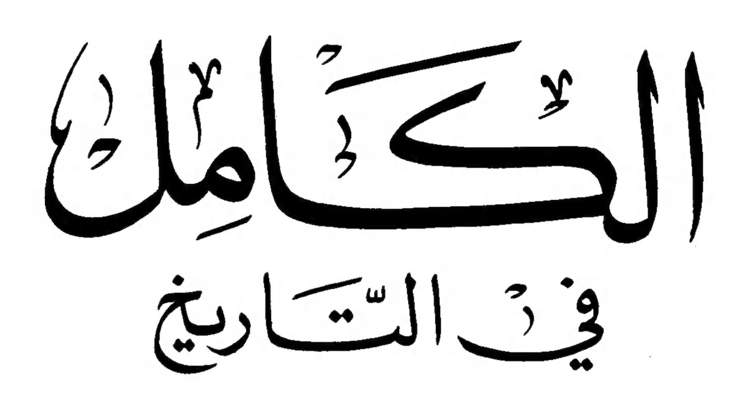


تأليف

المؤرخ عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد
أبي عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف بابن الأثير
(٥٥٥ - ٦٣٠ هـ)

حققه واعتنى به

الدكتور عمر عبد السلام تدمري
أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية
عضو الهيئة العربية العليا لإعادة كتابة تاريخ الامة
في اتحاد المؤرخين العرب

الجزء الأول
تاريخ الرسل والأنبياء

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الكامل في التاريخ

ISBN: 978-9953-27-014-2

الناشر

DAR AL KITAB AL ARABI

دار الكتاب العربي

Verdun St., Byblos Bank Bldg.,
8th, floor, P.O. Box 11-5769
Beirut 1107 2200 Lebanon

شارع فردان، بناية بنك بيبلوس،
الطابق الثامن، ص. ب. 11-5769
بيروت 1107 2200 لبنان

Tel (+961 1) 800811 - 862905 - 861178 هاتف
Fax (+961 1) 805478 فاكس

daralkitab@idm.net.lb بريد إلكتروني
academia@dm.net.lb

www.kitabalarabi.com
www.academiainternational.com



الكامل
في التاريخ



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله القديم فلا أوّل لوجوده، الدائم الكريم فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده، الملكِ حقاً فلا تُدرك العقولُ حقيقةَ كُنْهه[1]، القادرِ فكلّ ما في العالم من أثرِ قُدْرَته، المقَدَّسِ فلا تقرب الحوادث[2] حماه، المنزَّهِ عن التغيير[3] فلا ينجو منه سواه، مُصَرِّفِ[4] الخلائق بين رَفْعٍ وخَفضٍ، وبَسْطٍ وقَبْض، وإبرام ونقض، وإماتةٍ وإحياء، وإيجادٍ وإفناء، وإسعادٍ وإضلال، وإعزازٍ وإذلال، يؤتي المُلْكَ مَنْ يشاء، وينزعه ممّن يشاء، ويُعزّ مَنْ يشاء، ويُذلّ مَن يشاء، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير[5]، مبيد القرون السالفة، والأمم الخالفة، لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلاً وحِرْزاً فـ ﴿**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً**﴾[6]، بتقديره النفع والضرّ، و﴿**لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ**﴾[7].

أحمدُهُ على مَا أَوْلى من نِعَمه، وأجزل للناس[8] من قسمه، وأصلّي على رسوله محمدٍ سيدِ العرب والعجم، المبعوث إلى جميع الأمم، وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظُّلَم. صلّى الله عليه وعليهم وسلّم.

أمّا بعد، فإنّي لم أزل محبّاً لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها، مؤثراً للإطّلاع على الجليّ من حوادثها وخافيها، مائلاً إلى المعارف والآداب والتجارب المودَعَة في مطاويها، فلمّا تأمّلتُها رأيتُها متباينةً في تحصيل الغَرَض، يكاد جوهرُ المعرفة بها يستحيل

---

(١) في نسخة كلية تايلور (مملكته). وسأرمز إليها بحرف (ت). وفي نسخة راولنسن (حقائق المملكة) وسأرمز إليها بحرف (ر).

(٢) في مخطوطة برلين (الخواطر). وسأرمز إليها بحرف (ب).

(٣) في (ر) التغير.

(٤) في (ت) متصرف.

(٥) اقتباس من آل عمران/٢٦.

(٦) مريم/٩٨.

(٧) الأعراف/٥٤.

(٨) في ت وب (لنا) وفي ر (وأجزل له).

إلى العَرَض، فمن بين مُطَوِّلٍ قد استقصى الطُرُقَ والروايات، ومُخْتَصِرٍ قد أخلّ بكثيرٍ ممّا هو آت، ومع ذلك فقد ترك كلُّهم العظيم من الحادثات، والمشهور من الكائنات. وسوّد كثيرٌ منهم الأوراقَ بصغائر الأمور التي الإعراضُ عنها أولى، وتركُ تسطيرها أحرى، كقولهم خلع فلان الذمّي صاحب[1] العيار، وزاد رطلاً في الأسعار، وأُكرم فلان؛ وأُهين فلان، وقد أرّخ كُلٌّ منهم إلى زمانه وجاء بعده مَنْ ذَيّلَ عليه، وأضاف المتجدّدات بعد[2] تاريخه إليه. والشرقيّ منهم قد أخلّ بذكر أخبارِ الغرب[3]، والغربيّ قد أهمل أحوال الشرق؛ فكان الطالبُ إذا أراد أن يُطالع تاريخاً متَّصلاً إلى وقته يحتاج إلى مجلَّدات كثيرة وكتبٍ متعدّدة[4] مع ما فيها من الإخلال والإملال.

فلمّا رأيتُ الأمر كذلك شرعتُ في تأليف تاريخٍ جامعٍ لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرةً لي أراجعُه خوفَ النسيان، وآتي فيه بالحوادث والكائنات من أوّل الزمان، متتابعةً يتلو بعضها بعضاً إلى وقتنا هذا.

ولا أقولُ إني أتيتُ على جميع الحوادث المتعلّقة بالتاريخ، فإنّ مَنْ هو بالموصل[5] لا بدّ أن يشذّ عنه ما هو بأقصى[6] الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعتُ في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومَنْ تأمّله علم صحّة ذلك.

فابتدأتُ بالتاريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبريُّ[7] إذ هو الكتابُ المعوَّلُ عند الكافة عليه، والمرجوعُ عند الاختلاف إليه، فأخذتُ ما فيه من جميع

---

(١) في ر (خلع على فلان الذي كان صاحب).
(٢) في الأصل «بعض».
(٣) في ر (أحوال الغرب).
(٤) في الأصل «عديدة».
(٥) بلد المؤلّف.
(٦) في ر (ما يتجدّد بأقصى).
(٧) هو المؤرّخ المشهور محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ. وكتابه هو: «تاريخ الرسل والملوك»، حقّقه «محمد أبو الفضل إبراهيم» ونشرته دار المعارف بمصر في ١٠ مجلّدات.
أنظر ترجمة الطبري في: الفهرست لابن النديم ١/٢٣٤، تاريخ بغداد للخطيب ٢/١٦٢، معجم الأدباء ١٨/٤٠، المنتظم لابن الجوزي ٦/١٧٠، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/٧٨ رقم ٨، إنباه الرواة للقفطي ٣/٨٩، اللباب لابن الأثير ٢/٨١، وفيات الأعيان لابن خلّكان ٤/١٩١ رقم ٥٧٠، تذكرة الحفّاظ للذهبي ٢/٢٥١، ميزان الاعتدال ٣/٤٩٨، دول الإسلام ١/١٨٧، العبر ٢/١٤٦، طبقات الشافعية للسبكي ٢/١٣٥، البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٤٥، الوافي بالوفيات للصفدي ٢/٢٨٤ رقم ٧٢٠، لسان الميزان لابن حجر ٥/١٠٠، غاية النهاية لابن الجزري ٢/١٠٦، الوفيات لابن قنفذ ٢٠٣، شذرات الذهب ٢/٢٦٠، طبقات المفسّرين للداودي ٢/١٠٦ رقم ٤٦٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٦، معرفة القراء الكبار ١/٢١٣، طبقات المفسّرين للسيوطي ٣٠، مرآة الجنان لليافعي ٢/٢٦١، المقفّى للمقريزي =

تراجمه، لم أخلّ[1] بترجمة واحدة منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عددٍ، كلّ رواية منها مثلُ التي قبلها أو أقلّ منها، وربّما زاد الشيءَ اليسير أو نقصه[2]، فقصدتُ أتمّ الروايات فنقلتُها وأضفتُ إليها من غيرها ما ليس فيها، وأودعتُ كلّ شيء مكانه، فجاء جميعُ ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً على ما تراه.

فلمّا فرغتُ منه أخذتُ غيره من التواريخ المشهورة فطالعتُها وأضفتُ منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه، ووضعتُ كلّ شيء منها موضعه، إلّا ما يتعلّق بما جرى بين أصحاب[3] رسول الله ﷺ، فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً، إلّا ما فيه زيادةُ بيانٍ، أو اسم إنسان، أو ما لا يُطعن[4] على أحد منهم في نقله، وإنّما اعتمدتُ عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقنُ حقّاً، الجامعُ علماً وصحّة اعتقاد[5] وصدقاً.

على أني لم أنقل إلّا من التواريخ المذكورة، والكتب المشهورة، ممّن يُعلم بصدقهم فيما نقلوه، وصحّة ما دوّنوه، ولم أكن كالخابط[6] في ظلماءِ الليالي، ولا كمن يجمع الحصباء واللآلي[7].

ورأيتهم أيضاً يذكرون الحادثة الواحدة في سنين، ويذكرون منها في كلّ شهر أشياء، فتأتي الحادثةُ[8] مقطّعة لا يُحصلُ منها على غرض، ولا تُفهم إلّا بعد إمعان النظر. فجمعتُ أنا الحادثة في موضع واحد وذكرتُ كلّ شيء منها في أيّ شهر أو سنة كانت، فأتت متناسقة متتابعة، قد أخذ بعضُها برقاب بعض.

وذكرتُ في كلّ سنةٍ لكلّ حادثة كبيرة مشهورة ترجمةً تخصّها. فأمّا الحوادثُ

= ١٨٢/١، روضات الجنّات للخوانساري ١٦٣، فهرسة ابن خير، النجوم الزاهرة ٢٠٥/٣، مفتاح السعادة لطاشكبري زاده ٢٠٥/١ و٤١٥، تنقيح المقال للمامقاني ٩٠/٢، كشف الظنون ٣٣ و٤٢ و٢٩٧ و٤٣٧ و٥١٤ و٥٧٦ و١٠٤٦ و١٤٢٩ و١٤٤٩، إيضاح المكنون ٣١٨/٢ و٣٥٢، هدية العارفين ٢٦/٢، كنوز الأجداد لمحمد كرد علي ١١٧ ـ ١٢٣، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٥٠٦/١، الأعلام للزركلي ٢٩٤/٦، معجم المؤلّفين لكحّالة ١٤٧/٩، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ٥١٨/١ رقم ٣٢ وانظر مقدّمة محمد أبو الفضل إبراهيم في المجلّد الأول الذي حقّقه من تاريخه ١٩٦٠، وستأتي ترجمته في هذا الكتاب في موضعها.

(١) في ت، ب (أخذ).

(٢) في الأصل و (ر) بعضه.

(٣) في ر (من أصحاب).

(٤) في ت، ب (طعن) وفي ر (مطعن).

(٥) في الأصل (اعتقاداً).

(٦) في الأصل و (ر): كالحاطب.

(٧) في (ر): بجمع من بين الحصباء واللآلي.

(٨) في (ر) الحادثة الواحدة.

الصغار التي لا يحتملِ منها كلّ شيء ترجمة فإنّني أفردتُ لجميعها ترجمةً واحدةً في آخر كلّ سنة[1]، فأقول: ذِكْر عدة حوادث. وإذا ذكرتُ بعض من نَبَغ ومَلَكَ قُطراً من البلاد ولم تطل أيّامه فإني أذكر جميع حاله من أوّله إلى آخره، عند ابتداء أمره، لأنّه إذا تفرق خبره لم يُعرف للجهل به.

وذكرتُ في آخر كلّ سنةٍ مَنْ توفّي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفُضلاء. وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط المختلفة في اللّفظ الواردة فيه بالحروف ضبطاً يزيل الإشكال، ويُغني عن الإنقاط[2] والأشكال[3].

فلمّا جمعتُ أكثره أعرضتُ عنه مدّةً طويلة لحوادث تجددت، وقواطع توالت وتعدّدت، ولأن معرفتي بهذا النوع كملت وتمت.

ثمّ إن نفراً من إخواني، وذوي المعارف والفضائل من خُلّاني، ممّن أرى محادثتهم نهاية أوطاري، وأعدّهم من أماثل مُجالسيَّ[4] وسُمّاري، رغبوا إليّ في أن يسمعوه مني، ليروُوه[5] عني؛ فاعتذرت بالإعراض عنه وعدم الفراغ منه، فإنّني لم أعاود مطالعة مسوَّدته ولم أصلح ما أصلح[6] فيها من غلط وسهو، ولا أسقطتُ منها ما يحتاج إلى إسقاط ومحو. وطالت المراجعة مدّةً وهم للطلب ملازمون، وعن الإعراض مُعرضون، وشرعوا في سماعه قبل إتمامه وإصلاحه، وإثبات ما تمسّ الحاجة إليه وحذف ما لابدّ من اطّراحه، والعزمُ على إتمامه فاترٌ، والعجز ظاهرٌ[7]، للاشتغال بما لا بدّ منه، لعدم المُعينِ والمُظاهر؛ ولهموم توالت، ونوائبَ تتابعتْ، فأنا ملازمُ الإهمال والتواني، فلا أقول: إني لأسير إليه سير الشواني[8].

فبينما الأمر كذلك إذ برز أمرُ مَنْ طاعتُه فرضٌ واجب، واتّباع أمره حكمٌ لازب، مَنْ

---

(١) في الأصل (كبيرة).
(٢) في الأصل (الإيقاظ).
(٣) إضافة من نسختي: ت و ب.
(٤) في ب (جلسائي).
(٥) في ر (لينقلوه).
(٦) إضافة من نسختي: ب، ر.
(٧) العبارة في الأصل مضطربة «والعزم على إتمامه فاتر والعجز ظاهر».
(٨) في الأصل «التواني»، والشواني: جمع شونة، أوشيني. وهي أقدم أنواع السفن. قال الزبيدي في التاج: الشونة: المركب المُعَدّ للجهاد في البحر. وجاء في المستدرك: الشين المركب الطويل. وقد ظلّ اسم شيني متداولاً في الملاحة حتى أيّام الدولة العثمانية. (البحرية في مصر الاسلامية للدكتورة سعاد ماهر - ص ٣٥٢، ٣٥٣ رقم ٨٧ - طبعة دار الكاتب العربي بمصر) ووردت في النسخة (ر): الواني.

أعلاقُ الفضل بإقباله عليها[1] نافقة، وأرواح الجهل بإعراضه عنها نافقة[2]؛ مَنْ أحيا المكارمَ وكانت أمواتاً، وأعادها خَلْقاً جديداً بعد أن كانت رُفاتاً؛ مَنْ عَمّ رعيّتَه عدلُه ونوالُه، وشملهم إحسانُه وإفضالُه؛ مولانا مالك الملك الرحيم، العالم المؤيَّد، المنصور، المظفر بدر الدين[3]، ركن الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، خلّد الله دولته.

فحينئذ ألقيت عني جلباب المهل، وأبطلت[4] رداء الكسل، وألَقْتُ الدواة وأصلحتُ القلم، وقلت: هذا أوانُ الشدّ فاشتدّي زِيَم، وجعلت الفراغ أهمّ مطلب، وإذا أراد الله أمراً هيّأ له السبب، وشرعتُ في إتمامه مسابقاً، ومن العجب أن السكّيتَ يرومُ أن يجيء سابقاً، ونصبتُ نفسي غَرَضاً[5] للسهام، وجعلتُها مظنّة لأقوال اللّوام، لأنّ المآخذ إذا كانت تتطرّق إلى التصنيف المهذَّب، والاستدراكات تتعلّق بالمجموع المرتَّب، الذي تكرّرتْ مطالعتُه وتنقيحه، وأُجيد تأليفه وتصحيحُه، فهي بغيره أَوْلَى، وبه أحرى، على أنّي مُقرّ بالتقصير، فلا أقول إنّ الغلط سهوٌ جرى به القلم، بل أعترف بأن ما أجهل أكثر ممّا أعلم.

وقد سمّيتُه اسماً يُناسبُ معناه، وهو: **الكامل في التاريخ**.

ولقد رأيتُ جماعة ممّن يدّعي المعرفة والدراية، ويظنّ بنفسه التبحّر في العلم والرواية، يحتقر التواريخ ويزدريها، ويُعرِضُ عنها ويلغيها، ظنّاً منه أنّ غاية[6] فائدتها إنّما هو القَصَصُ والأخبار، ونهايةَ معرفتها الأحاديث والأسمار، وهذه حالُ مَن اقتصَرَ على القشر دون اللبّ نظرهُ، وأصبح مخشلباً[7] جوهره، ومن رزقه الله طبعاً سليماً، وهداه صراطاً مستقيماً، علم أنّ فوائدها كثيرة، ومنافعها الدنيويّة والأخرويّة جمّة غزيرة، وها نحن نذكر شيئاً ممّا ظهر لنا فيها، ونكلُ إلى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها.

فأمّا فوائدها الدنيويّة فمنها: أنّ الإنسان لا يخفى[8] أنّه يحبّ البقاء، ويؤثرُ أن يكون

---

(١) في الأصل «عليه».

(٢) في ب (نافغة) وهو تحريف.

(٣) هو: بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي، الملقّب بالملك الرحيم، صاحب الموصل. توفي سنة ٦٥٧ هـ. (أنظر ترجمته ومصادرها في: الأعلام للزركلي ١١١/٦).

(٤) في الأصل ونسخة ر (أمطت).

(٥) في الأصل «عرضاً».

(٦) في الأصل «انه غاية».

(٧) المخشلب: خرز يُتّخَذُ منه حُليّ، واحدته مخشلبة. (المخصّص لابن سيده).

(٨) في الأصل ونسخة ر (لإخفاء به).

في زمرة الأحياء، فيا ليت شِعري! أيّ فرق بين ما رآه أمس أو سمعه، وبين ما قرأه في الكتب المتضمّنة أخبار الماضين وحوادث المتقدّمين؟ فإذا طالعها فكأنّه عاصرهم، وإذا علمها فكأنّه حاضَرَهم.

ومنها: أن الملوك ومَنْ إليهم الأمرُ والنّهْيُ إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدوَّنةً في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلفٌ عن سلف، ونَظروا إلى ما أعقبت من سوء الذِكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد[1]، وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها، وأعرضوا عنها واطَّرحوها. وإذا رأوا سيرة الوُلاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذِكْر الجميل بعد ذهابهم، وأنّ بلادهم وممالكهم عمرت، وأموالها دَرّت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما يُنافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة[2] التي دفعوا بها مَضرّات الأعداء، وخلصوا بها من المهالك، واستصانوا[3] نفائس المدن وعظيم الممالك. ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً.

ومنها ما يحصلُ للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنّه لا يحدث أمر إلّا قد تقدّم هو أو نظيره، فيزدادُ بذلك عقلاً، ويُصبح لأن يُقتدى به أهلاً. ولقد أحسن القائل حيث يقول شعراً:

رأيتُ العقلَ عقلين فمطبوعٌ[4] ومسموعُ
فلا ينفَعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مَطبوعُ
كما لا تنفعُ الشَّمسُ وضوءُ العينِ ممنوعُ[5]

يعني بالمطبوع العقل الغريزيِ الذي خلقه الله تعالى للإنسان، وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة، وجعله عقلاً ثانياً توسّعاً وتعظيماً له، وإلّا فهو زيادة في عقله الأوّل.

ومنها ما يتجمّلُ به الإنسانُ في المجالس والمحافل من ذكر شيءٍ من معارفها، ونقل طريفة من طرائفها، فترى الأسماع مصغيةً إليه، والوجوه مقبلةً عليه، والقلوب متأمّلةً ما يورده ويصدره، مستحسنةً ما يذكره.

---

(١) في النسخة (ر) خراب الديار.
(٢) في النسخة (ر) الصافية.
(٣) في الأصل و (ر) استضافوا.
(٤) في النسخة (ر): العقل عقلان مطبوع.
(٥) عن الأصل ونسخة (ر).

وأمّا الفوائد الأخرويّة فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلّب الدنيا بأهلها، وتَتَابُعَ نكباتها إلى أعيان قاطنيها، وأنّها سلبت نفوسَهم وذخائرهم، وأعدمتْ أصاغرهم وأكابرهم، فلم تُبْقِ على جليل ولا حقير، ولم يسلم من نكدِها غنيّ ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها، وأقبل على التزوّد للآخرة منها، ورغب في دار تنَزّهتْ عن هذه الخصائص، وسلم أهلُها من هذه النقائص، ولعلّ قائلاً يقول: ما نرى ناظراً فيها زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري! كم رأى هذا القائل قارئاً[1] للقرآن العزيز، وهو سيّد المواعظ وأفصح الكلام، يطلب به اليسير من هذا الحطام؟ فإنّ القلوب مولعة بحبّ العاجل.

ومنها التخلّق بالصبر والتأسّي وهما من محاسنِ الأخلاق. فإنّ العاقل إذا رأى أنّ مصاب[2] الدنيا لم يَسْلم منه نبي مكرَّم، ولا ملك معظَّم، بل ولا أحدٌ من البشر، علم أنّه يصيبه ما أصابهم، وينوبه ما نابهم. شعراً:

وهل أنا إلّا من غَزِيّة إنْ غوَتْ غويتُ وإنْ تَرْشُدْ غزيّةُ أرشُدِ

ولهذه الحكمة وردت القِصَصُ في القرآن المجيد ﴿إنّ في ذَلِكَ لَذِكرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3]. فإن ظنّ هذا القائل أن الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والأسمار فقد تمسّك من أقوال الزيغ[4] بمحكم سببها حيث قالوا: هذه أساطير الأوّلين اكتتبها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلباً عَقولاً ولساناً صادقاً، ويوفّقنا للسّداد في القول والعمل، وهو حسبُنا ونِعم الوكيل.

---

(١) في نسخة (ر): من قارىء.
(٢) في الأصل ونسخة (ر): شر.
(٣) سورة قٓ /٣٧.
(٤) في نسخة (ر) أقوال أهل الزيغ.

ذكر الوقت الذي ابتُدىء فيه بعمل التاريخ في الاسلام

قيل: لما قدِم رسول الله ﷺ، المدينةَ أمر بعمل التاريخ[1]. والصحيحُ المشهورُ أنّ عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ.

وسبب ذلك أنّ أبا موسى الأشعريّ كتب إلى عمر: إنّه[2] يأتينا منك كتبٌ ليس لها تاريخ. فجمع عمر الناس للمشورة، فقال بعضهم: أرِّخْ لمبعث النبيّ، ﷺ. وقال بعضهم: لمهاجرة رسول الله ﷺ. فقال عمر: بل نؤرِّخ لمهاجرة رسول الله ﷺ، فإنّ مهاجرته فَرْقٌ بين الحقّ والباطل؛ قاله الشعبيّ[3].

وقال ميمون بن مهران: رُفع إلى عمر صكّ محِلُّه شعبان فقال: أيّ شعبان؟ أشعبان الذي هو آتٍ[4] أم شعبان الذي نحن فيه؟ ثمّ قال لأصحاب رسول الله ﷺ: ضعوا للناس شيئاً يعرفونه. فقال بعضهم: اكتبوا على تاريخ الروم فإنّهم يؤرّخون من عهد ذي القرنين. فقال: هذا يطول. فقال[5]: اكتبوا على تاريخ الفرس. فقيل: إنّ الفرس كلّما قام[6] ملك طرح تاريخ مَنْ كان قبله. فاجتمع[7] رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الحاكم في الإكليل من طريق ابن جُريج، عن أبي سَلَمَة، عن ابن شهاب الزُهري أن رسول الله ﷺ لما قدِم المدينة أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأول. وهذا مُعْضل. (أنظر الإعلان بالتوبيخ للسخاوي. نشره فرانز روزنتال في: علم التأريخ عند المسلمين - ترجمة د. صالح أحمد العلي - طبعة المثنى ببغداد ١٩٦٣ م - ص ٥٠٧).

(٢) في نسخة (ر) عنه أنه.

(٣) هو عامر بن شراحيل علّامة عصره، وُلد سنة ٢١ ومات سنة ٤٢ هـ. أنظر مصادر ترجمته في كتابنا: الفوائد العوالي المؤرّخة، للتنوخي بتخريج الصوري - ص ٩١ حاشية (١) - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان بطرابلس ١٩٨٥ م.

والخبر في: الإعلان بالتوبيخ للسخاوي - في المرجع السابق - ص ٥٠٨، ٥٠٩.

(٤) في الأصل: أشعبان هو آتٍ.

(٥) في النسختين: ب، ر، إضافة: «بعضهم».

(٦) في الأصل «أقام».

(٧) في نسخة (ر) فأجمع.

بالمدينة، فوجدوه عشر سنين، فكتبوا[1] التاريخ من هجرة رسول الله ﷺ[2].

وقال محمد بن سيرين: قام رجل إلى عمر فقال: أرِّخوا. فقال عمر: ما أرِّخوا؟ فقال: شيء تفعله الأعاجم في شهر كذا من سنة كذا. فقال عمر: حَسَنٌ، فأرِّخوا. فاتفقوا على الهجرة ثمّ قالوا: من أي الشهور؟ فقالوا: من رمضان[3]، ثمّ قالوا: فالمحرّم هو منصرف الناس من حجّهم وهو شهرٌ حرام. فأجمعوا عليه[4].

وقال سعيد بن المسيّب: جمع عمرُ الناس فقال: من أيّ يوم نكتب التاريخ؟ فقال عليّ: من مهاجرة[5] رسول الله ﷺ، وفراقه أرض الشرك. ففعله عمر[6].

وقال عمرو بن دينار: أوّل من أرّخَ يَعْلَى بن َأميّة وهو باليمن[7].

وأمّا قبل الإسلام فقد كان[8] بنو إبراهيم يؤرّخون من نار إبراهيم إلى بُنيان البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، ثمّ أرّخَ بنو إسماعيل من بنيان البيت حتى تفرّقوا، فكان كلّما خرج قومٌ من تهامة أرَّخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرّخون من خروج سعد ونَهْد وجُهَيْنة بني زيد[9] من تِهامة حتى مات كعب بن لُؤَيّ وأرّخوا من موته إلى الفيل، ثمّ كان التاريخ من الفيل حتى أرّخَ عمر بن الخطّاب من الهجرة، وذلك سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة[10].

---

(١) في النسختين: ت، ر (فكتب).
(٢) أنظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ لابن الجوزي ـ تحقيق د. زينب إبراهيم قاروط ـ ص ٦٠ ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٠ م.
(٣) في النسخة (ر): فقالوا: أرمضان.
(٤) أنظر: الإعلان بالتوبيخ ـ المرجع السابق ـ ص ٥١٠، ١١١.
(٥) في النسخة (ب): فقالوا على مهاجر.
(٦) مناقب عمر لابن الجوزي ـ ص ٦٠، الإعلان بالتوبيخ ـ ص ٥١٠.
(٧) أخرجه الحاكم في: المستدرك على الصحيحين ٣/٤٢٤ قال رَوح بن عُبادة، عن زكريا بن إسحاق، عن عمرو بن دينار، قال: كان أوّل من أرّخ الكتب يعلى بن أميّة وهو باليمن، فإنّ النبيّ ﷺ قدِم المدينة في شهر ربيع الأول، وإن الناس أرّخوا لأوّل السنة، وإنّما أرّخ الناس لمقدم النبيّ ﷺ. وانظر: سير أعلام النبلاء ٣/١٠١، قال السخاوي في الإعلان بالتوبيخ ـ ص ٥٠٩: أخرجه أحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى.
(٨) في الأصل «فقد كانوا».
(٩) في النسخة (ر) «بن زيد».
(١٠) قال ابن سعد: أول من كتب التاريخ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة، فكتبه من هجرة النبي ﷺ. (الطبقات الكبرى ٣/٢٨١).

وقد كان كلّ طائفة من العرب تؤرّخ بالحادثات المشهورة[1] فيها، ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم، فمن ذلك[2] قول بعضهم:

ها أنا ذا آمل الخلودَ وقَدْ أدركَ عقلي مولدي[3] حجرًا

وقال الجَعْدِيّ[4]:

فمَن يكُ سائلاً عنّي فإنّي مِنَ الشبّانِ أيّامَ الخُنَانِ[5]

وقال آخر:

وما هي إلاّ في إزار وعلقة بغارِ[6] ابن همّام على حيّ خثعما

وكلّ واحدٍ أرّخ[7] بحادثٍ مشهور عندهم، فلو كان لهم تاريخ[8] يجمعهم لم يختلفوا في التاريخ. والله أعلم.

---

(١) في النسخة (ر): «بالحادث المشهور».

(٢) في الأصل «في ذلك».

(٣) في النسخة (ر): هاندا أملي... ومولدي.

(٤) هو عبد الله بن قيس المعروف بالنابغة الجعدي، ويكنى أبا ليلى، وهو جاهليّ أتى رسول الله ﷺ وأنشده. وهو من المعمَّرين في الجاهلية والإسلام، وكان أسنّ من النابغة الذبياني. وقد قال البيت الآتي للدلالة على طول عمره.

ترجمته في: طبقات ابن سلام ١٠٣ ـ ١٠٩، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٠٨/١ ـ ٢١٤ رقم ٢٧، الأغاني ٥/١ ـ ٣٤ وفيه اسمه على الصحيح «حِبّان بن قيس»، معجم الشعراء للمرزباني ٣٢١ كتاب المعمَّرين للسجستاني، رقم ٦٦، خزانة الأدب، للبغدادي ٥١٢/١، شرح شواهد المغني ٢٠٨، الموشّح ٦٤، الاستيعاب ٥٨١/٣ ـ ٥٩٣، أسد الغابة ١/٤ ـ ٤، الإصابة ٥٣٧/٣ ـ ٥٤٠ رقم ٨٦٣٩، وانظر ديوان شعره الذي جمعته ماريا نللينو.

(٥) في الأصل «الخشان»، وفي طبعة دار صادر عن نشرة المستشرق كارلوس يوهنس تورنبرغ ١٢/١ «الختان»، وهذا غلط، والصحيح ما أثبتناه (بالنون) وضمّ الخاء، على وزن: الغراب، والخُنان هو داء يأخذ الطير في حلوقها وفي العين وزكام للإبل، وزمن الخنان كان في عهد المنذر بن ماء السماء، قال الأصمعيّ: كان الخُنان داءً يأخذ الإبل في مناخرها وتموت منه، فصار ذلك تاريخاً لهم. أنظر: الأغاني ٥/٥، والشعر والشعراء ٢١٢/١ وفي هذا الأخير ورد البيت:

ومن يحرص على كِبَري فإنّي من الشبّان أزمان الخُنَانِ

(٦) في نسخة (ر) معار.

(٧) في نسخة (ر) يؤرّخ.

(٨) في الأصل، ونسخة (ت) التاريخ.

القول في الزمان[1]

الزمانُ عبارة عن ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما. والعربِ تقول: أتيتُك زمانَ الصِّرام؛ وزمان الصِّرام[2] يعنى به وقت الصِّرام. وكذلك: أتيتُك أزمانَ الحجّاج أمير. ويجمعون الزمان يريدون بذلك أنّ كلّ وقتٍ من أوقات إمارته زمنٌ من الأزمنة[3].

القول في جميع الزمان من أوّله إلى آخره[4]

اختلف الناس في ذلك فقال ابن عبّاس من رواية سعيد بن جُبير عنه: سبعة آلاف سنة.

وقال[5] وهب بن مُنَبّه: ستة آلاف سنة.

قال أبو جعفر: والصحيح من ذلك ما دلّ على صحّته الخبرُ الذي رواه ابن عمر عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: أجَلُكم في أجل مَنْ قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس[6].

وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد إلاّ أنّهما قالا إنه قال: إلى غروب الشمس، وبدل صلاة العصر: بعد العصر[7].

وروى أبو هريرة عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: بُعثت أنا والساعةُ كَهَاتَين، وأشار بالسَّبَّابة[8] والوسطى[9].

---

(١) من هنا يبدأ النقل عن تاريخ الطبري باختصار. انظر ١/٩.
(٢) إضافة من نسختي: ب، ت.
(٣) في النسخة (ر): من أوقات أزمانه زمن من.
(٤) قارن بالطبري ١/١٠.
(٥) في الأصل ونسختي: ب، ر: «وقال كعب و».
(٦) الطبري ١/١١.
(٧) في الأصل وردت العبارة: «قالا: إنه عند غروب الشمس، بدل العصر بعد العصر». وانظر الطبري ١/١٢.
(٨) في النسخة (ر): وأشار إلى السبّابة.
(٩) أخرجه البخاري في الرقاق ٣٩ والطلاق ٢٥ وتفسير سورة النازعات، ومسلم في الجمعة ٤٣، والفتن ١٣٢ - =

وروى نحوه جابر بن سَمُرَة[1]، وأنس، وسهل بن سعد، وبُرَيْدَة، والمستورد بن شدّاد، وأشياخ من الأنصار كلّهم عن النبيّ، ﷺ.

وهذه أخبار صحيحة.

قال: وقد زعم اليهود أنّ جميع ما ثُبت عندهم على ما في التوراة من لَدُن خلق آدم إلى الهجرة أربعة الآف سنة وست مئة[2] واثنتان وأربعون سنة.

وقالت اليونانية من النصارى: إن من خلق آدم إلى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسع مئة واثنتين وتسعين سنة وشهراً[3].

وزعم قائل أنّ اليهود إنّما نقصوا[4] من السنين دفعاً منهم لنبوّة عيسى، إذ كانت صفته ومبعثه في التوراة، وقالوا: لم يأتِ الوقتُ الذي في التوراة أنّ عيسى يكون فيه، فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته[5].

قال: وأحسب أنّ الذي ينتظرونه ويدّعون أنّ صفته في التوراة مُثبتة هو الدجّال[6].

وقالت المجوس: إنّ قدر مدّة الزمان من لدُن ملك جُيُومَرْث إلى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك شيئاً[7] يُعرف فوق جُيُومَرْث ويزعمون أنّه هو آدم.

وأهل الأخبار مختلفون فيه، فمن قائل مثل قول[8] المجوس، ومن قائل: إنّه يسمّى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة وإنّه حام[9] بن يافث بن نوح. وكان بارّاً بنوح، فدعا له ولذرّيته بطول العمر، والتمكين في البلاد، واتصال الملك، فاستُجيبَ له. فملك جُيُومَرْث وولده الفرسَ. ولم يزل الملك فيهم إلى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم

= ١٣٥، وابن ماجة في المقدّمة ٧، والفتن ٢٥، والدارمي في الرقاق ٤٦، ومسند أحمد ٣/ ١٢٤ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٩٣، و ٢٣٧ و ٢٧٥ و ٢٨٣ و ٣١٩ و ٤/ ٣٠٩ و ٥/ ٩٢ و ١٠٣ و ١٠٨.

(١) في نسخة (ر): سلمة، وهو غلط.

(٢) في الأصل: «أربعة آلاف سنة وثلاثمائة»، والتصحيح من النسخ الأخرى، وتاريخ الطبري ١/ ١٧.

(٣) في النسخة (ر): وأشهر.

(٤) في النسخة (ر): وزعم قائل هذا أن اليهود دائماً نقصوا.

(٥) الطبري ١/ ١٨.

(٦) في الأصل: ويدعون صفته في التوراة هو الدجال.

(٧) في تاريخ الطبري ١/ ١٨ «نسباً» بدل «شيئاً».

(٨) في النسخة (ت)، (ب): يقول.

(٩) في تاريخ الطبري ١/ ١٨ «جامر».

على ملكهم. ومن قائل غير ذلك؛ كذا قال أبو جعفر[1].

قلت: ثمّ ذكر أبو جعفر بعد هذا فصولاً تتضمّن الدلالة على حدوث الأزمان والأوقات[2]، وهل خَلَق الله قبل خلق الزمان شيئاً أم لا[3]؟ وعلى فناء العالم وأن لا يبقى إلّا الله تعالى[4]، وأنّه أحدث كلّ شيء[5]، واستدلّ على ذلك بأشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لا سيما المختصرات منه، فإنّه بعلم الأصول أَوْلى. وقد فرغ المتكلّمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى.

(بُرَيْدَة: بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره هاء)[6].

---

(١) الطبري ١/١٨، ١٩.
(٢) الطبري ١/٢٠.
(٣) الطبري١/٢٢.
(٤) الطبري ١/٢٧.
(٥) الطبري ١/٢٨.
(٦) ما بين القوسين ليس في الأصل، والاستدراك عن النسختين: ب، ت.

القول في ابتداء الخلق وما كان أوله[1]

صحّ في[2] الخبر عن رسول الله ﷺ، فيما رواه عنه عُبادة بن الصامت أنّه سمعه يقول: إنّ أوّل ما خلق الله تعالى القلم، وقال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن[3]. وروي نحو ذلك عن ابن عبّاس[4].

وقال محمد بن إسحاق: أوّل ما خلق الله تعالى النورَ والظُلْمة، فجعل الظُلْمة ليلاً أسود، وجعل النور نهاراً أبيض مضيئاً. والأوّل أصحّ للحديث، وابن إسحاق لم يُسند قولَه إلى أحد.

واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أوّل ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ وأجاب بأنّ هذا الحديث إنْ كان صحيحاً فقد رواه شُعْبَةُ أيضاً عن أبي هاشم ولم يقل فيه: إنّ الله كان على عرشه، بل روى[5] أنّه قال: أوّل ما خلق الله القلم[6].

---

(١) عن الطبري ١/٣٢.

(٢) عن الأصل ونسخة (ر).

(٣) رواه ابن أبي عاصم النبيل في السُّنّة ١/٤٨ ـ ٥٠، والأوائل ٢٥ رقم ١ و٢، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/٣١٧، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٦)، وابن الأثير في جامع الأصول ٤/١٨، والخطيب التبريزي في المشكاة ٩٤، ومحاضرة الأوائل ٨، والسيوطي في الوسائل ٢،وأبو نعيم في الحلية ٨/١٨١. والديار بكري في تاريخ الخميس ١/١٩.

(٤) الطبري ١/٣٤.

(٥) بل، ليست في الأصل، والاستدراك عن النسخ الأخرى.

(٦) الطبري ١/٣٤، ٣٥.

القول فيما خُلِق بعد القلم[1]

ثمّ إنّ الله خلق، بعد القلم وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، سحاباً رقيقاً، وهو الغمام الذي قال فيه النبيّ، ﷺ، وقد سأله أبو رَزين العقيلي: أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال: في غمام ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثمّ خلق عرشه على الماء. وهو الغمام الذي ذكره الله في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أنْ يَأتِيهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ﴾[2].

قلتُ: هذا فيه نظر[3]، لأنّه قد تقدّم أنّ أوّل ما خَلَقَ الله تعالى القلم وقال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة. ثمّ ذكر في أوّل هذا الفصل أنّ الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سحاباً، ومن المعلوم أنّ الكتابة لا بدّ فيها من آلة يُكتبُ بها، وهو القلم، ومن شيء يُكتبُ فيه، وهو الذي يُعبَّر عنه ههنا باللوح المحفوظ. وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم، والله أعلم.

ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنّه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة.

ثمّ اختلف العلماءُ فيمن خَلَقَ الله بعد الغمام، فروى الضحّاك بن مُزاحم[4] عن ابن عبّاس: أوّلُ ما خلق الله العرشَ، فاستوى عليه.

وقال آخرون: خلق الله الماءَ قبل العرش، وخلق العرش فوضعه على الماء؛ وهو قول أبي صالح عن ابن عبّاس، وقول ابن مسعود، ووهب بن مُنَبّه[5].

وقد قيل: إنّ الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي، ثمّ العرش، ثمّ الهواء، ثمّ الظُّلمات، ثمّ الماء فوضع العرش عليه.

قال: وقول من قال: إنّ الماء خُلِقَ قبل العرش، أولى بالصواب لحديث أبي رَزين عن النبيّ، ﷺ، وقد قيل: إنّ الماء كان على مَتْنِ الريح حين خلق العرش؛ قاله سعيد بن جُبير عن ابن عبّاس، فإنْ كان كذلك فقد خُلقا قبل العرش.

وقال غيره: إنّ[6] الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئاً بألف عام.

---

(١) الطبري ١/٣٧.

(٢) البقرة/٢١٠.

(٣) في الأصل «قلت فيه نظر».

(٤) في الأصل «فروى الضحاك عن ابن مزاحم»، والتصويب عن الطبري.

(٥) الطبري ١/٣٩.

(٦) في النسخة (ر): وقال ضمرة إن.
وأقول: إن ما ورد في النسخة المذكورة يتفق مع الطبري ١/٤١.

واختلفوا أيضاً في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والأرض، فقال[1] عبد الله بن سلام، وكعب، والضحّاك، ومُجاهد: ابتداء الخلقِ يوم الأحد.

وقال محمد بن إسحاق: ابتداء الخلق يوم السبت. وكذلك قال أبو هريرة.

واختلفوا أيضاً فيما خَلَقَ كلّ يوم، فقال عبد الله بن سلام: إنّ الله تعالى بدأ الخلق[2] يوم الأحد، فخلق الأرضين يوم الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات يوم الخميس والجمعة، ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم، عليه السلام، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة[3].

ومثله قال ابن مسعود وابن عبّاس من رواية أبي صالح، عنه، إلّا أنّهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة.

وقال ابن عبّاس من رواية عليّ بن أبي طلحة عنه: إنّ الله تعالى خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها، ثمّ استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبعَ سموات، ثمّ دحا الأرض بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[4] وهذا القول عندي هو الصواب.

وقال ابن عبّاس أيضاً، من رواية عِكْرِمة عنه: إنّ الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثمّ دُحيت الأرض من تحت البيت[5].

ومثله قال ابن عمر[6].

وروى السُّدّيُّ[7] عن أبي صالح، وعن أبي مالك عن ابن عبّاس، وعن مُرّة الهَمْداني، وعن ابن مسعود في قوله تعالي: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾[8]، قال: إنّ[9] الله عزّ وجلّ كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئاً ممّا خلق[10] قبل الماء. فلمّا أراد أن يخلق الخَلق أخرج من الماء

(١) في الأصل «وقال».
(٢) في الأصل «قبل».
(٣) الطبري ١/٤٧.
(٤) النازعات/٣٠.
(٥) الطبري ١/٤٩.
(٦) في الأصل «عمرو».
(٧) في الأصل «السري»، والتصويب من الطبري ١/٥٢.
(٨) البقرة/٢٩.
(٩) في النسخة (ر): قالا إن.
(١٠) في الأصل «شيئاً غير ما خلق». وهو يتفق مع لفظ الطبري ١/٥٢.

دُخاناً، فارتفع فوق الماء، فسما عليه، فسمَّاه سماءً، ثمّ أيبس الماء دُخانـاً، فارتفـع فوق الماء، فسما عليه، فسمَّاه سماءً، ثمّ أيبس الماء فجعله أرضاً واحدةً، ثمّ فَتَقَهـا فجعلها[1] سبـع أرضين في يومين: يـوم الأحد ويـوم الاثنين. فخلق الأرض على حـوت، والحـوت النون الذي ذكـره الله تعالى في القـرآن في قولـه: ﴿ن والقَلَمِ﴾[2]، والحوت في المـاء، والماء على ظهر صَفَاة، والصفاة على ظهـر مَلَك، والمَلَكُ على صخرة، والصخـرة في[3] الـريـح، وهي الصخـرة التي ذكـرهـا لقمـان ليست في السمـاء ولا في الأرض، فتحـرّك الحوتُ، فاضطربت وتزلزلت الأرضُ، فأرسى عليها الجبال فَقَرّتْ. والجبال[4] تفخـر على الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا في الأرْضِ رَوَاسِيَ أنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾[5].

قـال ابن عبّاس والضحّـاك، ومجاهـد، وكعب، وغيرهم: كـل يوم من هـذه الأيـام الستة التي خلق الله فيها السماء والأرض كألف سنة[6].

قلتُ: أمّـا مـا ورد في هـذه الأخبـار من أنّ الله تعـالى خلق الأرض في يـومٍ كـذا والسماء في يوم كذا، فإنّمـا هو مجاز، وإلّا فلم يكن ذلك الـوقت أيام وليـال، لأنّ الأيّام عبارة عمّا بين طلوع الشمس وغروبها، والليالي عبارة عمّا بين غروبها وطلوعها، ولم يكن في ذلك الوقت سماء ولا شمس. وإنّما المراد به أنّـه خلق كلّ شيء بمقـدار يوم، كقـوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وعَشِيّاً﴾[7] وليس في الجنّة بُكرة وعشيّ.

(سَلام: والدُ عبد الله، بتخفيف اللام).

القول في الليل والنهار أيّهما خُلق قبل صاحبه[8]

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الأشياء قبـل خلق الأوقات، وأنّ الأزمنـة[9] والأوقات إنما هي[10] ساعاتُ الليل والنهار، وأنّ ذلك إنّما هو قطع الشمس والقمر درجات الفَلَك.

---

(١) في الأصل «فجعل».
(٢) أول سورة القلم.
(٣) هكذا في الأصل وغيره، وفي النسخة ب، والطبري «على».
(٤) في تاريخ الطبري «فالجبال».
(٥) الأنبياء/٣١.
(٦) الطبري ١/٥٦، ٥٧.
(٧) مريم/٦٢.
(٨) العنوان عن الطبري ١/٦١.
(٩) في الأصل «وبيان الأزمنة».
(١٠) في النسخة (ر): وبيان الأزمنة والأوقات إنما هو.

فلْنذكر الآن بأيّ ذلك كـان الابتداء، أبـالليل أم بـالنهار؟ فـإنّ العلماء اختلفـوا في ذلك، فإنّ بعضهم يقول: إنّ الليلَ خُلق قبل النهار؛ ويستدلّ على ذلك بأنّ النهار من نور الشمس فإذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أنّ النهار، وهو النور، وارد على الـظُلْمة التي هي الليل. وإذا لم يرد نـور الشمس كان الليـل ثابتـاً، فدَلّ ذلـك على أنّ الليل هـو الأوّل؛ وهذا قول ابن عبّاس[1].

وقال آخرون: كان النهار قبل الليل. واستدلّوا بأنّ[2] الله تعالى كـان ولا شيءَ معه، ولا ليلَ ولا نهار، وأنّ نوره كان يضيءُ به كلّ شيء خلقه حتى خلق الليل[3].

قال ابن مسعود: إنّ ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهارٌ. نورُ السمواتِ من نور وجهه.

قال أبو جعفر[4]: والأوّل أولى بالصواب للعلّة المذكورة أوّلاً، ولقوله تعالى: ﴿أأنْتُمْ **أشَدُّ خَلْقاً أم السَّماءُ بَناها، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّاهَا، وأغْطَشَ لَيْلَهَا وأخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾[5] فبـدأ بالليل قبل النهار.

قال عبيد بن عمير[6] الحارثي[7]: كنتُ عند عليّ فسأله ابن الكَوّاء عن السـواد الذي في القمر فقال: ذلك آية محيت[8].

وقال ابن عبّاس مثله، وكذلك قال مُجاهد، وقَتَادة وغيـرهما، لـذلك خلقهمـا. الله تعالى، الشمس أنور من القمر.

قلت: وروى أبو جعفر ههنا حديثاً طويـلاً [في][9] عدة أوراق عن ابن عبـاس، عن النبيّ، ﷺ، في خلق الشمس والقمر وسيرهما، فإنّهمـا على عجلتين، لكل عجلةٍ ثـلاث مئة وستّون عُرْوَة، يجرّها بعددهـا من الملائكـة، وإنّهما يسقـطان عن العجلتين فيغوصـان في بحـر بين السماء والأرض، فـذلك كسـوفهما، ثمّ إن المـلائكة يخـرجـونهمـا فـذلـك تجليتهما من الكسوف. وذكر الكواكبَ وسَيْرَها، وطلوعَ الشمس من مغربها. ثمّ ذكر مدينة

---

(١) الطبري ١/٦١.
(٢) في الأصل: بايات.
(٣) الطبري ١/٦٢.
(٤) الطبري ١/٦٢.
(٥) النازعات/٢٧ ـ ٢٩.
(٦) في النسختين ت، ب (عمير بن).
(٧) في النسخة (ر) الخارقي.
(٨) في نسختي: ت، ب (مجبت) وفي نسخة (ر) مجيب. وهو تصحيف.
(٩) إضافة على الأصل.

بالمغرب تسمى جابرس[١] وأخرى بالمشرق تسمّى جابَلْق[٢] ولكلّ واحدة منهما عشرة آلاف باب، يحرس كلّ باب منها عشرة آلاف رجل، لا تعود الحراسة إليهم إلى يوم القيامة.

وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وثاريس[٣]، إلى أشياء أُخر لا حاجة إلى ذكرها، فأعرضتُ عنها لمنافاتها العقول. ولو صحّ إسنادها لذكرناها وقلنا به، ولكن الحديث غير صحيح[٤]، ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يُسطر في الكتب بمثل هذا الإسناد الضعيف.

وإذ كنّا قد بيّنا مقدار مدّة ما بين أوّل ابتداء الله، عزّ وجلّ، في إنشاء ما أراد إنشاءه من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعه من سِنيّ الدنيا ومدّة أزمانها، وكان الغرض في كتابنا هذا ذِكر ما قد بيّنا أنّا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة، والعاصية ربّها والمطيعة ربّها، وأزمان الرسل والأنبياء، وكنّا قد أتينا على ذكر ما تصحّ به التأريخات وتُعرف به الأوقات وهو الشمس والقمر، فلنذكر[٥] الآن أوّل من أعطاه الله تعالى مُلكاً وأنعم عليه فكفر نعمته وجَحَدَ ربوبيّته واستكبر، فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذلّه، ثمّ نُتْبعه ذِكْر من استنّ سُنَّتَهُ واقتفى أثره وأحلّ الله به نعمته[٦]، ونذكر مَنْ كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربّها المحمودة آثارها ومن الرسل والأنبياء، إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل «جابرسا».

(٢) في الأصل «جابرقا» والتصويب من معجم البلدان ٢/٩١ حيث ضبطها بالباء الموحّدة المفتوحة، وسكون اللام. وقال انها بأقصى المغرب، وأهلها من ولد عاد، وأهل جابَرْس من ولد ثمود. ففي كل واحدة منهما بقايا ولد موسى.

(٣) نسختي: ت، ب (ناريس). وفي (ر) مسك وتاركس. والتصحيح عن الأصل، والطبري ١/٧٠.

(٤) أنظر الحديث بطوله عند الطبري ١/٦٥ - ٧٥.

(٥) في الأصل «فلنذكره».

(٦) في نسختي: ت، ب (اجتراء)، وفي الأصل ونسخة (ر): وأحلّ الله به نقمته وأخزاه.

قصة إبليس، لعنه الله، وابتداء أمره وإطغائه آدم، عليه السلام

فأوّلهم وإمامهم ورئيسهم[1] إبليس. وكان الله تعالى قد حَسّنَ خلقَه وشـرّفه وملّكـه على سماء الدنيا والأرض فيما ذكر، وجعله مع ذلك خازناً من خُزّان الجنّة، فاستكبر على ربّه، وادّعى الربوبية، ودعا من كان تحت يـده إلى عبادتـه[2]، فمسخه الله تعـالى شيطانـاً رجيماً، وشوّه خَلقه، وسلبه ما كان خَوّله، ولعنه وطرَدَه عن سمـواته في العاجل، ثمّ جعل مسكنـه ومسكن أتباعـه في الآخرة نـارَ جهنم، نعوذ بـالله تعالى من نـار جهنم ونعوذ بـالله تعالى من غضبه ومن الحَوْر بعد الكَوْر[3].

ونبدأ بذِكر الأخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادّعائه[4] مـا لم يكن له، ونُتْبع ذلك بذِكْر أحداث في سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه والسبب الـذي به زال عنه[5]، إن شاء الله تعالى[6].

ذكر الأخبار بما كان لإبليس، لعنه الله، من الملك وذكر الأحداث في ملكه

رُوي عن ابن عبّاس، وابن مسعود أنّ إبليس كـان له ملك سمـاء الدنيـا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجنّ. وإنّما سُمّوا الجِنّ لأنّهم خُزّان الجنّة. وكان إبليس مع

---

(١) في الأصل «وقايدهم»، وما أثبتناه عن بقية النسخ، والطبري ١/٧٩.

(٢) في النسخة (ت): طاعته.

(٣) ضبطه بضمّ الحاء والكـاف في طبعة دار صـادر (٢٣)، والصحيح بـالفتح. أي من النقصـان بعد الزيـادة. وقيل: من فساد أمـورنا بعـد صلاحهـا، وقيل من الـرجوع من الجمـاعة بعـد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمـامة بعـد لفّها. والحـديث: نعوذ بـالله من الحور بعـد الكور. (النهـاية في غـريب الحديث لابن الأثيـر ١/٢٦٩) وفي الأصل إضافة: «من سخطه» بعد الكور.

(٤) سقطت «و» من الأصل.

(٥) أضاف في النسخة (ب): «مختصراً».

(٦) إضافة من النسخة (ت).

ملكه خازناً، قال ابن عبّاس: ثمّ إنّه عصى الله تعالى فمسخه شيطاناً رجيماً.

ورُوي عن قَتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾[1] إنّما كانت هذه الآية في إبليس خاصة لما قال ما قال، لعنه الله تعالى وجعله شيطاناً رجيماً، وقال: ﴿فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[2].

وروي عن ابن جُرَيج[3] مثله[4].

وأمّا الأحداث التي كانت في ملكه وسلطانه فمنها ما روي عن الضحّاك، عن ابن عبّاس قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يُقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السَّموم من بين الملائكة، وكان خازناً من خُزّان الجنّة، قال: وخُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا في القرآن من مارِجٍ مِن نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبتْ. وخُلق الإنسان من طين، فأوّلُ مَنْ سكن في الأرض الجنّ، فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء، وقتل بعضُهم بعضاً، قال: فبعث الله تعالى إليهم إبليس في جندٍ من الملائكة، وهم هذا الحيّ الذين يقال لهم الجنّ، فقاتلهم[5] إبليس ومَنْ معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال. فلمّا فعل ذلك اغترّ في نفسه وقال: قد صنعت ما لم يصنعه أحد. فاطّلَعَ الله تعالى على ذلك من قلبه، ولم يطّلع عليه أحد[6] من الملائكة الذين معه[7].

ورُوي عن أنس نحوه.

وروى أبو صالح، عن ابن عبّاس. ومُرّة الهمداني، عن ابن مسعود[8] أنّهما قالا: لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحبّ استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا، وكان من قبيلٍ من الملائكة يقال لهم الجنّ، وإنّما سُمّوا الجنّ لأنّهم من خَزَنة الجنّة. وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع في نفسه كِبْر وقال: ما أعطاني الله تعالى هذا الأمر إلّا لمزيّةٍ لي على الملائكة. فاطّلع الله على ذلك منه فقال: إنّي جاعل في الأرض خليفة.

---

(١) الأنبياء/٢٩.

(٢) السورة والآية السابقتين.

(٣) في الأصل «جريح».

(٤) تاريخ الطبري ١/٨٣.

(٥) في الأصل «فقتلهم».

(٦) في الأصل «أحدا».

(٧) الطبري ١/٨٤.

(٨) في النسخة (ت): عباس.

قال ابن عبّاس: وكان اسمه عزازيل وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فدعاه ذلك إلى الكِبْر. وهذا قولٌ ثالث في سبب كِبْره.

وروى عِكْرِمَةُ، عن ابن عبّاس، أنّ الله تعالى خلق خلقاً، فقال: اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل. فبعث عليهم ناراً فأحرقتهم[1]، ثمّ خلق خلقاً آخر، فقال: إنّي خالقٌ بشراً من طين، فاسجدوا لآدم. فأبوا، فبعث الله تعالى عليهم ناراً فأحرقتهم، ثمّ خلق هؤلاء الملائكة فقال: اسجدوا لآدم. قالوا: نعم. وكان إبليس من أولئك الذين لم يسجدوا.

وقال شَهْرُ بن حَوْشَب: إنّ إبليس كان من الجنّ الذين سكنوا الأرض وطردتهم الملائكة، وأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء[2].

ورُوي عن سعيد[3] بن مسعود نحو ذلك.

وأَوْلى الأقوال بالصواب أن يقال كما قال الله تعالى: **﴿وإذْ قُلْنا للمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّه﴾**[4].

وجائزٌ أن يكون فسوقه من إعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده، وجائز أن يكون لكونه من الجنّ.

(ومُرَّة الهَمْداني، بسكون الميم، والدال المهملة، نسبة إلى هَمْدان: قبيلة كبيرة من اليمن).

---

(١) في الأصل «تحرقهم».
(٢) الطبري ١/٨٧.
(٣) في نسختي: ت، ب «سعد»، والتصويب من نسخة (ر). وفي الطبري ١/٨٧ «سعد» وهو خطأ. وانظر عنه: الأغاني ٥/٦٥، الوافي بالوفيات ١٥/٢٦١ رقم ٣٦٧.
(٤) الكهف/٥٠.

ذِكْر خلْق آدم عليه السلام

ومن الأحاديث في سلطانه خلق أبينا آدم، عليه السلام. وذلك لما أراد الله تعالى أن يُطلع ملائكته على ما علم من انطواء إبليس على الكِبْر ولم يعلمه الملائكة حتى[1] دنا أمره من البوار وملكه من الزوال، فقال للملائكة: ﴿**إنّي جاعِلٌ في الأرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا: أتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء**﴾[2].

فرُوي عن ابن عبّاس أنّ الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره[3] وأمر الجنّ الذين كانوا سُكّان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربّهم تعالى: أتجعل فيها من يكون مثل الجنّ الذين كانوا يسفكون الدِّماءَ فيها ويُفسدون ويعصونك ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك؟ فقال الله لهم: إنّي أعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ، يعني من انطواء إبليس على الكِبْر والعزم على خلاف أمري واغتراره، وأنا مُبْدٍ ذلك لكم منه لتروه عياناً. فلمّا أراد الله أن يخلق آدم أمر جبرائيل أن يأتيه بطين من الأرض، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص مني وتشينني[4]. فرجع ولم يأخذ منها شيئاً وقال: يا ربّ إنّها عاذت بك فأعذتُها. فبعث ميكائيل، فاستعاذتْ منه فأعاذها، فرجع وقال مثل جبرائيل، فبعث إليها ملكَ الموت فعاذت منه، فقال: أنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أُنفِّذ أمر ربّي، فأخذ من وجه الأرض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطيناً لازباً، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين[5].

وروى أبو موسى، عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: إنّ الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض، وبين ذلك، والسهل والحَزْن، والخبيث والطيّب، ثم بُلَّت طينته حتى صارت

---

(١) في الأصل «حين».

(٢) البقرة/٣٠.

(٣) في نسخة (ر): كانوا أجهدوا أمره.

(٤) في الأصل، ونسخة (ر): أن تقبض مني وتشيني. وفي تاريخ الطبري ١/٩٠ «أن تنقص مني شيئاً وتشينني».

(٥) الطبري ١/٩٠.

طيناً لازباً ثمّ تُركت حتى صارت حمأً مسنوناً، ثمّ تُركت حتى صارت صلصالاً، كما قال ربّنا، تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[1].

واللازب: الطين الملتزب[2] بعضه ببعض.

ثمّ تُرك حتى تغيّر وأنتن وصار حمأً مسنوناً، يعني مُنْتناً، ثمّ صار صلصالاً، وهو الذي له صوت[3].

وإنّما سُمّي آدم لأنّه خُلق من أديم الأرض.

قال ابن عبّاس: أمر الله بتربة آدم فرُفعت، فخلق آدم من طين لازب من حمإٍ مسنون، وإنّما كان حمأً مسنوناً بعد التزاب، فخلق منه آدم بيده لئلّا يتكبّر إبليس عن السجود له. قال: فمكث أربعين ليلة، وقيل: أربعين سنة، جسداً ملقىً، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل، أي يصوِّت، قال: فهو قول الله تعالى: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ﴾[4]، يقول: مُنْتن كالمنفوخ الذي ليس بمصمت، ثمّ يدخل من فيه فيخرج من دُبُره ويدخل من دُبُره ويخرج من فيه، ثمّ يقول: لست شيئاً، ولشيءٍ ما خُلقت، ولئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنّك، ولئن سُلّطتَ عليَّ لأعصينّك[5]. فكانت الملائكة تمرّ به فتخافه، وكان إبليس أشدّهم منه خوفاً.

فلمّا بلغ الحِينُ الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: ﴿فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[6]؛ فلمّا نفخ الرّوحَ فيه دخلتْ مِن قِبَل رأسه، وكان لا يجري شيءٌ من الرّوحَ في جسده إلّا صار لحماً[7]، فلمّا دخلتِ الرّوحُ رأسه عطس، فقالت له الملائكة: قل الحمد لله[8].

وقيل: بل ألهمهُ الله التحميد فقال: الحمد لله ربّ العالمين. فقال الله له: رحِمَك رَبّك يا آدم. فلمّا دخلت الرّوحُ عينيه نظر إلى ثمار الجنّة، فلمّا بلغتْ جوفَه اشتهى الطعامَ فوثَبَ قبل أن تبلغ الروح رِجْلَيه عَجْلَانَ إلى ثمار الجنّة، فلذلك يقول الله تعالى:

---

(١) الحجر/٢٦.
(٢) في الأصل ونسخة (ر): الملتزق.
(٣) الطبري ١/٩١، ٩٢.
(٤) الرحمن/١٤.
(٥) الطبري في تاريخه ١/٩٢، وفي التفسير (طبعة بولاق) ٢٧/٧٣.
(٦) الحجر/٢٩.
(٧) في نسخة (ر) «لحماً ودماً».
(٨) في نسخة (ر): الحمد لله رب العالمين.

﴿خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[1]. فسجد له الملائكة كلّهم إلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين. فقال الله له: يا إبليس ما منعك أن تسجد إذ أمرتُك؟ قال: أنا خير منه لم أكن لأسجد لبشر خلقتَهُ من طين، فلم يسجد كِبْراً وبَغياً وحسداً. فقال الله له: ﴿يَا إبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، إلى قوله: ﴿لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أجْمَعِينَ﴾[2]. فلمّا فرغ من إبليس ومعاتبته وأبَى إلاّ المعصية أوقع عليه اللّعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطاناً رجيماً وأخرجه من الجنّة[3].

قال الشعبيّ: أُنزل إبليس مشتمل الصماء، عليه عمامة، أعور، في إحدى رِجْلَيه نعل.

وقال حُمَيْد بن هلال: نزل إبليس مختصراً فلذلك كُره الاختصار في الصلاة، ولما أُنزل قال: يا ربّ أخرجتني من الجنّة من أجل آدم وإنّني لا أقوى عليه إلاّ بسلطانك. قال: فأنت مسلَّط. قال: زدْني. قال: لا يولد له ولد إلاّ وُلد لك مثله. قال: زدني. قال: صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم. قال: زدني. قال: أجْلب عليهم بخيلك ورَجلك وشاركْهم في الأموال والأولاد وعِدْهم.

قال آدم: يا ربّ قد أنظرتَهُ وسلّطته عليَّ وإنّني لا أمتنع منه إلاّ بك. قال: لا يولد لك ولد إلاّ وكّلتُ به مَن يحفظه من قُرنَاءِ السوء. قال: يا ربّ زدني. قال: الحسنة بعَشْر أمثالها وأزيدها، والسيئة بواحدة وأمحوها. قال: يا ربّ زدني. قال: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إنّ اللهَ يَغْفِرُ الذّنُوبَ جَمِيعاً﴾[4]. قال: يا ربّ زدني. قال: التوبة لا أمنعها من ولدك ما كانت فيهم الروح. قال: يا ربّ زدني. قال: أغفر ولا أبالي. قال: حسبي.

ثمّ قال الله لآدم: إيتِ أولئك النفرَ من الملائكة فقلِ السّلام عليكم. فأتاهم فسلّم عليهم، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله ثمّ رجع إلى ربّه فقال: هذه تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك بينهم.

فلمّا امتنع إبليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستتراً عنهم علّم الله آدمَ الأسماءَ كلّها.

---

(١) الأنبياء/٣٧.
(٢) ص/٧٥ ـ ٨٥.
(٣) الطبري ١/٩٤ ـ ٩٦. وانظر: تاريخ الخميس ١/٤٤ و ٤٥.
(٤) الزمر/٥٣.

الأسماء التي علّمها الله آدمَ

واختلف العلماء في الأسماءِ، فقال الضحّاك، عن ابن عبّاس: علّمه الأسمـاء كلّها التي تتعارف بها النَّاس: إنسان، ودابّة، وأرض، وسهل، وجبل، وفرس، وحمار، وأشباه ذلك، حتى الفَسْوَة والفُسَيَّة[1].

وقال مجاهد، وسعيد بن جُبير مثله.

وقال ابن زيد: عُلّم أسماء ذرّيّته[2].

وقال الربيع: عُلّم أسماء الملائكة خاصّة. فلمّا عُلّمها عرض الله أهلَ الأسماء على الملائكة فقال: ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[3] إنّي إن جعلتُ الخليفة منكم أطعتموني وقدّ ستموني ولم تعصوني، وإن جعلتـه من غيركم أفسـد فيها وسفـك الدمـاء، فـإنّكم إن لم تعلموا أسمـاء هؤلاء وأنتم تشاهـدونهم فبأن لا تعلمـوا مـا يكـون منكم ومن غيركم وهو مغيَّب عنكم أَوْلى وأحرى.

وهذا قول ابن مسعود ورواية أبي صالح، عن ابن عبّاس[4].

ورُوي عن الحسن وقَتَادة أنّهما قالا: لما أعلم الله المـلائكةَ بخلق آدم واستخـلافه و﴿**قـالوا: أَتَجْعَـلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِـدُ فِيهَـا وَيَسْفِـكُ الـدِّمـاءَ؟**﴾[5] و﴿**قـال: إِنِّي أَعْلَمُ مَـا لا تَعْلَمُونَ**﴾[5]. قالوا فيما بينهم: ليخلق ربّنا ما يشـاء فلن يخلق خلقاً إلاّ كنّـا أكرم على الله منه وأعلم منه. فلمّا خلقه وأمرهم بالسجود له علموا أنّه خيـر منهم وأكرم على الله منهم، فقالوا: إن يك خيراً منا وأكرم على الله منّا فنحن أعلم منه. فلمّا أُعجبوا بعلمهم ابتُلوا بأنْ علّمه الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال: ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[6]، إنّي لا أخلق[7] أكرم منكم ولا أعلم منكم. ففزعوا إلى التوبة، وإليها يفزع كلّ مؤمن، فـ﴿**قالوا: سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاّ مَا عَلّمْتَنَا، إِنّك أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾[8].

---

(١) في النسخة (ب) الغسيوة. وفي الأصل الغسوة والغسية.
(٢) في النسخة (ر) ذريته خاصة.
(٣) البقرة/٣١.
(٤) الطبري ١/٩٩.
(٥) البقرة/٣٠.
(٦) البقرة/٣٢.
(٧) في نسخة (ر): أخلق خلقاً.
(٨) البقرة/٣٢.

قالا: وعلّمه اسمَ كلّ شيء من هذه: الخيل، والبِغال، والإبل، والجنّ، والوحش، وكلّ شيء[1].

ذكر إسكان آدم الجنّة وإخراجه منها

فلمّا ظهر للملائكة من معصية إبليس وطغيانه ما كان مستتراً عنهم، وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لآدم، فأصرّ على معصيته وأقام على غيّه، لعنه الله، وأخرجه من الجنّة وطرده منها وسلبه ما كان إليه من ملك سماء الدنيا والأرض وخزن الجنّة، فقال الله له: ﴿**اخْرُجْ مِنْهَا** - يعني من الجنّة - **فَإنّكَ رَجِيمٌ وَإنّ عَلَيْكَ اللّعْنَةَ إلى يَوْمِ الدّينِ**﴾[2]؛ وأسكن آدم الجنّة.

قال ابن عبّاس وابن مسعود: فلمّا أسكن آدم الجنّة كان يمشي فيها فرداً ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة واستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة، خَلَقَها الله من ضلعه، فسألها فقال: من أنتِ؟ قالت: امرأة. قال: ولِمَ خُلِقتِ؟ قالت: لتسكن إليّ. قالت له الملائكة لينظروا مبلغ علمه: ما اسمها؟ قال: حوّاء. قالوا: ولِمَ سُمّيَتْ حوّاء؟ قال: لأنّها خُلقت من حيّ. وقال الله له: ﴿**يَا آدَمُ اسْكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾[3].

وقال ابن إسحاق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم، منهم عبد الله بن عبّاس قال[4]: ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعاً من أضلاعه من شقّه الأيسر وَلأَمَ مكانه لحماً وخلق منه حوّاء، وآدم نائم، فلمّا استيقظ رآها إلى جنبه فقال: لحمي ودمي وروحي، فسكن إليها، فلمّا زوّجه الله تعالى وجعل له سَكَناً من نفسه قال له: ﴿**يا آدَمُ اسكُنْ أنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ... وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[5].

وعن مجاهد وقَتَادة مثله[6].

فلمّا أسكن الله آدم وزوجته الجنّة أطلق لهما أن يأكلا كلّ ما أرادا من كلّ ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة، ابتلاءً منه لهما وليمضي قضاؤه فيهما وفي ذرّيّتهما. فوسوس لهما الشيطانُ، وكان سبب وصوله إليهما أنّه أراد دخول الجنّة فمنعته الخَزَنَةُ، فأتي كلّ دابّة من

---

(١) الطبري ١/١٠١، ١٠٢.
(٢) الحجر/٣٤؛ ٣٥.
(٣) البقرة/٣٥.
(٤) في النسخة (ر): قالوا.
(٥) البقرة/٣٥.
(٦) الطبري ١/١٠٤، ١٠٥.

دوابّ الأرض وعرض نفسه عليها أنّها تحمله حتى يدخل الجنّة ليكلّم آدم وزوجته. فكلّ الدوابّ أبى عليه حتى أتى الحيّة[1]، وقال لها: أمنعُك[2] من ابن آدم فأنتِ في ذمّتي إن أنتِ أدخلتني، فجعلته بين نابين من أنيابها ثمّ دخلت به، وكانت كاسية على أربع قوائم من أحسن دابّة خلقها الله كأنّها بُخْتيَّة[3]، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها.

قال ابن عبّاس: اقتلوها حيث وجدتموها واخْفِروا ذمَّة عدوّ الله فيها.

فلمّا دخلتِ الحيّةُ خرج إبليس من فيها فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له: ما يُبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة. فوقع ذلك في أنفسهما، ثمّ أتاهما فوسوس لهما وقال: يا آدم هل أدلّك على شجرة الخُلد ومُلكٍ لا يبلى؟ ﴿وَقَالَ: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّآ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ، وقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[4]، أن تكونا ملكَين، أو تخلّدان إن لم تكونا ملكَين في نعمة الجنّة. يقول الله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[5]. وكان انفعال حوّاءَ لوسوسته أعظم، فدعاها آدم لحاجته. فقالت: لا إلّا أن تأتي هاهنا. فلمّا أتَى قالت: لا! إلّا أن تأكل من هذه الشجرة، وهي الحنطة. قال: فأكلا منها، فبدت لهما سوءآتهما، وكان لباسهما الظُّفْر، فطفِقا يخصِفان عليهما من ورق الجنّة، قيل: كان ورق التين، وكانت الشجرة مَن أكل منها أحدث. وذهب آدم هارباً في الجنّة، فناداه ربّه: أنْ يا آدم منّي تفِرّ؟ قال: لا يا ربّ ولكن حياءً منك. فقال: يا آدم من أين أُتيتَ؟ قال: من قِبَل حوّاء يا ربّ. فقال الله: فإنّ لها عليَّ أن أُدميها في كلّ شهر وأن أجعلها سفيهة، وقد كنتُ خلقتُها حليمة[6]، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً وتشرف على الموت مراراً، وقد كنتُ جعلتُها تحمل يَسَراً وتضع يَسَراً، ولولا بليّتها لكان النساء لا يحضن، ولَكُنَّ حليمات، ولَكُنَّ يحملن يَسَراً ويضعن يَسَراً[7].

وقال الله تعالى له: لألعنَنّ الأرض التي خُلِقتَ مِنْهَا لَعْنَةً يتحوَّلُ بها ثمارُها شَوْكاً. ولم يكن في الجنّة ولا في الأرض شجرة أفضل من الطّلح والسِّدر.

---

(١) في النسخة (ر): عليه ذلك حتى كلّم الحيّة.

(٢) في النسخة (ب): أمتعك.

(٣) في النسخة (ب): نجيبة
والبُختيّة: جمل بُخْتيّ، وناقة بُختية. وهي الأنثى من الجِمال البُخْت، وهي جِمال طِوال الأعناق. (تاج العروس ٤/٤٣٧).

(٤) في الأصل: لكما من الناصحين. (الأعراف الآيتان ٢٠ ـ ٢١).

(٥) الأعراف/٢٢.

(٦) في الأصل «جميلة».

(٧) تاريخ الطبري ١/١١١، تفسير الطبري ١/٥٢٩.

وقال للحيّة: دخل الملعون في جوفك حتى غرّ عبدي، ملعونةٌ أنتِ لعنةً تتحوّل بها قوائمك في بطنك ولا يكون لك رزق إلّا التراب. أنت عدوّة بني آدم وهم أعداؤكِ، حيث لقيتِ واحداً منهم أخذتِ بعقبه، وحيث لقيك شدخَ رأسك، اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ: آدم وإبليس والحيّة. فأهبطهم إلى الأرض، وسلب الله آدمَ وحوّاء كلَّ ما كانا فيه من النعمة والكرامة[1].

قيل: كان سعيد بن المسيّب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكنْ سقته حوّاء الخمر حتى سكر فلمّا سكر قادته إليها فأكل.

قلتُ: والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول في صفة خمر الجنّة ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾[2].

ذكر اليوم الذي أُسكن آدم فيه الجنّة واليوم الذي أُخرج فيه منها واليوم الذي تاب فيه

روى أبو هريرة عن النبيّ، ﷺ، قال: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجُمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُسكن الجنّة، وفيه أُهبط منها، وفيه تاب الله عليه، وفيه تقوم الساعةُ، وفيه ساعة يقلّلها لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلّا أعطاه إيّاه[3].

قال عبد الله بن سلام: قد علمتُ أيّ ساعة هي، هي آخر ساعة من النهار.

وقال أبو العالية[4]: أُخرج آدم من الجنّة للساعة التاسعة أو العاشرة منه، وأُهبط إلى الأرض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم، وكان مكثه في الجنّة خمس ساعات منه، وقيل: كان مكثه ثلاث ساعات منه.

فإن كان قائل هذا القول أراد أنّه سكن الفردوس لساعتين مضَتَا من يوم الجمعة من أيّام الدنيا التي هي على ما هي به اليوم، فلم يبعد قوله من الصواب لأنّ الأخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بأن آدم خُلق آخر ساعة من اليوم السادس التي مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا، فمعلوم أنّ الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا، وقد ذكرنا أنّ آدم بعد أن خمّر ربّنا طينته بقي قبل أن ينفخ فيه

---

(١) الطبري ١/١١٢.

(٢) الصّافّات/٤٧.

(٣) الطبري ١/١١٣ و١١٧.

(٤) في تاريخ الطبري ١/١١٨ «أنس بن أبي العالية».

الروح أربعين عاماً، وذلك لا شكّ أنّه عنى به أعوامنا، ثمّ بعد أن نفخ فيه الـروح إلى أن تناهى أمره وأسكن الجنّة وأُهبط إلى الأرض غير مستنكـر أن يكون مقـدار ذلك من سنيننـا قدر خمس وثلاثين سنة، وإن كان أراد أنّه سكن الجنّة لساعتَين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيّام التي مقدار اليوم منها ألف سنـة من سنيننا فقـد قال غيـر الحقّ، لأنّ كلّ من لـه قول في ذلك من أهل العلم يقول إنّـه نفخ فيـه الروح آخـر نهار يـوم الجمعة قبـل غروب الشمس[1].

وقد روى أبو صالح، عن ابن عبّاس، أنّ مكث آدم كان في الجنّـة نصف يوم كـان مقـداره خمسمائـة عام، وهـذا أيضاً خـلاف مـا وردتْ بـه الأخبـار عن النبيّ، ﷺ، وعن العلماء[2].

ذكر الموضع الذي أُهبط فيه آدم وحوّاء من الأرض

قيل: ثمّ إنّ الله تعالى أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه، وهو يوم الجمعة، مع زوجته حوّاء من السماء[3].

فقال عليّ، وابنُ عبّاس وقَتَـادة، وأبو العـالية: إنّـه أُهبط بالهنـد على جبل يقـال له نَوْذ[4] من أرض سَرَنْدِيب، وحوّاء بجُدَّة.

قال ابن عبّاس: فجاء في طلبها فكان كلّما وضع قدمه بموضع صار قرية، ومـا بين خطوتَيْه مفاوز، فسار حتى أتى جمعاً فازدلفت إليه حوّاء، فلذلك سُمّيت المُزْدَلِفَة، وتعارفا بعَرَفَات فلذلك سُمّيت عَرَفـات، واجتمعا بجَمْـعٍ فلذلك سُمّيت جَمْعـاً. وأُهبطت الحيّـة بأصفهان[5]، وإبليس بمَيْسان[6].

وقيل: أُهبط آدم بالبريّة، وإبليس بالأُبُلَّة[7].

---

(١) الطبري ١/١١٩.

(٢) الطبري ١/١٢٠.

(٣) هكذا في الأصل، وفي تاريخ الطبري ١/١٢١ «من السماء مع زوجته».

(٤) ضبط في طبعة صادر (٣٦) بضم النون، والصحيح بالفتح ثم السكون، كما في معجم البلدان ٥/٣١٠.

(٥) في النسخة (ر): أهبط الحية بالبرية.

(٦) مَيْسـان: بالفتـح ثم السكون: اسم كـورة واسعة كثيـرة القرى والنخـل بين البصـرة وواسط قصبتهـا ميسـان. (معجم البلدان ٥/٢٤٢).

(٧) الأُبُلَّة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحهـا.. بلدة على شاطىء دجلة البصـرة العظمى في زاويـة الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. وهي أقدم من البصرة (معجم البلدان ١/٧٧).

قال أبو جعفر: وهذا ما لا يوصل إلى معرفة صحّته إلاّ بخبر يجيء مجيء الحجّة، ولا نعلم خبراً في ذلك غير ما ورد في هبوط آدم بالهند، فإنّ ذلك ممّا لا يدفع صحّته علماء الإسلام[1].

قال ابن عبّاس: فلمّا أُهبط آدم على جبل نَوْذ[2] كانت رجلاه تمسّان[3] الأرض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة، فكانت تهابه، فسألتِ الله أن يُنقص من طوله فنقص طوله إلى ستّين ذراعاً، فحزن آدم لما فاته من الأنس بأصوات الملائكة وتسبيحهم، فقال: يا ربّ كنتُ جارك في دارك ليس لي ربّ غيرك أدخلتني جنّتك آكل منها حيث شئتُ وأسكن حيث شئتُ فأهبطتني[4] إلى الجبلِ المقدّس، فكنتُ أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنّة فحططتَني إلى ستّين ذراعاً، فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنّة! فأجابه الله تعالى: بمعصيتك يا آدم فعلتُ بك ذلك.

فلمّا رأى الله تعالى عريَ آدم وحوّاء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية[5] الأزواج التي أنزل الله من الجنّة، فأخذ كبشاً فذبحه وأخذ صوفه، فغزلته حوّاء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبّة ولحوّاء درعاً وخماراً فلبسا ذلك.

وقيل: أرسل إليهما ملَكاً يعلّمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والأنعام.

وقيل: كان ذلك لباس أولاده، وأمّا هو وحوّاء فكان لباسهما ما كان خصفا من ورق الجنّة، فأوحى الله إلى آدم: إنّ لي حَرَماً حيال عرشي فانطلق وابنِ لي بيتاً فيه ثمّ حُفّ به كما رأيتَ ملائكتي يحفّون بعرشي، فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي. فقال آدم: يا ربّ وكيف لي بذلك! لستُ أقوى عليه ولا أهتدي إليه. فقيّض الله ملَكاً فانطلق به نحو مكّة، وكان آدم إذا مرّ بروضة قال للملك: أنزل بنا هاهنا. فيقول الملك: مكانَك، حتى قدم مكّة، فكان كلّ مكان نزله آدم عمراناً وما عداه مفاوز. فبنى البيت من خمسة أجبل: من طور سينا، وطور زيتون، ولبنان، والجُوديّ، وبنى قواعده من حِراء؛ فلمّا فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عَرَفات فأراه المناسك التي يفعلُها النّاسُ اليوم، ثمّ قدم به مكّة فطاف بالبيت أسبوعاً، ثمّ رجع إلى الهند فمات على نَوْذ[6].

---

(١) الطبري ١/٢٢. وانظر الأقوال المختلفة في أماكن النزول بتاريخ الخميس ١/٦١.

(٢) في طبعة صادر (٣٧) بضم النون. والتصحيح من معجم البلدان.

(٣) في الأصل «تمس».

(٤) في الأصل «آكل منها حيث شئت فأهبطتني».

(٥) في الأصل «من الضأن الثمانية».

(٦) في طبعة دار صادر (٣٨) بضم النون.

فعلى هذا القول أُهبط حوّاء وآدم جميعاً، وإن آدم بنى[1] البيت، وهذا خلاف الذي نذكره إن شاء الله تعالى منه: أنّ البيت أُنزل من السماء.

وقيل: حجّ آدم من الهند أربعين حجّة ماشياً. ولما نزل إلى الهند كان على رأسه إكليل من شجر الجنّة، فلمّا وصل إلى الأرض يبس فتساقط ورقه فنبتتْ منه أنواع الطيب بالهند.

وقيل: بل الطيب من الورق الذي خصفه آدم وحوّاء عليهما.

وقيل: لما أُمر بالخروج من الجنّة جعل لا يمرّ بشجرة منها إلاّ أخذ منها غصناً فهبط وتلك الأغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها، وزوّده الله من ثمار الجنّة، فثمارنا هذه منها، غير أنّ هذه تتغيّر وتلك لا تتغيّر، وعلّمه صنعة كلّ شيء، ونزل معه من طيب الجنّة، والحجرُ الأسودُ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج، وكان من ياقوت الجنّة، ونزل معه عصا موسى، وهي من آس الجنّة ومن لبان، وأنزل بعد ذلك العَلاة والمطرقة والكَلْبَتان.

وكان حسن الصورة لا يشبهه من[2] ولده غير يوسف.

وأُنزل عليه جبرائيل بصرّة فيها حنطة، فقال آدم: ما هذا؟ قال: هذا الذي أخرجك من الجنّة فقال: ما أصنع به؟ فقال: انثره في الأرض. ففعل، فأنبته الله من ساعته، ثمّ حصده وجمعه وفركه وذرّاه وطحنه وعجنه وخبزه، كلّ ذلك بتعليم جبرائيل، وجمع له جبرائيل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النّار، وعلّمه جبرائيل صنعة الحديد والحراثة، وأنزل إليه ثوراً، فكان يحرث عليه، قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[3].

ثمّ إنّ الله أنزل آدم من الجبل وملّكه الأرضَ وجميع ما عليها من الجنّ والدوابّ والطير وغير ذلك، فشكا إلى الله تعالى وقال: يا ربّ أما في هذه الأرض من يسبّحك غيري؟ فقال الله تعالى: سأُخرج من صلبك من يسبّحني ويحمدني، وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكري، وأجعل فيها[4] بيتاً أختصّه[5] بكرامتي وأسمّيه بيتي وأجعله حَرَماً آمناً، فمن حرّمه بحُرمتي[6] فقد استوجب كرامتي، ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمّتي وأباح حرمتي،

---

(١) في النسخة (ر): وإن آدم هو الذي بنى.

(٢) في النسخة (ر): لم يشبهه شيء من.

(٣) طه/١١٧.

(٤) في الأصل «منه».

(٥) في النسخة (ر): أخصّه.

(٦) في النسخة (ر): فمن خدمه يخدمني.

أوّل بيت وُضع للنّاس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد إليّ وزارني وضافني[1]، ويحقّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلّاً بحاجته؛ تعمره أنت يا آدم ما كنتَ حيّاً، ثمّ تعمره الأممُ والقرون والأنبياء من ولدك أمّة بعد أمّة.

ثمّ أمر آدم أن يأتي البيت الحرام، وكان قد أُهبط من الجنّة ياقوتة واحدة، وقيل: دُرّة واحدة، وبقي كذلك حتى أغرق الله قومَ نوح، عليه السلام، فرُفع وبقي أساسه، فبوّأ[2] الله لإبراهيم، عليه السلام، فبناه على ما نذكره إن شاء الله تعالى[3].

وسار آدم إلى البيت ليحجّه ويتوب عنده، وكان قد بكى هو وحوّاء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنّة مائتيْ سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، ثمّ أكلا وشربا بعدها، ومكث آدم لم يقرب حوّاء مائة عام، فحجّ البيت وتلقّى آدم من ربّه كلماتٍ فتاب عليه، وهو قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾[4].

(نُود بضم النون، وسكون الواو، وآخره دال مهملة)[5].

ذكر إخراج ذرّيّة آدم من ظهره وأخذ الميثاق

روى سعيد بن جُبير، عن ابن عبّاس قال: أخذ الله الميثاق على ذرّيّة آدم بنَعمان من عرَفة، فأخرج من ظهره كلّ ذرّيّة ذرأها إلى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذّرّ ثمّ كلّمهم قبلاً وقال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ**﴾ إلى قوله: ﴿**بِمَا فَعَلَ المُبْطِلُونَ**﴾[6].

(نَعمان بفتح النون الأولى)[7].

وقيل: عن ابن عبّاس أيضاً: إنّه أخذ عليهم الميثاق بدَحْنا[8]، موضع.

---

(١) في النسخة (ر): وزادني وصافحني.
(٢) في النسخة (ر) «فبوأه».
(٣) الطبري ١/١٣٢.
(٤) الأعراف/٢٣.
(٥) في معجم البلدان ٥/٣٦٠ بفتح النون ثم السكون، وذال معجمة.
(٦) الأعراف/١٧٢ - ١٧٣.
(٧) عند الطبري ١/١٣٤ «يعني عرفة».
(٨) دَحْنا: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ونون، والألِف يُروى فيها القصر والمدّ. من مخاليف الطائف. (معجم البلدان ٢/٤٤٤).
وهي في النسخة (ب) «بدخسا»، وفي الأصل «برضا».

وقال السُّدِّيّ: أخرج الله آدم من الجنّة ولم يُهبطه إلى الأرض من السماء، ثمّ مسح صفحة ظهره اليمنى، فأخرج ذرّيّة كهيئة الذَّرّ بيضاء مثل اللّؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنّة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منها كهيئة الذّرّ سوداء، فقال: ادخلوا النّار ولا أُبالي، فذلك حين يقول: «أصحاب اليمين» و«أصحاب الشّمال»، ثمّ أخذ منهم الميثاق فقال: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بلى، فأعطوه الميثاق، طائفة طائعين، وطائفة على وجه التقيّة[1].

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا

وكان أوّل ذلك قتْلَ قابيل بن آدم أخاه هابيل، وأهلُ العلم مختلفون في اسم قابيل، فبعضهم يقول: قَيْن، وبعضهم يقول: قائين، وبعضهم يقول: قاين، وبعضهم يقول: قابيل[2].

واختلفوا أيضاً في سبب قتله، فقيل: كان سببه أن آدم كان يغشى حوّاء في الجنّة قبل أن يصيب الخطيئة، فحملت له فيها بقابيل بن آدم وتوأمته، فلم تجد عليهما وَحَماً ولا وَصَباً، ولم تجد عليهما طَلْقاً حين ولدتهما، ولم ترَ معهما دماً لطُهر الجنّة، فلمّا أكلا من الشجرة وهبطا إلى الأرض فاطمأنّا بها تغشّاها، فحملت بهابيل وتوأمته، فوجدت عليهما الوَحَم والوَصَب والطَّلْق حين ولدتهما، ورأت معهما الدم، وكانت حوّاء فيما يذكرون لا تحمل إلّا توأماً ذكراً وأنثى، فولدت حوّاء لآدم أربعين ولداً لصُلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، وكان الولد منهم أيّ أخواته شاء تزوّج إلّا توأمته التي تولد معه، فإنّها لا تحلّ له، وذلك أنّه لم يكن يومئذٍ نساء إلّا أخواتهم وأمّهم حوّاء، فأمر آدمُ ابنه قابيل أن ينكح توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح توأمة أخيه قابيل[3].

وقيل: بل كان آدم غائباً[4] وكان لما أراد السير قال للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض فأبت، وللجبال فأبت، وقال لقابيل، فقال: نعم تذهب وترجع وستجد[5] كما يسرّك. فانطلق آدم فكان ما نذكره.

---

(١) في الأصل: «فأعطاه الميثاق وطايفة طايعين وطايفة على وجه البغية». والخبر في تاريخ الطبري ١/١٣٦، والتفسير ١٣/٢٢٨. وانظر: تاريخ الخميس ١/٥١.

(٢) في النسخة (ر): «قابيل وبعضهم يقول قابن» والخبر في تاريخ الطبري ١/١٣٧.

(٣) تاريخ الطبري ١/١٣٩، ١٤٠، مرآة الزمان ١/٢٨٣.

(٤) في النسخة (ر) إضافة: «غائباً في الحج».

(٥) في النسخة (ر) «وستجدهم».

وفيه قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[1]. فلمّا قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما سلّم هابيل لذلك ورضي به، وأبى ذلك قابيل وكرهه تكرّهاً عن أخت هابيل، ورغب بأخته عن هابيل وقال: نحن من ولادة الجنّة وهما من ولادة الأرض، فأنا أحقّ بأختي[2].

وقال بعض أهل العلم: إنّ أخت قابيل كانت من أحسن النّاس، فضنّ بها[3] على[4] أخيه وأرادها لنفسه، وإنّهما لم يكونا من ولادة الجنّة، إنّما كانا[5] من ولادة الأرض، والله أعلم.

فقال له أبوه آدم: يا بنيّ إنّها لا تحلّ لك، فأبَى أن يقبل ذلك من أبيه. فقال له أبوه: يا بنيّ فقرِّبْ قرباناً ويقرّب أخوك هابيل قرباناً، فأيّكما قَبِل الله قربانه فهو أحقّ بها. وكان قابيل[6] على بَذْر الأرض، وهابيل على رعاية الماشية، فقرّب قابيل[6] قمحاً، وقرّب هابيل أبكاراً من أبكار غَنَمه. وقيل: قرّب بقرةً، فأرسل الله ناراً بيضاء، فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل[7]، وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله الله، فلمّا قبل الله قربان هابيل، وكان في ذلك القضاء له بأخت قابيل[8]، غضب قابيل[9] وغلب عليه الكِبْر، واستحوذ عليه الشيطان وقال: لأقتلنّك حتى لا تنكح أختي. قال هابيل: ﴿إنّما يتقبّل الله من المُتّقينَ، لَئِنْ بَسَطتَ إليّ يَدَكَ لِتَقْتُلَني مَا أنا بِبَاسِطٍ يَدَيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ إلى قوله: ﴿فَطَوّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أخِيهِ﴾[10]، فاتبعه وهو في ماشيته فقتله، فهما اللّذان قصّ الله خبرهما في القرآن فقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالحَقّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾[11]، إلى آخر القصّة[12].

---

(١) الأحزاب/٧٢.

(٢) تاريخ الطبري ١/١٤٠.

(٣) في النسخة (ب) «فرغب فيها».

(٤) في الأصل «عن»، وكذا عند الطبري ١/١٤٠.

(٥) في الأصل «كانت».

(٦) في تاريخ الطبري ١/١٤٠ «قَيْن».

(٧) الخبر حتى هنا في تفسير الطبري ١٠/٢٠٥.

(٨) في تاريخ الطبري «قين».

(٩) في النسخة (ر): «غضب فأرسل». وفي تاريخ الطبري «قين».

(١٠) المائدة/٢٧ ـ ٣١.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) الطبري ١/١٤٠.

قال: فلمّا قتله سُقط في يده ولم يدرِ كيف يُواريه، وذلك أنّه كان فيما يزعمون أوّل قتيل من بني آدم، ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ في الأرْضِ لِيُرِيهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أخيهِ، قَالَ: يَا وَيْلَتي أعَجَزْتُ أنْ أكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أخِي، فَأصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾[1]. فلمّا قتل أخاه قال الله تعالى: يا قابيل[2] أين أخوك هابيل؟ قال: لا أدري، ما كنتُ عليه رقيباً! فقال الله تعالى: إنّ صوت دم أخيك يناديني من الأرض الآن، أنت ملعون من الأرض التي فَتَحَتْ فاها فبلعت دم أخيك، فإذا أنت عملت في الأرض فإنّها لا تعود تعطيك حَرْثَها حتى تكون فَزِعاً تائهاً في الأرض. فقال قابيل[2]: عظُمتْ خطيئتي إن لم تغفرها.

قيل: كان قَتْله عند عقبة حِراء. ثمّ نزل من الجبل آخذاً بيد أخته [قليما][3] فهرب[4] بها إلى عدن من اليمن[5].

قال ابن عبّاس: لما قتل أخاه أخذ بيد أخته ثمّ هبط بها من جبل نُود[6] إلى الحضيض، فقال له آدم: اذْهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه. فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلّا رماه، فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابن له، فقال للأعمى ابنه: هذا أبوك قابيل فارمه، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله، فقال ابن الأعمى لأبيه: قتلتَ أباكَ! فرفع الأعمى يده فلطم ابنه فمات. فقال: يا ويلتي قتلتُ أبي برميتي وبُنَيّ بلطمتي[7].

ولما قُتل هابيل كان عمره عشرين سنة، وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة.

وقال الحسن: كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بالحَقّ﴾ من بني إسرائيل، ولم يكونا من بني آدم لصُلبه، وكان آدم أوّل من مات.

وقال أبو جعفر[8]: الصحيح عندنا أنّهما ابنا آدم لصُلبه، للحديث الصحيح عن

---

(١) المائدة/٣١-٣٢.
(٢) في ناريخ الطبري «قين».
(٣) إضافة من الطبري ١/١٤٣.
(٤) في الأصل «هرب».
(٥) الخبر أيضاً في: تاريخ الخميس ١/٦٩.
(٦) في تاريخ الطبري، ومعجم البلدان «نَوْذ».
(٧) الطبري ١/١٤٣، ١٤٤.
(٨) في التاريخ ١/١٤٤.

النبيّ، ﷺ، أنّه قال: «ما من نفس تُقتل ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأوّل كِفْلٌ[1] منها[2]»، وذلك لأنّه أوّل من سنّ القتل فبان بهذا أنّهما لصُلب آدم، فإنّ القتل ما زال بين بني آدم قبل بني إسرائيل.

وفي هذا الحديث أنّه أوّل من سنّ القتل، ومن الدليل على أنّه[3] مات من ذرّيّة آدم قبله ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[4].

عن ابن عبّاس، وابن جبير، والسُّدِّيّ، وغيرهم قالوا: كانت حوّاء تلد لآدم فتُعبّدهم، أي تسمّيهم عبد الله، وعبد الرحمن، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال: لو سمّيتما بغير هذه الأسماء لعاش ولدكما. فولدت ولداً[5] فسمّته عبد الحارث، وهو اسم إبليس، فنزلت: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[6] الآيات. وقد رُوي هذا المعنى مرفوعاً.

قلتُ: إنّما كان الله تعالى يُميت أولادهم أوّلاً، وأحيا هذا المسمّى بعبد الحارث امتحاناً واختباراً، وإن كان الله تعالى يعلم الأشياء بغير امتحان، لكن علماً لا يتعلّق به الثواب والعقاب.

ومن الدليل على أنّ القاتل والمقتول ابنا آدم لصُلبه ما رواه العلماء عن عليّ بن أبي طالب أنّ آدم قال لما قُتل هابيل:

تَغَيَّرَتِ البِلَادُ وَمَنْ عَلَيهَا ... فَوَجْهُ[7] الأَرْضِ مغبرٌّ قَبيح
تَغَيَّرَ كلُّ ذي طَعْمٍ ولَوْنٍ ... وقلَّ بَشاشَةُ الوَجهِ المَليح[8]

في أبيات غيرها.

---

(١) الكِفْل: الحظ والنصيب.

(٢) أخرجه: البخاري في الجنائز ٣٣، والأنبياء ١، والديات ٢، والاعتصام ١٥، ومسلم في: القَسَامة ٢٧، والترمذي في: العلم ١٤، والنسائي في: التحريم ١، وابن ماجه في الديات ١، وأحمد ١/٣٨٣ و ٤٣٠ و ٤٣٣.

(٣) في الأصل «ومن الدليل أنه».

(٤) الأعراف/١٨٩ وما بعدها.

(٥) في الأصل «رجلا».

(٦) الأعراف/١٨٩.

(٧) في تفسير الطبري ١٠/٢٠٩ «فلون».

(٨) تاريخ الطبري ١/١٤٥، مرآة الزمان ١/٢١٧ وفيه «الوجه الصبيح»، مروج الذهب ١/٣٦، تاريخ الخميس ١/٦٩، ٧٠.

وقد زعم أكثر علماء الفرس أنّ جُيُومَرْثَ[1] هو آدم.

وزعم بعضهم أنّه ابن آدم لصُلبه من حوّاء، وقالوا فيه أقوالاً كثيرة يطول بذِكرِها الكتاب، إذ كان قصْدنا ذِكر الملوك وأيّامهم، ولم يكن ذِكر الاختلاف في نَسَب ملك من جنسٍ ما أنشأنا له الكتاب، فإن ذكرنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفاً به.

وقد خالف علماءَ الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممّن زعم أنّه آدم، ووافق علماءَ الفرس على اسمه، وخالفهم في عينه وصفته، فزعم أن جيومرث الذي زعمت الفرس أنّه آدم، إنّما هو حام بن يافث بن نوح، وأنّه كان معمَّراً سيّداً نزل جبل دُنْباوَنْد[2] من جبال طَبَرستان من أرض المشرق، وتملّك بها وبفارس، وعظُم أمره، وأمر ولده، حتى ملكوا بابل، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلّها، وابتنى جيومرث المدنَ والحصونَ، وأعدّ السّلاح واتّخذ الخيل، وتجبّر في آخر أمره، وتسمّى بآدم، وقال: من سمّاني بغيره قتلته، وتزوّج ثلاثين امرأة، فكثر منهنّ نَسْله، وأنّ ماري ابنه، وماريانة أخته، ممّن كانا وُلدا في آخر عمره، فأعجب بهما وقدّمهما، فصار الملوك من نَسلهما[3].

قال أبو جعفر[4]: وإنّما ذكرت من أمر جيومرث في هذا الموضع ما ذكرتُ، لأنّه لا تَدَافُعَ بين علماء الأمم أنّه أبو الفرس من العجم، وإنّما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره على ما ذكرنا؟ ومع ذلك فلأنّ ملكه وملك أولاده لم يزل منتظماً على سياق متّصل بأرض المشرق وجبالها، إلى أن قُتل يَزْدَجِرْد بن شهريار بمَرْو، أيّام عثمان بن عفّان، والتاريخ على أسماء ملوكهم أسهل بياناً وأقرب إلى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم، إذ لا يُعلم أمّة من الأمم الذين ينتسبون إلى آدم دامت لهم المملكة، واتّصل الملك لملوكهم، يأخذه آخرهم عن أوّلهم وغابرهم عن سالفهم سواهم.

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول في عُمْر آدم وأعمارَ مَنْ بعده من ولده من الملوك والأنبياء وجيومرث أبي الفرس، فأذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا

---

(١) في تاريخ الطبري «جيومرت» بالتاء المثناة، وبالفارسية «كيومرث». وفي الشاهنامة ١/١٣ «جيومرت» ومعناه عند الفرس: اسم الإنسان الأول.

(٢) في نسختي ب، ت: «دنيا وند»، وهو تحريف. والتصويب من معجم البلدان ٢/٤٧٥ حيث ضبطه بضم أوله، وسكون ثانيه، وبعده باء موحّدة، وبعد الألف واو ثم نون ساكنة، وبآخره دال. لغة في دُباوَند، وهو جبل من نواحي الريّ.

(٣) تاريخ الطبري ١/١٤٦، ١٤٧.

(٤) تاريخ الطبري ١/١٤٧.

عليهـا، واتّفقوا على ملك منهم في زمـان بعينه أنّـه هو الملك في ذلـك الـزمـان إن شـاء الله[1].

وكان آدم مع ما أعطاه الله تعـالى من مُلك الأرض نبيّاً رسـولاً إلى ولده، وأنـزل الله عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علّمه إيّاها جبرائيل.

روى أبو ذَرّ عن النبيّ، ﷺ، أنّه قـال: «الأنبياء مـائة ألف وأربعـة وعشرون ألفـاً». قال: قلتُ: يا رسول الله كم الرُّسل من ذلك؟ قـال: ثلاثمـائة وثـلاثة عشـر جمّاً غفيـراً، يعني كثيراً، طيّباً. قـال: قلتُ: مَنْ أوّلهم؟ قال: «آدم». قـال: قلتُ: يا رسـول الله وهو نبيّ مرسَل؟ قال: «نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثمّ سوّاه قُبُلاً»[2].

وكان ممّن أنزل عليه: تحريم الميتـة، والدّم، ولحم الخنـزير، وحـروف المعجم، في إحدى وعشرين ورقة[3].

---

(١) الطبري ١/١٤٨.
(٢) قبلاً: أي عياناً. وفي نسخة (ب): رجلاً والحديث أخرجه الترمذي في: تفسير سورة الناس، رقم ٢.
(٣) الطبري ١/١٥١.

ذكر ولادة شيث

ومنَ الأحداث في أيّامه ولادة شيث، وكانت ولادته بعد مضيّ مـائة وعشـرين سنة[١] لآدم، وبعد قتل هابيل بخمس سنين. وقيل: وُلد فرداً بغير تـوأم. وتفسير شِيث: هِبـةُ الله، ومعناه أنّـه خَلَفٌ من هابيـل، وهو وصيّ آدم.

وقال ابن عبّاس: كـان معه تَـوْأم. ولما حضـرت آدمَ الوفـاةُ عهد إلى شِيث وعلّمـه ساعات اللّيـل والنهار وعبـادة الخلوة[٢] في كلّ سـاعة منهـا وأعلمه بـالطوفـان[٣]، وصارت الـرياسـةُ بعد آدم إليـه، وأنـزل الله عليـه خمسين صحيفـة، وإليـه أنسـاب بني آدم كلّهم اليوم[٤].

وأمّا الفرس الذين قالوا إنّ جيومرث هو آدم، فإنّهم قالوا: وُلد لجيومرث ابنته[٥] ميشان[٦] أخت ميشى، وتزوّج ميشى أخته ميشان[٧] فولدت له سِيامك[٨] وسِيامي[٩]، فوُلد لِسيامك بن جيومرث[١٠] أفروال[١١] ودقس[١٢] وبواسب[١٣] وأجراب[١٤] واوراش، وأمّهم جميعاً سِيامي[١٥] ابنة ميشى، وهي أخت أبيهم[١٦].

---

(١) في تاريخ الطبري ١٥٢/١: «مائة وثلاثون»، وكذلك في تاريخ اليعقوبي ٧/١.

(٢) في الأصل ونسختي: ت، ر: «الخلق»، وكذا في تاريخ الطبري ١٥٢/١.

(٣) في النسخة (ر): «وأعلمه بالطرقات».

(٤) الطبري ١٥٢/١، ١٥٣، وانظر تاريخ اليعقوبي ٧/١.

(٥) في الأهل «ابنة»، وفي تاريخ الطبري ١٥٣/١ «ابنه».

(٦) عند الطبري «ميشى».

(٧) عند الطبري «ميشانه».

(٨) في النسخة (ب) سبايك. والمثبت يتفق مع الطبري.

(٩) في النسخة (ب) سباني. والمثبت يتفق مع الطبري.

(١٠) عند الطبري «فولد لسيامك بن ميشى بن جيومرت».

(١١) في النسخة (ب) «افـزوال»، وعند الطبري «أفرواك».

(١٢) في الأصل «قرد»، وفي النسخة (ت): دقس، وفي النسخة (ب): ريس، وعند الطبري «ديس».

(١٣) في النسخة (ب): نواسب، وعند الطبري «براسب».

(١٤) في النسخة (ب): أحرب. وعند الطبري «أجوب».

(١٥) في النسخة (ب): سباني.

(١٦) في النسخة (ر): أخت أمهم.

وذكروا أنّ الأرض كلّها سبعة أقاليم، فأرض بابل وما يوصل إليه[١] ممّا يأتيه النّاس برّاً وبحراً فهو من إقليم واحد، وسكّانُه ولد افروال[٢] بن سِيامك[٣] وأعقابهم، فوُلد لافروال[٤] بن سِيامك[٥] من افرى[٦] ابنة سِيامك[٧] أو شهنج[٨] بيشداد الملك، وهو الذي خَلَف جدّه جيومرث في الملك، وهو أوّل مَن جمع مُلك الأقاليم السبعة، وسنذكر أخباره.

وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا هو ابن آدم لصُلبه من حوّاء.

وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه زعم أنّ أوّل من ملك الأرض أوشهنق بن عابر[٩] بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، قال: والفرس تزعم أنّـه كان بعـد آدم بمائَتيْ سنـة، وإنّما كـان بعد نوح بمائَتيْ سنة، ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح[١٠].

والذي ذكره هشـام بن الكلبيّ لا وجه لـه، لأن أوشهنج مشهـور عند الفـرس، وكلّ قوم أعلم بأنسابهم وأيّامهم من غيرهم.

قال: وقد زعم بعض نسّابة الفرس أنّ أوشهنج هذا هو مَهلائيل، وأنّ أبـاه افروال[١١] هـو قينان، وأنّ سِيـامك[١٢] هـو أنـوش أبـو قينـان، وأنّ ميشى هـو شِيت أبـو أنـوش، وأنّ جيومرث هو آدم.

فإن كان الأمـر كما زعم فـلا شكّ أن أوشهنـج كان في زمن آدم رجـلاً، وذلك لأنّ مَهلائيل فيما ذُكر في الكتب[١٣] الأولى كانت ولادة أمّه دِينة ابنة براكيل بن محويل[١٤] بن

---

(١) في النسخة (ر): (بها) بدل (إليه).
(٢) في النسخة (ب): افزوال، وفي النسخة (ر): نسل ولد افروال. وعند الطبري «أفرواك».
(٣) في نسختي: ب، ر: سبايك.
(٤) في النسخة (ب): افزوال، وعند الطبري «أفرواك». وفي النسخة (ر): نسل ولد افروال.
(٥) في نسختي: ب، ر: سبايك.
(٦) في النسخة (ب): الارى.
(٧) في نسختي: ب، ر: سبايك.
(٨) عند الطبري «هو شنك»، وهو بالفارسية.
(٩) في النسخة (ب): عامر، والنسخة (ت) غابر.
(١٠) الطبري ١/١٥٣، ١٥٤.
(١١) في النسخة (ب): افزوال.
(١٢) في النسختين: ر، ب: سبايك.
(١٣) عند الطبري ١/١٥٤ «الكتاب».
(١٤) في الأصل «مخويل».

حنوخ[1] بن قَين بن آدم إيّاه[2] بعدما مضى من عمر آدم ثلاثمائة سنة وخمس وتسعون سنة، وقد كان له حين وفاة أبيه آدم ستّمائة سنة وخمس وستّون سنة[3]، على حساب أنّ عمر آدم كان ألف سنة.

وقد زعمت الفرسّ أنّ مُلك أوشهنج كان أربعين سنة، فإن كان الأمر على ما ذكره النسّابة الذي ذكرت عنه ما ذكرت فما يُبْعِد من[4] قال: إنّ مُلْكه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة.

ذكر وفاة آدم، عليه السلام

ذُكر أنّ آدم مرض أحد عشر يوماً، وأوصى إلى ابنه شِيث، وأمره أن يُخفيَ علمه عن قابيل وولده، لأنّه قتل هابيل حسداً منه له حين خصّه آدمُ بالعلم، فأخفى شِيث وولدُه ما عندهم من العلم، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به.

وقد روى أبو هُرَيرة، عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: «قال الله تعالى لآدم حين خلقه: ائتِ أولئك النفر من الملائكة قلِ السلام عليكم، فأتاهم فسلّم عليهم، وقالوا له: عليك السلام ورحمة الله، ثمّ رجع إلى ربّه فقال له: هذه تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك بينهم. ثمّ قبض له يديه فقال[5] له: خذْ واخترْ. فقال: أحببتُ يمين ربّي وكلتا يديه يمين، ففتحها له، فإذا فيها صورة آدم وذرّيّته كلّهم، وإذا كلّ رجل منهم مكتوب عنده أجلُه، وإذا آدم قد كُتب له عُمر ألف سنة، وإذا قوم عليهم النور، فقال: يا ربّ مَنْ هؤلاء الذين عليهم النور؟ فقال: هؤلاء الأنبياء والرُسُل الذين أرسلهم إلى عبادي، وإذا فيهم رجل هو من أضوئهم نوراً، ولم يُكتب له من العمر إلّا أربعون سنة. فقال آدم: يا ربّ هذا[6] من أضوئهم نوراً ولم تكتب له إلّا[7] أربعين سنة، بعد أن أعلمه أنّه داود، عليه السلام، فقال: ذلك ما كتبتُ له. فقال: يا ربّ انقص له من عمري ستّين سنة». فقال رسول الله ﷺ: «فلمّا أُهبط إلى

---

(١) عند الطبري «خنوخ».
(٢) في طبعة صادر (٤٩): «وأتاه»، والتصويب عن الطبري ١/١٥٤.
(٣) عند الطبري «ستمائة سنة وخمس سنين».
(٤) في نسختي ب، ر: «كمن».
(٥) في النسخة (ر): «قبض الله على يديه فقال».
(٦) في النسخة (ر): يا رب ما بال هذا.
(٧) في النسخة (ر): تكتب له من العمر إلا.

الأرض كان يَعُدّ أيّامه، فلمّا أتاه مَلَكُ الموت لقبضه[1] قال له آدم: عجّلتَ يا ملك الموت! قد بقي من عمري ستّون سنة. فقال له ملَكُ الموت: ما بقي شيء، سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود. فقال: مافعلتُ»!. فقال النبيّ، ﷺ: «فنسي آدم، فنسيت ذرّيّته، وجحد فجحدت ذرّيّته، فحينئذٍ وضع الله الكتاب، وأمر بالشهود»[2].

ورُوي عن ابن عبّاس قال[3]: لما نزلت آية الدِّين قال رسول الله ﷺ: «إنّ أوّل من جحد آدم ثلاث مرار، وإنّ الله لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارٍ[4] إلى يوم القيامة، فجعل يعرضهم على آدم، فرأى منهم رجلاً يزهَر، قال: أي ربّ أيّ بَنيّ هذا؟ قال: ابنك داود. قال: كم عمره؟ قال: ستّون سنة. قال: زِدْه من العمر[5]. قال الله تعالى: لا، إلاّ أن تزيده أنت. وكان عمر آدم ألف سنة، فوهب له أربعين سنة، فكتب عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة، فلمّا احتُضِر آدم أتته الملائكةُ لتقبض روحه فقال: قد بقي من عمري أربعون سنة. قالوا: إنّك قد وهبتَها لابنك داود. قال: ما فعلتُ ولا وهبتُ له شيئاً. فأنزل الله عليه الكتابَ وأقام الملائكةَ شهوداً. فأكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة»[6].

ورُوي مثل هذا عن جماعة، منهم سعيد بن جُبير.

وقال ابن عبّاس: كان عُمْر آدم تسعمائة سنة وستّاً وثلاثين سنة[7]، وأهل التوراة يزعمون أنّ عُمْر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة، والأخبار عن رسول الله ﷺ والعلماء ما ذكرنا، ورسول الله ﷺ، أعلم الخلق[8].

وعلى رواية أبي هريرة التي فيها أنّ آدم وهب داود من عمره ستّين سنة، لم يكنْ كثير اختلاف بين الحديثين، وما في التوراة من أنّ عُمْره كان تسعمائة وثلاثين سنة، فلعلّ الله ذكر عُمره في التوراة سوى ما وهبه لداود.

قال ابنُ إسحاق، عن يحيىَ بن عبّاد، عن أبيه قال: بلغني أنّ آدم حين مات بعث

---

(١) في النسخة (ر)، وعند الطبري ١/١٥٦ «ليقبضه».

(٢) أخرجه الترمذي في: التفسير ٢، والبخاري في: الاستئذان ١، وأحمد في المسند ٢/٣١٥.

(٣) رواه ابن أبي عاصم النبيل في: الأوائل ٢٦ رقم ٤، والسُّنّة ١/٩٠، وانظر: محاضرة الأوائل ٦٤، والوسائل ١٠٧ وفيه: أول من نسي وجحد آدم.

(٤) ذار: من ذرأ الله الخلق: خلقهم.

(٥) في نسخة (ر): «عمري».

(٦) الطبري ١/١٥٦، تاريخ الخميس ١/٥١.

(٧) مروج الذهب ١/٣٨.

(٨) في الأصل ونسخة (ر): أعلم بالحق.

الله بكفنِه[1] وحَنوطه من الجنّة، ثمّ وُلّيتِ الملائكةُ قبْره ودفْنه حتى غيّبوه[2].

وروى أُبيُّ بنُ كعب، عن النبيّ، ﷺ، أنّ آدمَ حين حضرتْه الوفاة بعث الله إليه بحَنوطه[3] وكفنه من الجنّة، فلمّا رأت حوّاء الملائكةَ ذهبت لتدخل دونهم، فقال: خلّي عنّي وعن رُسُل ربّي، فما لقيتُ ما لقيتُ إلاّ منكِ، ولا أصابني ما أصابني إلاّ فيكِ. فلمّا قُبض غسلوه بالسِّدْر والماء وِتْراً، وكفّنوه في وِتْر من الثياب، ثمّ لحدوا له ودفنوه، ثمّ قالوا: هذه سُنّة ولد آدم من بعده[4].

قال ابن عبّاس: لما مات آدم قال شِيث لجبرائيل: صلّ عليه. فقال: تقدّمْ أنت فصلّ على أبيك. فكبّر عليه ثلاثين تكبيرة، فأمّا خمس فهي الصلاة، وأمّا خمس وعشرون فتفضيلاً[5] لآدم[6].

وقيل: دُفن في غار في جبل أبي قُبيس، يقال له غار الكنز[7].

وقال ابن عبّاس: لمّا خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس.

وكانت وفاته يوم الجمعة، كما تقدّم، وذُكر أنّ حوّاء عاشت بعده سنة ثمّ ماتت، فدُفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرتُ إلى وقت الطوفان، واستخرجهما نوح، وجعلهما في تابوت، ثمّ حملهما معه في السفينة، فلمّا غاضت الأرضُ الماءَ[8] ردّهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان.

قال: وكانت حوّاء فيما ذُكر قد غزلت، ونسجت، وعجنت، وخبزت، وعملت أعمال النساء كلّها[9].

وإذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوّه إبليس، وذِكر أخبارهما، وما صنع الله بعدوّه إبليس حين تجبّر وتكبّر، من تعجيل العقوبة، وطغى وبغى من الطرد والإبعاد والنظرة إلى يوم

---

(١) في نسخة (ر): بكنفه.
(٢) الطبري ١/١٥٩، ١٦٠.
(٣) الحَنُوط: بالفتح، كل طِيب يُخْلط للميت.
(٤) الطبري ١/١٦٠.
(٥) في الأصل «تفضيلاً».
(٦) الطبري ١/١٦١.
(٧) في الأصل «غار الكبر» وفي معجم البلدان ٤/١٨٣: غار الكنز: موضع في جبل أبي قبيس دفن فيه آدم كُتبه فيما زعموا». وانظر مروج الذهب ١/٣٨.
(٨) في الأصل: «فلما غاضت بالأرض الماء». وغاضت الأرضُ الماء: أي نقصته.
(٩) الطبري ١/١٦١، ١٦٢.

الدين، وما صنع بآدم إذ أخطأ ونسي من تعجيل العقوبة له، ثمّ تغمَّده إيّاه بالرحمة إذ تاب من زلّته، فأرجع إلى ذكر قابيل وشِيث ابنَيْ آدم وأولادهما، إن شاء الله[1].

(١) قارن بالطبري ١/١٦٢.

ذِكر شيث بن آدم، عليه السلام

قد ذكرنا بعضَ أمره، وأنّه كان وصيّ آدم في مخلَّفِيه بعد مُضِيّه لسبيله، وما أنزل الله عليه من الصحف.

وقيل: إنّه لم يزل مقيماً بمكّة يحجّ ويعتمر إلى أن مات، وإنّه كان جمع ما أُنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها، وإنّه بنى الكعبةَ بالحجارة والطين[1].

وأمّا السّلفُ من علمائنا فإنّهم قالوا: لم تزل القبّة التي جعل الله لآدم مكان البيت إلى أيّام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان.

وقيل: إنّ شِيثاً لما مرض أوصى إلى ابنه أنوش[2] ومات، فدُفن مع أبوَيْه بغار أبي قُبيس؛ وكان مولده لمضيّ مائتيْ سنة وخمسٍ وثلاثين سنة من عمر آدم، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم، وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائةً سنة واثنتا عشرة سنة[3].

وقام أنوش بن شِيث بعد موت أبيه بسياسة المُلْك وتدبير مَنْ تحت يديه من رعيّته مقام أبيه، لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل، فكان جميع عمر أنوش تسعمائة[4] وخمس سنين، وكان مولده بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستّمائة سنة وخمس سنين، وهذا قول أهل التوراة[5].

وقال ابن عبّاس: وُلِد لشيث أنوش، ووُلِد معه نفر كثير، وإليه أوصى شيث، ثمّ ولد لأنوش بن شيث ابنه قَيْنَان[6] من أخته نَعمة بنت شيث بعد مضيّ تسعين سنة من عمر

---

(١) الطبري ١/١٦٢.

(٢) أنوش: كصبور. قال في تاج العروس ٤/٢٨٠: «ويقال: يانش كصاحب آدم، ويقال إنوش بكسر الهمزة بمعنى إنسان».

(٣) العهد القديم ـ سفر التكوين، الإصحاح الخامس (١١)، مروج الذهب ١/٣٩.

(٤) في الأصل، وفي طبعة صادر (٥٤): سبعمائة، والتصحيح من الطبري ١/١٦٣، والعهد القديم ـ التكوين، الإصحاح ٥/١١.

(٥) الطبري ١/١٦٣.

(٦) هكذا ضبطه في تاج العروس، بفتح القاف ومدّ النون الأولى. وفي العهد القديم، التكوين، إصحاح ١٢/٥ «قينان» بكسر القاف.

أنوش، وولد معه نفر كثير، وإليه الوصيّة، وولـد قَيْنانُ مَهـلائيلَ[1] ونفـراً كثيراً معـه، وإليه الوصيّة، وولد مهلائيلُ يَرْدَ، وهو اليارَد[2]، ونفراً معه، وإليه الوصيّة، فولـد يَرْدُ حنـوخ[3]، وهو إدريس النبيّ، ونفراً معـه، وإليه الـوصيّة، وولـد حنوخُ مَتُـوشَلَخَ[4] ونفراً معـه، وإليه الوصيّة.

وأمّـا التوراة[5] ففيهـا أنّ مهلائيـل وُلد بعـد أن مضى من عمـر آدم، عليـه السـلام، ثلاثمائة وخمس وتسعون سنة، ومن عمر قَيْنان سبعون، ووُلـد يَرْد لمهـلائيل بعـدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستّون سنة، فكان على منهاج أبيه، غير أنّ الأحداث بدأت في زمانه.

---

(١) في سفر التكوين ١٥/٥ «مَهْلَلْئيل». والمثبت يتفق مع الطبري ١٦٤/١.

(٢) كذا في سفر التكوين ١٥/٥.

(٣) يقال: خنوخ، وحنوخ وأُخْنُوخ. واللفظ الأخير في سفر التكوين ١٨/٥، وفي تاريخ الطبري ١٦٤/١.

(٤) في سفر التكوين ٢١/٥ «مَتُوشالَح» بالحاء المهملة.

(٥) سفر التكوين ـ ص ٩ ـ طبعة دار الكتاب المقدّس بالقاهرة ١٩٦٨ م.

ذكر الأحداث التي كانت من لدُن مُلك شيث إلى أن ملك يَرْد

ذُكر أنّ قابيل لما قتل هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن، أتاه إبليس فقال له: إنّ هابيل إنّما قُبل قُربانه وأكلته النّارُ، لأنّه كان يخدُم النّارَ ويعبدُها، فانصبْ أنتَ أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك. فبنى بيتَ نار، فهو أوّل من نصب النّار وعبدها[1].

وقال ابن إسحاق: إنّ قَيْناً، وهو قابيل، نكح أخته أشوت[2] بنت آدم، فولدت له رجلاً وامرأة: حنوخ بن قَيْن، وعَذَب بنت قَيْن، فنكح حنوخُ أختَه عَذب، فولدت ثلاثة بنين وامرأة: غيرد[3]، ومحويل، وأنوشيل[4]، ومويليث ابنة حنوخ، فنكح أنوشيل بن حنوخ أخته مويليث، وولدت له رجلاً اسمه لامك، فنكح لامك امرأتين اسم إحداهما عدَّى، والأخرى صلَّى، فولدت عدّى تولين[5] بن لامك، فكان أوّل مَنْ سكن القباب واقتنى المال، وتوبلين[6] فكان أوّل مَن ضرب بالوَنَج[7] والصَّنْج، وولدت رجلاً اسمه توبلقين، وكان أوّل من عمل النّحاس والحديد، وكان أولادهم فراعنة وجبابرة، وكانوا قد أُعطوا بَسطَةً في الخَلْق.

قال: ثمّ انقرض ولد قَيْن، ولم يتركوا عقباً إلاّ قليلاً، وذرّيّة آدم كلّها جُهلت أنسابهم، وانقطع نسْلُهم إلاّ ما كان من شيث، فمنه كان النّسل، وأنساب النّاسِ اليوم كلّهم إليه دون أبيه آدم.

ولم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وولده إلاّ ما حكيتُ.

---

(١) الطبري ١/١٦٥.

(٢) في النسخة (ب)، والطبري «أشوث».

(٣) في تاريخ الطبري «عيرد» بالعين المهملة ١/١٦٥.

(٤) في النسختين: ب، ت: «أتوشيل»، والمثبت يتفق مع الطبري.

(٥) كذا في الأصل والنسخة ت، والطبري ١/١٦٥، وفي نسخة (ر): فولدت له عدى بولين بن لامك. وفي طبعة صادر (٥٦): «بولس».

(٦) في تاريخ الطبري «توبيش».

(٧) الوَنَج: المعزف، وهو العود أو المزهر.

وقال غيره من أهل التوراة: إنّ أوّل من اتخذ الملاهي من ولد قابيل[1] رجل يقال له ثوبال[2] بن قابيل، اتخذها في زمان مهلائيل بن قَيْنان، اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف، فانهمك ولد قابيل[1] في اللّهو. وتناهى خبرُهم إلى منْ بالجبل من ولد شِيث، فهمّ منهم مائة رجل بالنزول إليهم، وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم، وبلغ ذلك يارَد، فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا، ونزلوا إلى ولد قابيل[1]، فأعجبوا بما رأوا منهم، فلمّا أرادوا الرجوع حِيل بينهم وبين ذلك لدعوةٍ سبقت من آبائهم، فلمّا أبطأوا ظنّ من بالجبل ممّن كان في نفسه زيغ أنّهم أقاموا اغتباطاً، فتسلّلوا[3] ينزلون من الجبل، ورأوا اللّهو فأعجبهم، ووافقوا نساءً من ولد قابيل[1] متشرّعات[4] إليهم، وصرْن معهم، وانهمكوا في الطغيان، وفشتِ الفحشاء وشُرْب الخمر فيهم.

وهذا القول غير بعيد من الحقّ، وذلك أنّه قد رُوي عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحوٌ منه، وإن لم يكونوا بيّنوا زمان مَنْ حدث ذلك في ملكه، إلاّ أنّهم ذكروا أنّ ذلك كان فيما بين آدم ونوح؛ منهم ابن عبّاس أو مثله.

ومثله روى الحَكَم بن عُتَيبة، عن أبيه، مع اختلاف قريب من القولَين، والله أعلم.

وأمّا نسّابو الفرس، فقد ذكرتُ ما قالوا في مَهلائيل بن قَيْنَان، وأنّه هو أوشهنج الذي ملك الأقاليم السبعة، وبيّنتُ قولَ مَن خالفهم.

وقال هشام بن الكلبيّ: إنّه أوّل مَنْ بنى البناء واستخرج المعادن، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد، وبنى مدينتين كانتا أوّل ما بُني على ظهر الأرض من المدائن، وهما مدينة بابل، وهي بالعراق، ومدينة السُّوس بخُوزِسْتان، وكان ملكه أربعين سنة[5].

وقال غيره: هو أوّل من استنبط الحديدَ، وعمل منه الأدوات للصناعات، وقدّر[6] المياه في مواضع المنافع، وحضّ النّاسَ على الزراعة واعتماد[7] الأعمال، وأمر بقتل السباع الضارية، واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش، وبذبح البقر والغنم والوحش وأكْل لحومها، وإنّه بنى مدينة الرَّيّ.

---

(١) في تاريخ الطبري ١/١٦٦ «قايين».
(٢) في النسخة (ر): «قوبال» بالقاف، وعند الطبري «توبال» بالتاء المثنّاة، وفي تاريخ اليعقوبي ١/١٠ «يوبل».
(٣) عند الطبري «فتساللوا».
(٤) عند الطبري «متسرّعات».
(٥) اليعقوبي ١/١١.
(٦) في الأصل «قرر»، والتصويب من بقية النُسخ، ومن الطبري ١/١٦٨.
(٧) في النسخة (ر)، وعند الطبري «اعتمال».

قالوا: وهي أوّل مدينة بُنيت بعد مدينة جُيومَرْث التي كان يسكنها بدُنْباوَند.

وقالوا: إنّه أوّل من وضع الأحكام والحدود. وكان ملقّباً بذلك يُدعى بيشداد[1]، ومعناه بالفارسيّة أوّل من حكم بالعدل، وذلك أنّ «بيش»[2] معناه أوّل، و «داد» معناه عَدَلَ وقضى[3]. وهو أوّل من استخدم الجواري، وأوّل من قطع الشجر وجعله في البناء، وذكروا أنّه نزل الهند وتنقّل في البلاد، وعقد على رأسه تاجاً، وذكروا أنّه قهر إبليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالنّاس، وتوعّدهم على ذلك، وقتل مَرَدَتهم، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال، فلمّا مات عادوا.

وقيل: إنّه سمّى شرارَ النّاس شياطين واستخدمهم، وملك الأقاليم كلّها. وإنّه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة[4].

(عُتَيْبَة بالعين، وبعدها تاء فوقها نقطتان، وياء تحتها نقطتان، وباء موحّدة).

---

(١) عند الطبري ١/١٦٩ «فيشداذ».

(٢) عند الطبري «فاش».

(٣) عند الطبري «عدل وقضاء».

(٤) الطبري ١/١٦٩.

ذكر يَرْد

وقيل يارَد بن مهلائيل أمّه خالتـه[1] سمعن[2] ابنة بـراكيل بن محـويل بن حنـوخ[3] بن قَيْن بن آدم، وُلد بعدما مضى من عمر آدم أربعمائة سنـة وستّون سنـة، وفي أيّامـه عُملت الأصنام وعاد من عـاد عن الإسلام. ثمّ نكـح يرد، في قـول ابن إسحاق، وهـو ابن مائـة واثنتين وستّين سنة، بركتا[4] ابنة الدرمسيل بن محويل بن حنوخ بن قَيْن بن آدم، فولدت له حنوخ[5]، وهو إدريس النبيّ، فكان أوّل بني آدم أُعطي النبوّة وخطّ بالقلم، وأوّل من نـظر في علوم النجـوم والحساب. وحكمـاء اليونـانيّين يسمّونـه هِـرْمِس الحكيم، وهـو عـظيم عندهم، فعاش يَرْد بعد مولد إدريس ثمـانمائـة سنة، ووُلـد له بنـون وبنات، فكـان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستّين سنة[6].

وقيل: أُنزل على إدريس ثلاثون صحيفـة، وهو أوّل من جـاهد في سبيـل الله وقطع الثياب وخاطهـا، وأوّل من سبَى من ولد قـابيل بن آدم فـاسترقّ منهم، وكـان وصيَّ والده يَرْد، فيما كان آباؤه وصّوا به إليه، وفيما أوصى بعضهم بعضاً.

وتـوفّي آدم بعد أن مضى من عمـر إدريس ثلاثمـائة وثمـاني سنين[7]، ودعـا إدريس قومَه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان، وأن لا يُلابسوا ولدَ قـابيل، فلم يقبلوا منه[8].

قال: وفي التوراة[9] أنّ الله رفـع إدريس بعد ثـلاثمائـة سنة وخمس وستّين سنـة من

---

(١) في تاريخ الطبري ١/١٦٩: «فولد يرد لمهلائيل من خالته».
(٢) في النسخة (ت) «سمقن».
(٣) عند الطبري «خنوخ».
(٤) في النسخة (ب): «يركتا». وفي تاريخ الطبري ١/١٧٠ «بركنا».
(٥) عند الطبري «أخنوخ».
(٦) الطبري ١/١٧٠، العهد القديم، سفر التكوين ـ إصحاح ٥/٢٠.
(٧) في النسخة (ب): وستين سنة.
(٨) الطبري ١/١٧٠.
(٩) الإصحاح ٥/٢٣ من سفر التكوين.

عمره، وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمساً وثلاثين سنة، تمام تسعمائة واثنتين وستّين سنة[1].

قال النبيّ، ﷺ: يا أبا ذَرّ مِنَ الرسل أربعة سريانيّون: آدم، وشِيث، [ونوح][2] وحنوخ، وهو أوّل من خطّ بالقلم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة.

وقيل: إنّ الله أرسله إلى جميع أهل الأرض في زمانه، وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة. وقال بعضهم: ملك بِيَوراسب في عهد إدريس، وكان قد وقع عليه[3] من كلام آدم، فاتخذه سحراً، وكان بيوراسب يعمل به.

(يارد بياء معجمة باثنتين من تحتها، وراء مهملة، وذال معجمة[4]. وحَنوخ بحاء مهملة مفتوحة، ونون بعدها واو، وخاء معجمة، وقيل: بخائين معجمتَين).

---

(١) الطبري ١/١٧٠.

(٢) الإضافة على الأصل يقتضيها السياق، وهي من الطبري ١/١٧١.

(٣) في النسخة (ب): «إليه»، وكذا عند الطبري.

(٤) ورد اسم «يارد» بدال مهملة في الأصل، وهو كذلك عند الطبري.

ذِكْر ملك طهمورث

زعمت الفرس أنّه ملك بعد موت أوشهنج طَهْمُورُث بن وِيوَنجهان[1]، يعني خير أهل الأرض، ابن حبايداد[2] بن أوشهنج، وقيل في نسبه غير ذلك.

وزعم الفرس أيضاً أنّه ملك الأقاليم السبعة، وعقد على رأسه تاجاً، وكان محموداً في ملكه، مشفقاً على رعيّته، وأنّه ابتنى سابورَ من فارس ونزلها، وتنقّل في البلدان، وأنّه وثب بإبليس حتى ركبه، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها، وأفزعه وَمَرَدَتَهُ حتى تفرّقوا، وكان أوّل من اتخذ الصوفَ والشّعر للّبس والفُرُش، وأوّل من اتخذ زينةَ الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها، وأخذ الجوارح للصيد، وكتب بالفارسيّة، وأنّ بيَوراسب ظهر في أوّل سنة من ملكه، ودعا إلى ملّة الصائبين.

كذا قال أبو جعفر[3] وغيره من العلماء[4]: إنّه ركب إبليس وطاف عليه، والعهدة عليهم، وإنّما نحن نقلنا ما قالوه.

قال ابن الكلبيّ: أوّل ملوك الأرض من بابل طهمورث، وكان لله مطيعاً، وكان ملكه أربعين سنة، وهو أوّل من كتب بالفارسيّة، وفي أيّامه عُبدت الأصنام، وأوّل ما عُرف الصوم في ملكه. وسببه أنّ قوماً فقراء تعذّر عليهم القُوت، فأمسكوا نهاراً، وأكلوا ليلاً ما يُمسك رمقهم، ثمّ اعتقدوه تقرُّباً إلى الله، وجاءت الشرائع به.

---

(١) في النسخة (ب): «وتريجهان».
(٢) كذا في الأصل. وفي نسختي: ب، ت «حبايدار» (بالراء)، وفي النسخة (ر) «حبايدان». وفي تاريخ الطبري ١/١٧١ «خُبانداذ بن خُيايذار».
(٣) تاريخ الطبري ١/١٧٢.
(٤) أنظر: تاريخ الخميس للديار بكري ١/٧٤.

ذِكْر حنوخ وهو إدريس عليه السلام

ثمّ نكح حَنوخ بن يَرْد هدّانة[1]، وتقال أذّانـة، ابنة بـاويل بن محـويل بن حنـوخ بن قَيْن بنِ آدم، وهو ابن خمس وستّين سنة، فولدت لـه مَتُوشَلَخ بن حنـوخ[2]، فعاش بعـدما ولد مَتوشَلَخ ثلاثمائة سنة، ثمّ رُفع، واستخلفه[3] حنـوخ على أمر ولـده وأمر الله، وأوصـاه وأهلَ بيته قبل أن يُرْفَع، وأعلمهم أنّ الله سوف يعذِّب ولد قابيل[4] ومن خالطهم، ونهـاهم عن مخالطتهم، وإنّه كان أوّل من ركب الخيل، لإنّه سلك رسْم أبيـه حنوخ في الجهـاد، ثمّ نكح متوشلخ عربا[5] ابنـة عزازيـل[6] بن أنوشيـل بن حنوخ بن قَيْن، وهـو ابن مائـة سنةٍ وسبعٍ وثلاثين[7] سنة، فولدت له لَمَك بن مَتُوشَلَخ، فعاش بعدما وُلد لـه لمك سبـع مائـة سنة، ووُلد له بنون وبنات، فكان كلُّ ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة[8] سنة.

ثمّ مات وأوصى إلى ابنه لمـك، فكان لمـك يعظ قومـه وينهاهم عن مخـالطة ولـد قابيل[9]، فلم يقبلوا حتى نزل إليهم جميع من كان معهم في الجبل.

وقيل: كان لمتوشلَخ ابن آخر غير لمك يقال له صابي، وبه سُمّي الصابئون.

(قلتُ: محويل بحاء مهملة، وياء معجمة باثنتين من تحت.

وقَيْن بقاف، وياء معجمة باثنتين من تحت. ومَتُوشَلَخ بفتح الميم، وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق، وبالشين المعجمة، وبحاء مهملة، وقيل خاء معجمة).

---

(١) في النسخة (ب): «هداية».
(٢) عند الطبري ١/١٧٢ «أخنوخ»، وكذا عند المسعودي ١/٣٩، والديار بكري ١/٧٤.
(٣) في الأصل «استعمله»، والتصحيح من النسخ الأخرى، والطبري.
(٤) في النسخة (ت)، وتاريخ الطبري ١/١٧٣ «قايين».
(٥) في النسخة (ب): «عزّا».
(٦) في النسخة (ر)، والطبري «عزرايل».
(٧) في النسخة (ب) «ثمانون».
(٨) في الأصل «تسعمائة سنة وسبعاً وعشرين»، والمثبت عن بقية النسخ وتاريخ الطبري ١/١٧٣.
(٩) عند الطبري «قايين».

ونكح لمك بن مَتُوشَلَخ قينوش[1] ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قَيْن، وهو ابن مائة سنة وسبعٍ وثمانين سنة، فولدت له نوح بن لمك، وهو النبيّ، فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمساً وتسعين سنة، ووُلد له بنون وبنات ثمّ مات.

ونكح نوح بن لمك عزرة[2] بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قَيْن، وهو ابن خمسمائة سنة، فولدت له ولده ساماً، وحاماً، ويافث، بني نوح.

وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وستّ وعشرين سنة، ولما أدرك قال له أبوه لمك: قد علمتَ أنّه لم يبقَ في هذا الجبل غيرنا، فلا تستوحش ولا تتبع الأمّة الخاطئة. وكان نوح يدعو قومه ويَعِظُهم فيستخفّون به[3].

وقيل: كان نوح في عهد بِيَوَرَاسب وكانوا قومه[4]، فدعاهم إلى الله تسعمائة [وستة][5] وخمسين سنة، كلّما مضى قرن اتبعهم[6] قرن على ملّة واحدة من الكفر، حتى أنزل الله عليهم العذاب.

وقال ابن عبّاس فيما رواه ابن الكلبيّ، عن أبي صالح عنه: فولد لمك نوحاً، وكان له يوم وُلد نوح اثنتان وثمانون سنة، ولم يكن في ذلك الزمان أحد يَنهَى عن مُنْكَرٍ، فبعث الله إليهم نوحاً، وهو ابن أربع مائة[7] وثمانين سنة، فدعاهم مائة وعشرين سنة، ثمّ أمره الله بصنعة الفُلك، فصنعها وركبها، وهو ابن ستمائة سنة، وغرقَ مَنْ غرق، ثمّ مكث من بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة[8].

ورُوي عن جماعة من السلف، أنّه كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلّهم على ملّة الحقّ[9]، وأنّ الكفر بالله حدث في القرن الذي بُعث فيه إليهم نوح[10]، فأرسله الله، وهو أوّل نبيّ بُعث بالإنذار والدّعاء إلى التوحيد؛ وهو قول ابن عبّاس، وقَتَادة.

---

(١) في نسختي: ب، ت «فينوش» بالفاء، وعند الطبري ١/١٧٣ «بتنوس».
(٢) في تاريخ الطبري «عمذرة».
(٣) الطبري ١/١٧٣، ١٧٤.
(٤) عند الطبري: «وكان قومه يعبدون الأصنام».
(٥) ساقطة من طبعة صادر (٦٣). وأثبتناها عن الطبري.
(٦) في النسخة (ت): «أتتهم».
(٧) في الأصل «مائة وثمانون»، والمثبت عن بقية النُسخ، والطبري.
(٨) الطبري ١/١٧٤.
(٩) البدء والتاريخ للمقدسي ٢/١٥٤.
(١٠) في الأصل «بعث إليهم نوح».

ذِكْر ملك جَمْشيد

وأمّا علماء الفرس فإنّهم قالوا: ملك بعد طهمورث جَم شيد[1]، والشيد عندهم: الشعاع، وجم القمر، لقّبوه بذلك لجماله، وهو جَم بن وِيوَنجهان، وهو أخو طهمورث[2].

وقيل: إنّه ملك الأقاليم السبعة، وسُخِّر له ما فيها من الجنّ والإنس، وعُقد التاج على رأسه، وأمر لسنةٍ مضت من ملكه إلى سنة خمسٍ منه[3] بعمل السيوف والدروع وسائر الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد، ومن سنة خمسين من مُلكه إلى سنة مائة بعمل الإبريسم وغزْله والقطن والكتّان، وكلّ ما يستطاع غزله، وحياكة ذلك وصبْغه ألواناً ولبسه، ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف النّاسَ أربع طبقات: طبقة مقاتلة، وطبقة فقهاء، وطبقة كُتّاب وصُنّاع، وطبقة حرّاثين، واتخذ منهم خَدَماً[4]، ووضع لكلّ أمر خاتماً مخصوصاً به، فكتب على خاتم الحرب: الرفق والمداراة، وعلى خاتم الخراج: العمارة والعدل، وعلى خاتم البريد والرُسُل: الصدق والأمانة، وعلى خاتم المظالم: السياسة والانتصاف، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الإسلام.

ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلّهم وقهرهم وسُخِّروا له.

ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ستّ عشرة وثلاثمائة[5] وكَّلَ الشياطين بقطْع الأحجار والصخور من الجبال، وعمل الرخام والجصّ والكَلْس، والبناء بذلك الحمّامات، والنقلِ من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضّة وسائر ما يذاب من الجواهر، وأنواع الطِّيب والأدوية، فنفذوا في ذلك بأمره، ثمّ أمر فصُنعت له عَجَلة من

---

(١) في النسخة (ت): «جم الشيدَ»، وعند الطبري «جم الشيذ».

(٢) تاريخ الخميس ١/٧٦.

(٣) في طبعة صادر (٦٤): «من ملكه إلى خمسين سنة» وهذا لا يصح، والتصويب. من تاريخ الطبري ١/١٧٥.

(٤) حتى هنا عن الطبري ١/١٧٥، وانظر مرآة الزمان ١/٢٣٥.

(٥) في نسختي: ب، ت: «مائة وثلاثة آلاف».

الزجاج، فأصفد[1] فيها الشياطين وركبها، وأقبل عليها في الهواء من دُنْباوَند إلى بابل في يوم واحد، وهو يوم هرمزروز وافروز دين ماه[2]، فاتخذ النّاس ذلك اليوم عيداً وخمسة أيّام بعده. وكتب إلى النّاس في اليوم السادس يخبرهم أنّه قد سار فيهم بسيرةٍ ارتضاها الله، فكان من جزائه إيّاه عليها أنّه قد جنّبهم الحَرَّ والبردَ والأسقامَ والهرَم والحسد، فمكث النّاس ثلاثمائة سنة بعد الثلاثمائة والستّ عشرة سنة، لا يصيبهم شيء ممّا ذكر[3].

ثمّ بنى قنطرة على دجلة، فبقيت دهراً طويلاً حتى خرّبها الإسكندر، وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعدلوا إلى عمل الجسور من الخشب.

ثمّ إنّ جمّاً بطر نعمةَ الله عليه، وجمع الإنس والجنّ والشياطين، وأخبرهم أنّه وليُّهم ومانعهم بقوّته من الأسقام والهرم والموت، وتمادى في غيّه، فلم يُحِرْ أحد منهم جواباً، وفقد مكانُه بهاءه[4] وعزَّه وتخلّت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره. فأحسّ بذلك بِيوَراسب الذي تسمّى الضحّاك، فابتدر إلى جَم لينتهسه[5]، فهرب منه، ثمّ ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاسترط أمعاءه ونشره بمنشار[6].

وقيل: إنّه ادّعى الربوبيّة، فوثب عليه أخوه ليقتله، واسمه اسغتور[7]، فتوارى عنه مائة سنة، فخرج عليه في تواريه بيوراسب، فغلبه على ملكه.

وقيل: كان مُلكه سبعمائة سنة وستّ عشرة سنة وأربعة أشهر[8].

قلتُ: وهذا الفصل من حديث جَم قد أتينا به تامّاً بعد أن كنّا عازمين على تركه، لِما فيه من الأشياء التي تمجّها الأسماعُ، وتأباها العقولُ والطِباع، فإنّها من خُرافات الفُرْس، مع أشياء أُخَر قد تقدّمت قبلَها، وإنّما ذكرناها ليُعلَمَ جهلُ الفرس، فإنّهم كثيراً ما يشنّعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا؛ ولأنّا لو كنّا تركنا هذا الفصل لخلا من شيءٍ نذكره من أخبارهم.

---

(١) في النسخة (ر): «فصعد».

(٢) في تاريخ الطبري ١/ ١٧٥ «يوم هرمز أز فروردين ماه».

(٣) الطبري ١/ ١٧٥، ١٧٦.

(٤) في النسخة (ر): «نهاية».

(٥) في الأصل «لينتهشه»، وفي النسخة (ب) «لينهيه»، وفي النسخة (ر) «لتنشه»، والمثبت عن النسخة (ت) والطبري ١/ ١٧٦.

(٦) في طبعة صادر «فاستطرد أمعاءه، وأشره بمنشار»، وفي الأصل ونسختي: ت، ر: «ونشر بمنشار»، والمثبت اعتماداً على تاريخ الطبري ١/ ١٧٦ وفيه «فامتلخ أمعاءه واسْترطها، ونشره بمنشار» واسترط، من السرط، وهو «البلع».

(٧) هكذا في الأصل، وفي نسخة (ت): «اسفتور» كما عند الطبري، وفي (ب) و(ر) «اسفنور».

(٨) ويضيف الطبري ١/ ١٧٦ «وعشرين يوماً».

ذِكر الأحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام[1]

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين أُرسل إليهم نوح، فمنهم مَنْ قال إنّهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله.

ومنهم من قال: إنّهم كانوا أهل طاعة. وبيوراسب أوّل مَنْ أظهر القول بمذهب الصابئين، وتبعه على ذلك الذين أُرسل إليهم نوح، وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد.

وأمّا كتاب الله، قال: فينطِقُ بأنهمْ أهْل أوثانٍ؛ قال تعالى: **﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾**[2].

قلت[3]: لا تناقض بين هذه الأقاويل الثلاثة، فإنّ القول الحقّ الذي لا يُشكّ فيه هو أنّهم كانوا أهل أوثان يعبدونها، كما نطق به القرآن، وهو مذهب طائفة من الصابئين، فإنّ أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيّين، وهم الملائكة لتقرّبهم إلى الله تعالى زُلْفى، فإنّهم اعترفوا بصانع العالم، وأنّه حكيم قادر مقدَّس، إلاّ أنّهم قالوا: الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى معرفة جلاله، وإنّما نتقرّب إليه بالوسائط المقرِّبة لديه، وهم الروحانيّون، وحيث لم يعاينوا الروحانيّين تقرّبوا إليهم بالهياكل، وهي الكواكب السبعة السيارة لأنّها مدبِّرة لهذا العالم عندهم، ثمّ ذهبت طائفة منهم، وهم أصحاب الأشخاص، حيث رأوا أن الهياكل تطلع وتغرب، وتُرى ليلاً ولا تُرى نهاراً، إلى وضع الأصنام لتكون نُصْب أعينهم ليتوسّلوا بها إلى الهياكل، والهياكل إلى الروحانيّين، والروحانيّون إلى صانع العالم؛ فهذا[4] كان أصل وضع الأصنام أوّلاً، وقد كان أخيراً في العرب مَنْ هو على هذا الاعتقاد، وقال تعالى: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيُقَرِّبُونَا إلى الله زُلْفَى﴾**[5]. فقد حصل من عبادة

---

(١) أنظر: تاريخ الخميس ١/٣٧ ـ ٨٣.

(٢) نوح/٢٣ ـ ٢٤.

(٣) في الأصل: ولا قلت.

(٤) في الأصل «فهذا».

(٥) الزمر/٣.

الأصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش، وغير ذلك من المعاصي.

فلمّا تمادى قومُ نوح على كُفْرهم وعصيانهم، بعث الله إليهم نوحاً يحذّرهم بأسَه ونقْمته، ويدعوهم إلى التوبة والرجوع إلى الحقّ، والعمل بما أمر الله تعالى، وأُرسل نوح، وهو ابن خمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً.

وقال عون بن أبي شدّاد: إنّ الله تعالى أرسل نوحاً وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً، ثمّ عاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة[1]، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم.

قال ابن إسحاق وغيره: إنّ قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه[2] حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهمّ اغفر لي ولقومي فإنّهم لا يعلمون! حتى إذا تمادوا في معصيتهم وعظُمت منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأنُ، اشتدّ عليه البلاء، وانتظر النجل بعد النجل، فلا يأتي قرن إلّا كان أخبث من الذي كان قبله، حتى إن كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنوناً لا يقبلون منه شيئاً، وكان يُضرب ويُلفّ ويُلقى في بيته، يرون أنّه قد مات، فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم إلى الله، فلمّا طال ذلك عليه ورأى الأولادَ شرّاً من الآباء قال: ربِّ قد ترى ما يفعل بي عبادك، فإن تكُ لك فيهم حاجة فاهدِهم، وإن يكُ غير ذلك فصيّرني إلى أن تحكم فيهم. فأوحى إليه: إنّه لن يؤمن من قومك إلّا من قد آمن، فلمّا يئس من إيمانهم دعا عليهم فقال: ﴿**رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾[3]، إلى آخر القصّة. فلمّا شكا إلى الله واستنصره عليهم، أوحى الله إليه أن: ﴿**اصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾[4]. فأقبل نوح على عمل الفُلْك، ولها عن دعاء قومه، وجعل يهيّء عتاد[5] الفُلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مِمّا لا يصلحه سواه، وجعل قومُه يمرّون به وهو في عمله، فيسخرون منه، فيقول: ﴿**إِنْ تَسْخَرُوا مِنّا فَإِنّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ، فَسَوْفَ**[6] **تَعْلَمُونَ**﴾[7].

قال: ويقولون: يا نوح قد صرتَ نجّاراً بعد النبوّة! وأعقم الله أرحامَ النساء فلا يولَد

(١) الطبري ١/١٧٩.
(٢) في الأصل «فيخنقون».
(٣) نوح/٢٦.
(٤) هود/٣٧.
(٥) في النسخة (ب): «عماد»، وفي تاريخ الطبري ١/١٨٣ «عُدة».
(٦) في الأصل «تسخرون منا فسوف».
(٧) نوح/٣٨ ـ ٣٩.

لهم، وصنع الفُلك من خشب السّاج، وأمره أن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً، وطوله[1] في السماء ثلاثين[2] ذراعاً[3].

وقال قَتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً[*].

وقال الحسن: كان طولها ألف ذراع ومائتيْ ذراع، وعرضها ستّمائة ذراع، والله أعلم.

وأمر نوحاً أن يجعله ثلاث طبقات: سُفْلي ووُسْطى وعُلْيا، ففعل نوح كما أمره الله تعالى، حتى إذا فرغ منه وقد عَهِد الله إليه ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ[4] فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ﴾[5] وقد جعل التنوّرَ آيةً فيما بينه وبينه. فلمّا فار التنوّر، وكان فيما قيل من حجارة، كان لحوّاء[6].

وقال ابن عبّاس: كان ذلك تنّوراً من أرض الهند[7].

وقال مجاهد، والشعبيّ: كان التنّور بأرض الكوفة، وأخبرته زوجته بفَوران الماء من التنّور[8].

وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة إلى السماء الرابعة، وكانت من ياقوت الجنّة، كما ذكرناه، وخبّأ الحجرَ الأسود بجبل أبي قُبيس، فبقي فيه إلى أن بنى إبراهيم البيت، فأخذه فجعله موضعه[9].

ولما فار التنّور حمل نوح مَنْ أمر الله بحمله، وكانوا أولاده الثلاثة: سام، وحام، ويافث، ونساءهم، وستّة أناسيّ، فكانوا مع نوح [ثلاثة][10] عشر.

---

(١) في الأصل «ارتفاعه»، والمثبت عن بقية النسخ وتاريخ الطبري.
(٢) في النسخة (ر): «طولها ستمائة».
(٣) تاريخ الطبري ١/١٨٢، ١٨٣.
(*) تاريخ اليعقوبي ١/١٤.
(٤) في الأصل: «التنور فاحمل».
(٥) هود/٤٠.
(٦) أنظر تاريخ الطبري ١/١٨٣، ١٨٦.
(٧) الطبري ١/١٨٦.
(٨) الطبري ١/١٨٧.
(٩) أنظر: أخبار مكة، للأزرقي ١/٥٠، ٥١.
(١٠) إضافة على الأصل، حيث يضاف زوجة نوح إلى المجموع. وعبارة الطبري ١/١٨٩ «فكانوا عشرة نفر بنوح=

وقال ابن عبّاس: كان في السفينة ثمانون رجلاً، أحدهم جُرْهُم، كلّهم بنو شيث[1].

وقال قَتَادة: كانوا ثمانية أنفس: نوح وامرأته وثلاثة بنوه، ونساؤهم[2].

وقال الأعمش[3]: كانوا سبعة، ولم يذكر فيهم زوج نوح.

وحمل معه جسد آدم، ثمّ أدخل ما أمر الله به من الدوابّ، وتخلّف عنه ابنه يام، وكان كافراً[4]، وكان آخر من دخل السفينة الحمار، فلمّا دخل صدرُه تعلّق إبليس بذَنَبه، فلم ترتفع رِجْلاه، فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع، حتى قال: ادخلْ وإنْ كان الشيطان معك. فقال كلمة زلّت على لسانه، فلمّا قالها دخل الشيطانُ معه، فقال له نوح: ما أدخلك يا عدوّ الله؟ فقال: ألم تقلِ ادخل وإن كان الشيطان معك؟ فتركه[5].

ولما أُمر نوح بإدخال الحيوان السفينة قال: أَي ربِّ كيف أصنع بالأسد والبقرة؟ وكيف أصنع بالعَناق والذئب والطير والهرّ؟ قال: الذي ألقى بينهما العداوة هو يؤلّف بينها. فألقى الحُمّى على الأسد وشغله بنفسه، ولذلك قيل:

وَمَا الكلبُ مَحموماً وإن طالَ عمرُهُ ... ولكنّما الحُمّى على الأسَدِ الوِرْد

وجعل نوح الطير في الطبق الأسفل من السفينة، وجعل الوحش في الطبق الأوسط، وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الأعلى.

فلمّا اطمأنّ نوح في الفُلْك وأدخل فيه كلّ مَنْ أمر به، وكان ذلك بعد ستّمائة سنة من عمره، في قول بعضهم، وفي قول بعضهم ما ذكرناه، وحمل معه من حمل، جاء الماء كما قال الله تعالى: **﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾**[6]. فكان بين أن أُرسل الماء وبين أن احتمل[7] الماءُ الفُلْكَ، أربعون يوماً وأربعون ليلة[8]، وكثر واشتدّ وارتفع وطَمَى، وغطّى نوح عليه وعلى من معه

= وبنيه وأزواجهم».

(١) الطبري ١/١٨٧.

(٢) الطبري ١/١٨٨.

(٣) الطبري ١/١٨٨.

(٤) في الأصل هنا «قال ابن عباس».

(٥) الطبري ١/١٨٤، عرائس المجالس، للثعالبي ٥٦، مرآة الزمان ١/٢٤١.

(٦) القمر/١١ ـ ١٢.

(٧) في الأصل «يحتمل».

(٨) سفر التكوين ـ الإصحاح ١٧/٧.

طبق السفينة، وجعلت الفُلْك تجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوح ابنَه الـذي هلك، وكان في معزِلٍ: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ[1] الكَافِرِينَ﴾[2] وكان كـافراً؛ ﴿قَالَ: سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ﴾[3]، وكان عهد الجبالَ وهي حِرْز وملجأ. فقال نوح: ﴿لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ، وحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ﴾[4]. وعـلا الماء على رؤوس الجبـال، فكان على أعلى جبـل في الأرض خمسة عشـر ذراعاً، فهلك مـا على وجه الأرض من حيـوان ونبات، فلم يبقَ إلاّ نـوح ومن معـه، وإلاّ عـوج بن عنق[5]، فيمـا زعم أهل التـوراة، وكان بين إرسـال الماء وبين أن غـاض ستّة أشهـر وعشر ليال.

قال ابن عبّاس: أرسل الله المطر أربعين يوماً، فأقبلتِ الوحشُ حين أصـابها المـطر والطين[6] إلى نوح وسُخّرت له، فحمل منها كما أمره الله، فركبوا فيهـا لعشر ليـالٍ مضين من رجب، وكـان ذلك لثـلاث عشـرةٍ خَلَت من آب، وخـرجـوا منهـا يـوم عـاشـوراء من المحرّم، فلذلك صـام مَنْ صام يـوم عاشـوراء. وكان المـاء نصفين: نصف من السماء، ونصف من الأرض، وطـافت السفينـة بـالأرض كلّهـا، لا تستقـرّ حتى أتت الحـرمَ، فلم تـدخله، ودارت بـالحـرم أسبـوعـاً، ثمّ ذهبت في الأرض تسيـر بهم حتى انتهت إلى الجُوديّ، وهو جبـل بِقَرْدَى بـأرض الموصـل، فاستقـرّت عليه، فقيـل عند ذلـك: ﴿بُعْداً لِلقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[7]، ولما استقرّت قيل: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي، وَغِيضَ المَاءُ﴾[8]، نشّفته الأرض، وأقام نوح في الفُلك إلى أن غاض الماء، فلمّا خرج منها اتخذ بنـاحية من قَـرْدَى[9] من أرض الجزيـرة موضعـاً، وابتنى قريـةً سمّوهـا ثمـانين، وهي الآن تسمّى بسوق الثمانين لأنّ كلّ واحد ممّن معه بنى لنفسه بيتاً، وكانوا ثمانين رجلاً[10].

قال بعض أهل التوراة: لم يولد لنوح إلاّ بعد الطوفان[11].

---

(١) في الأصل «من» وهو غلط.
(٢) هود/٤٢.
(٣) هود/٤٣.
(٤) السورة والآية نفسها.
(٥) في الأصل «أعنق».
(٦) في النسخة (ب) «الطير».
(٧) هود/٤٤.
(٨) هود/٤٤.
(٩) ضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون ثم دال مهملة، والقصر. (معجم البلدان ٤/٣٢٢).
(١٠) الطبري ١/١٨٩.
(١١) الطبري ١/١٩١.

وقيل: إنّ ساماً وُلد قبل الطوفان بثمانٍ وتسعين سنة.

وقيل: إنّ اسم ولده الذي أُغرق كان كنعان وهو يام[1].

وأمّا المجوس فإنّهم لا يعرفون الطوفان، ويقولون: لم يزل المُلك فينا من عهد جيومرث، وهو آدم، قالوا: ولو كان كذلك، لكان نَسَب القوم قد انقطع ومُلكهم قد اضمحلّ، وكان بعضهم يقرّ بالطوفان، ويزعم أنّه كان في إقليم بابل وما قَرُب منه، وأنّ مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق، فلم يصل ذلك إليهم[2].

وقول الله تعالى أصدق، في أنّ ذرّيّة نوح هم الباقون، فلم يعقب أحد ممّن كان معه في السفينة، غير ولده سام وحام ويافث.

ولما حضرتْ نوحاً الوفاةُ قيل له: كيف رأيتَ الدنيا؟ قال: كبيت له بابان، دخلت من أحدهما وخرجتُ من الآخر. وأوصى إلى ابنه سام، وكان أكبر ولده.

---

(١) الطبري ١٩١/١.

(٢) الطبري ١٩٢/١.

ذكر بيوراسب وهو الازدهاق
الذي يسميه العرب[1] الضحاك[2]

وأهلُ اليمن يدّعون أنّ الضحّاك منهم، وأنه أوّل الفراعنة، وكان ملكَ مصر لما قدِمها إبراهيم الخليل.

والفرس تذكر أنّه منهم، وتنسبه إليهم، وأنّه بيوراسب بن أرْوَنداسب[3] بن رينكار[4] بن وَنْدرِيْشْتَك[5] بن يارين[6] بن فروال[7] بن سيامك[8] بن ميشى[9] بن جيومرث.

ومنهم من ينسبه غير هذه النسبة.

وزعم أهلُ الأخبار أنّه ملك الأقاليم السبعة، وأنّه كان ساحراً فاجراً[10].

قال هشام بن الكلبيّ: ملك الضحّاك بعد جَم فيما يزعمون، والله أعلم، ألف سنة، ونزل السوادَ في قرية يقال لها بُرْس[11]، في ناحية طريق الكوفة، وملك الأرض كلّها، وسار بالجَوْر والعسف، وبسط يده في القتل، وكان أوّل من سنّ الصَّلب والقطع[12]، وأوّل من وضع العُشور وضربَ الدراهم، وأوّل من تغنّى وغُنّي له.

قال: وبلغنا أنّ الضحّاك هو نمرود، وأنّ إبراهيم، عليه السلام، وُلد في زمانه، وأنّه صاحبه الذي أراد إحراقه[13].

---

(١) في الأصل والنسخة (ر): والعرب تنقله وتعرّبه وتسمّيه الضّحاك.
(٢) في النسخة (ر): الضحاك وملك أفريدون.
(٣) عند الطبري ١/١٩٥ «أندرماسب».
(٤) في النسخة ب: «زبنكار»، وعند الطبري «زنجدار».
(٥) عند الطبري «وندريسج».
(٦) عند الطبري «تاج».
(٧) في النسخة ب: «فزوال»، وعند الطبري «فرياك».
(٨) عند الطبري «سياهمك».
(٩) عند الطبري «تاذي».
(١٠) الطبري ١/١٩٦.
(١١) بُرْس: بالضم، موضع بأرض بابل. (معجم البلدان ١/٣٨٤).
(١٢) في النسختين: ب، ت: «والقتل».
(١٣) الطبري ١/١٩٦، ١٩٧، تاريخ الخميس ١/٨٤.

وتـزعم الفرس أنّ المُلك لم يكن إلاّ للبـطن الذي منـه أُوْشَهَنْج وجَم وطَهْمُـورِث، وأنّ الضحّـاك كـان غـاصبـاً، وأنّـه غصب[1] أهـل الأرض بسحـره وخبثـه، وهـوّل عليهم بالحيَّتَين اللّتين كانتا على مَنكبَيْه[2].

وقال كثير من أهل الكتب: إنّ الذي كـان على مَنكبيه كـان لحمتَين طويلتين كـلّ[3] واحدة منهما كرأس الثعبان، وكان يسترهمـا بالثيـاب، ويذكـر على طريق التهـويل أنّهمـا حيّتان تقتضيانه الطعام، وكانتا تتحرّكـان تحت ثوبـه إذا جاعتـا[4]، ولقي النّاسُ منـه جهداً شديداً، وذبح الصبيانَ لأنّ اللّحمتينِ اللّتين كانتا على مَنكبيه كانتا تضطربان، فإذا طلاهما بدماغ إنسان سكنتا، فكان يذبح كلَّ يوم رجلَين، فلم يزل النّاس كذلك، حتى إذا أراد الله هلاكه، وثب رجل من العامّة من أهل أصبهان يقال لـه كابِي[5]، بسبب ابنَين لـه أخذهمـا أصحـاب بيوراسب بسبب اللّحمتين اللّتين على مَنكبيـه، وأخذ كـابي عصاً كـانت بيـده، فعلّق بطرفها جُراباً كان معه، ثمّ نصب ذلك كالعَلَم، ودعا النّاسَ إلى مجـاهدة بيـوراسب ومحاربته. فأسرع إلى إجابته خلقٌ كثير لِما كانوا فيه من البلاء وفنـون الجَوْر. فلمّـا غلب كابي تفاءَل النّاسُ بذلك العَلَم فعظّمـوه، وزادوا فيه، حتى صـار عند ملوك العجم عَلَمهم الأكبر الذي يتبرّكون به، وسمّوه دِرَفْش[6] كابيان، فكـانوا لا يسيّـرونه إلاّ في الأمـور الكبار العظام، ولا يُرفع إلاّ لأولاد الملوك إذا وُجِّهوا في الأمور الكبار.

وكان من خبر كابي أنّه من أهـل أصبهان، فثـار بمن اتّبعه، فـالتفّت الخلائق إليـه. فلمّا أشرف على الضحّاك، قُذِف في قلب الضحّاك منه الرعب، فهرب عن منـازله وخلّى مكانه. فاجتمع الأعجـامُ إلى كابي، فـأعلمهم أنّه لا يتعـرّض للملك لأنّه ليس من أهله، وأمرهم أن يملّكوا بعضَ ولد جَم، لأنّه ابن الملك أُوْشَهَنْق الأكبر بن فروال[7] الـذي رسم الملك وسبق في القيام به. وكان أَفريدون بن أَثْغِيان[8] مستخفياً من الضحّاك، فوافى كابي ومن معه، فاستبشروا بموافاته[9] فملّكوه، وصار كابي والوجوه لأفريدون أعوانـاً على أمره.

---

(١) في النسخة (ر): «عضب».
(٢) الطبري ١/١٩٧.
(٣) في النسخة (ر): «لكل».
(٤) عند الطبري ١/١٩٨ «جاع».
(٥) بالفارسية «كاوَه».
(٦) درَفْش بالفارسية: القَلَم.
(٧) في النسخة (ب): «قزوال»، وعند الطبري ١/١٩٩ «فرواك».
(٨) في النسخة (ر): «القيان»، وعند الطبري ١/١٩٩ «أثفيان».
(٩) في النسخة (ب): «بوفاته» وهو تحريف.

فلمّا ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر المُلك، احتوى على منازل الضحّاك، وسار في أثره، فأسره بدُنْبَاوَنْد[1] في جبالها.

وبعض المجوس تزعم أنّه وكّل به قوماً من الجنّ[2].

وبعضهم يقول: إنّه لقي سليمان بن داود، وحبسه سليمان في جبل دُنْبَاوَنْد، وكان ذلك الزمان بالشام، فما برح بِيوَراسب بحبسه يجرّه حتى حمله إلى خُراسان. فلمّا عرف سليمان ذلك أمر الجنّ فأوثقوه حتى لا يزول، وعملوا عليه طِلّسماً كرجلَين يدقّان باب الغار الذي حُبس فيه أبداً لئلّا يخرج، فإنّه عندهم لا يموت.

وهذا أيضاً من أكاذيب الفرس الباردة، ولهم فيه أكاذيب أعجب من هذا تركنا ذِكرها.

وبعض الفرس يزعم أنّ أفريدون قتله يوم النّيروز، فقال العجم عند قتله: إمْرُوز نَوْرُوز[3]، أي استقبلنا الدهر بيوم جديد، فاتّخذوه عيداً. وكان أسْره يوم المهرجان، فقال العجم: آمَدْ مهْرَجان لقتل من كان يَذبح.

وزعموا أنّهم لم يسمعوا في أمور الضحّاك بشيء يُستحسن غير شيءٍ واحد، وهو أنّ بليّته لما اشتدّت ودام جَوْره، وتَرَاسل الوجوهُ في أمره، فأجمعوا على المصير إلى بابه، فوافاه الوجوه، فاتّفقوا على أن يدخل عليه كابي الأصبهانيّ، فدخل عليه ولم يسلّم، فقال: أيّها الملك أيّ السلام أسلّم عليك؟ سلام من يملك الأقاليم كلّها، أم سلام من يملك هذا الإقليم؟ فقال: بل سلام من يملك الأقاليم[4] لأنّي ملك الأرض. فقال كابي: إذ كنتَ تملك الأقاليم كلّها فلِمَ خصّصتنا بأثقالك وأسبابك[5] من بينهم، ولِم لا تقسم الأمور بيننا وبينهم؟ وعدّد عليه أشياء كثيرة، فصدّقه، فعمل كلامه في الضحّاك، فأقرّ بالإساءة، وتألّف القومَ ووعدهم بما يحبّون، وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضي حوائجهم، ثمّ ينصرفوا إلى بلادهم.

وكانت أمّه حاضرةً تسمع معاتبتهم، وكانت شرّاً منه[6]، فلمّا خرج القومُ دخلت مغتاظة من احتماله وحلمه عنهم، فوبّخته وقالت له: ألا أهلكتَهم وقطّعتَ أيديهم؟ فلمّا

---

(١) في النسختين: ب، ر: «ديناوند».

(٢) الطبري ١/١٩٦ - ١٩٩.

(٣) إمروز: بمعنى اليوم، ونوروز أي يوم جديد، وهو عيد رأس السنة عند الفرس.

(٤) في النسخة (ر) وعند الطبري ١/١٩٩ «الأقاليم كلها».

(٥) في النسختين: ب، ت «إسباتك».

(٦) في النسخة ب: «شرأم».

أكثـرَت عليه قـال لها: يـا هذه، لا تفكّـري في شيء إلاّ وقـد سبقتُ إليـه، إلاّ أنّ القـوم بـدهوني[1] بـالحقّ وقرّعـوني به، فكلّمـا هممت بهم تخيّل لي الحقّ بمنـزلـة الجبـل بيني وبينهم، فما أمكنني فيهم شيء. ثمّ جلس لأهل النواحي فوفى لهم بمـا وعدهم، وقضى أكثر حوائجهم.

وقال بعضهم: كان ملكه ستّمائة سنة[2]، وكان عمره ألف سنـة، وإنّه كـان في باقي عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره.

وقيل: كان ملكه ألف سنة ومائة سنة.

وإنّما ذكرنا خبر بِيوَرَاسْب هاهنـا لأنّ بعضهم يزعم أنّ نـوحاً كـان في زمانـه، وإنّما أُرسل إليه وإلى أهل مملكته[3].

وقيل: إنّه هو الذي بنى مدينة بابِل، ومدينة صُور، ومدينة دمشق.

---

(١) في الأصل «بدؤوني»، والمثبت عن بقية النسخ، والطبري ١/٢٠٠.

(٢) في النسخة (ر): «ألف سنة ومائة سنة».

(٣) الطبري ١/١٩٩، ٢٠١، مرآة الزمان ١/٢٥٢.

ذِكر ذُرية نوح عليه السلام

قال النبيّ، ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ﴾[1]، إنّهم سام وحام ويافث.

وقال وَهْب بن مُنبّه: إنّ سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم، وإنّ حاماً أبو السودان، وإنّ يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج.

وقيل: إنّ القبط من ولد قوط بن حام، وإنّما كان السواد في نسل حام، لأنّ نوحاً نام فانكشفت سوأته، فرآها حام فلم يغطّها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوباً، فلمّا استيقظ علم ما صنع حام وإخوته، فدعا عليهم[2].

قال ابن إسحاق: فكانت امرأة سام بن نوح صُلب ابنة بتاويل بن محويل بن حانوخ[3] بن قَيْن بن آدم، فولدت له نفراً: أرْفَخْشَذْ واسود[4] ولاود[5] وإرم.

قال: ولا أدري أَإرم لأمّ أرفخشذ وإخوته أم لا. فمن ولد لاود بن سام فارس وجُرجان وطَسْم وعمليق، وهو أبو العماليق، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيّون، والفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وعُمَان منهم ويسمّون جاشم[6]. وكان منهم بنو أُمَيْم بن لاود أهل وَبار بأرض الرمل، وهي بين اليمامة والشِّحْر[7]، وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها، فهلكوا وبقيت منهم بقيّة، وهم الذين يقال لهم النسناس، وكان طسْم ساكني اليمامة إلى البحرين، فكانت طسْم والعماليق

---

(١) الصافات/٧٧.

(٢) الطبري ١/٢٠٢، تاريخ اليعقوبي ١/١٥، مروج الذهب ١/٤١، تاريخ الخميس ١/٨٦.

(٣) عند الطبري ١/٢٠٣ «خنوخ».

(٤) في النسخة (ر): «أشود»، وعند الطبري «أشوذ».

(٥) في النسخة (ب) «لاوّد» بتشديد الواو، وعند الطبري «لاوذ».

(٦) في النسخة (ب): «جاهم»، وعند الطبري ١/٢٠٣ «جاسم» بالسين المهملة.

(٧) الشِّحْر: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن. (معجم البلدان ٣/٣٣٧).

وأُمَيْم وجاشم[1] قوماً عرباً لسانهم عربيّ، ولحقت عَبِيل بيثرب قبل أن تُبنى. ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمّى صنعاء. وانحدر بعضهم إلى يثرب، فأخرجوا منها عَبِيلاً، فنزلوا موضع الجُحْفة[2]، فأقبل سَيْل فاجتحفهم، أي أهلكهم، فسُمّيت الجُحْفة.

قال: ووَلَد إرم بن سام عوضاً[3] وغاثراً وحويلاً، فولدَ عوض[3] غاثراً وعاداً وعبيلاً، وولدَ غاثر بن إرم ثمُودَ وجَدِيساً، وكانوا عرباً يتكلّمون بهذا اللّسان المُضَرِيّ[4]. وكانت العرب[5] تقول لهذه الأمم ولجُرْهُم العرب العاربة. ويقولون لبني إسماعيل العرب المعرّبة لأنّهم إنّما تكلّموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فكانت عاد بهذا الرمل إلى حَضْرَمَوْت. وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرى. ولحِقَت جديس بطَسْم، وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين، واسم اليمامة إذ ذاك جَوٌّ. وسكنت جاشم[6] عُمان.

والنَّبَط من ولد نبيط بن ماش بن إرم بن سام.
والفرس بنو فارس بن تيرش[7] بن ماسور بن سام.

قال: ووُلِدَ لأرفخشذ بن سام ابنه قينان، كان[8] ساحراً، ووُلدَ لقينان شالخ بن[9] أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذُكر من سحره. ووُلد لشالخ غابر[10]، ولغابر فالَغ، ومعناه القاسم، لأنّ الأرض قُسمت والألسن تبلبلت في أيّامه، وقحطان بن غابر، فوُلد لقحطان يَعْرُب ويَقْطان، فنزلا اليمن، وكان أوّلَ من سكن اليمن، وأوّل من سُلّم عليه بـ «أبيتَ اللعنَ». ووُلد لفالغ بن غابر أرغو[11]، ووُلد لأرغو ساروغ، ووُلد لساروغ ناخور، ووُلد

---

(١) في النسخة (ب): «جاهم»، وعند الطبري ١/٢٠٤ «جاسم» بالسين المهملة.
(٢) الجُحْفَة: بالضم ثم السكون، كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل... وهي أول الغور إلى مكة. (معجم البلدان ٢/١١١).
(٣) عند الطبري ١/٢٠٤ «عوص» بالصاد المهملة.
(٤) في النسخة (ر) «اللسان العربي»، وفي بقية النسخ والأصل، وطبعة صادر ١/٧٩ «المصري» بالصاد المهملة، والمثبت عن الطبري ١/٢٠٤.
(٥) في النسخة (ر): «وكانت الأمم».
(٦) في النسخة (ب): «جاهم»، وفي تاريخ الطبري ١/٢٠٤ «جاسم».
(٧) في الأصل «تقرس».
(٨) في النسخة (ر): «قيل كان».
(٩) في النسخة (ر): «شالخ فقيل شالخ بن».
(١٠) في تاريخ الطبري «عابر» بالعين المهملة. (١/٢٠٥) وكذلك في تاريخ اليعقوبي ١/١٩ والمسعودي ١/٤٢.
(١١) في تاريخ الطبري ١/٢٠٥ «أرغوا».

لناخور[1] تارَخ، واسمه بالعربيّة آزر. ووُلد لآزر إبراهيم، عليه السلام. ووُلد لأرفخشذ أيضاً نُمرُود، وقيل هو نمرُود بن كوش بن حام بن نوح.

قال هشام بن الكلبيّ: السند والهند بنو توقير[2] بن يقطن[3] بن غابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وجُرْهُم من ولد يقطن بن غابر. وحضرموت بن يقطن، ويقطن هو قحطان في قول مَنْ نسبه إلى غير إسماعيل.

والبّربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاود[4] بن سام بن نوح، ما خلا صِنهاجة وكُتامة، فإنّهما بنو فريقش بن صيفي[5] بن سبأ.

وأمّا يافث فمن ولده جامر[6] وموعع[7] ومورك[8] وبوان[9] وفوبا[10] وماشج[11] وتيرش. فمن ولد جامر ملوك فارس في قول، ومن ولد تيرش الترك والخَزَر. ومن ولد ماشج[11] الأشبان، ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج، ومن ولد بوان[12] الصّقالبة وبرجان. والأشبان[13] كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها مَن وقع من ولد العيص بن إسحاق وغيرهم. وقصد كلّ فريق من هؤلاء الثلاثة، سام وحام ويافث أرضاً فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها[14].

ومن ولد يافث الروم، وهو بنو لنطى بن يونان[15] بن يافث بن نوح[16].

وأمّا حام فوُلد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان، فمن ولد كوش نُمرود بن كوش،

---

(١) في تاريخ الطبري «ناحوزا» في الموضعين.
(٢) في الأصل «توقين»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٠٧.
(٣) في الأصل «يقطين»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٠٧.
(٤) في تاريخ الطبري ١/٢٠٧ «لوذ».
(٥) في النسخة (ر): «بنوفريقيش بن قيس بن صيفي»، وكذا في تاريخ الطبري.
(٦) في النسخة (ب): «جابر».
(٧) في تاريخ الطبري ١/٢٠٦ «موعج».
(٨) في النسخة (ب): «بورك»، وفي تاريخ الطبري «موادي».
(٩) في النسخة (ب) «نوان».
(١٠) في النسخة (ب) «قويا»، وفي النسخة (ر): نونان وفونا»، وعند الطبري ١/٢٠٦ «ثوبال».
(١١) في النسخة (ب): «ماشيح».
(١٢) في النسخة (ر): «نونان».
(١٣) هكذا عن نسختي: ب، ت، والطبري.
(١٤) الطبري ١/٢٠٦.
(١٥) في النسختين: ب، ت «ثوبان».
(١٦) الطبري ١/٢٠٧.

وقيل: هو من ولد سام، وصارت بقيّة ولد حام بالسواحل من النُّوبة والحَبشة والزنج.

ويقال: إن مصرايم ولد القِبْط والبربر.

وأمّا قوط فقيل إنّه سار إلى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده[1].

وأمّا الكَنْعانيّون فلحق بعضهم بالشام، ثمّ جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها، وصار الشام لبني إسرائيل. ثمّ وثبت الروم على بني إسرائيل فأجلوهم عن الشام إلى العراق إلّا قليلاً منهم. ثمّ جاءت العرب فغلبوا على الشام[2].

وكان[3] يقال لعاد عاد إرم، فلمّا هلكوا قيل لثمود ثمود إرم[4].

قال[5]: وزعم أهل التوراة أنّ أرفخشذ وُلد لسام بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان، وكان جميع عمر سام ستّمائة سنة[6].

ثمّ ولد لأرفخشذ قينان بعد أن مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة، وكان عمره أربعمائة وثمانياً وثلاثين سنة[7]. ثمّ وُلد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة، ولم تُذكر مدّة عمر قينان في الكتب لِما ذكرنا من سحره. ثمّ وُلد لشالخ غابر بعدما مضى من عمره ثلاثون سنة، وكان عمره كلّه أربعمائة وثلاثاً وثلاثين سنة. ثمّ وُلد لغابر فالغ وأخوه قحطان، وكان مولد فالغ[8] بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة، وكان عمره أربعمائة وأربعاً وسبعين سنة. ثمّ وُلد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ، وكان عمره مائتين وتسعاً وثلاثين سنة. ووُلد لأرغو[9] ساروغ[10] بعدما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة، وكان عمره مائتين وتسعاً وثلاثين سنة. ووُلد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره، وكان عمره كلّه مائتين وثلاثين سنة. ثمّ وُلد لناخور[11] تارَخ[12] أبو إبراهيم،

---

(١) في النسخة (ر): «نسله»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٠٦.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٢٠٩.

(٣) في النسخة (ر): «قال وكان».

(٤) في النسخة (ر): «فلما هلكوا قيل لسائر بني إرم إرمان، فيهم النبط، فكل هؤلاء ولد نوح».

(٥) عن نسختي: ب، ت.

(٦) قارن بالعهد القديم ـ الإصحاح ١١/١٠.

(٧) الإصحاح ١١/١٢.

(٨) في الأصل «قحطان» وهو وهم.

(٩) في التوراة ١٨ ـ «رَعُو»، وكذلك في مروج الذهب ١/٤٣.

(١٠) في التوراة «سَرُوج».

(١١) في التوراة «ناحور» بالحاء المهملة.

(١٢) في التوراة «تارح» بالحاء المهملة، وكذلك في مروج الذهب ١/٤٤.

بعدما مضى من عمره سبعُ وعشـرون سنة، وكـان عمره كلّه مـائتين وثمانيـاً وأربعين سنة. ووُلـِدَ لتارَخ، وهـو آزر، إبراهيم، عليـه السلام. وكـان بين الطوفـان ومولـد إبراهيم ألف سنة[1] ومائتا سنة وثلاث وستّون[2] سنة، وذلك بعـد خلق آدم بثلاثـة آلاف سنة وثـلاثمائـة وسبع وثلاثين[3] سنة.

ووُلد لقحطان بن غابر[4] يَعْرُب، فوُلـد ليعرُب يَشْجُب[5]، فـولد يشجب سبـأ، فولـد سبأ حِمْيَر وكَهْلان، وعَمْراً، والأشعر، وأنمار، ومرّاً، فولد عمرو بن سبأ عديّاً، وولد عديّ لَخْماً، وجُذاماً[6].

---

(١) في النسخة (ر): «وتسع وسبعون سنة وقيل ألف سنة»، وانظر الطبري ١/٢١١.
(٢) في الأصل «وتسع وسبعون».
(٣) في النسخة (ب): «وستين».
(٤) في تاريخ الطبري «عابر» بالعين المهملة.
(٥) كُتب بجانبها «يشحب» بالحاء المهملة.
(٦) الطبري ١/٢١١، وانظر تاريخ اليعقوبي ١/٢٠ ـ ٢٣.

ذكر ملك أفريدون[1]

وهو أفريدون بن أثغيان[2]، وهو من ولد جَم شِيد. وقد زعم بعضُ نسّابة الفرس أنّ نوحاً هو أفريدون الذي قهر الضحّاك وسلبه مُلْكَه، وزعم بعضهم أنّ أفريدون هو ذو القَرنَين صاحب إبراهيم الذي ذكره الله في كلامه العزيز، وإنّما ذكرتُه في هذا الموضع لأنّ قصّته في أولاده الثلاثة شبيهة بقصّة نوح على ما سيأتي، ولحُسْن سيرته وهلاك الضحّاك على يديه، ولأنّه قيل إنّ هلاك الضحّاك كان على يد نوح.

وأمّا باقي نسّابة الفرس فإنّهم ينسبون أفريدون إلى جَم شيد الملك، وكان بينهما عشرة آباء كلّهم يسمّى أثغيان خوفاً من الضحّاك، وإنّما كانوا يتميّزون بألقاب لُقّبوها، فكان يقال لأحدهم أثغيان صاحب البقر الحُمر، وأثغيان صاحب البقر البُلق، وأشباه ذلك[3]، وكان أفريدون أوّل من ذلّل[4] الفِيَلَة وامتطاها، ونَتَج البِغال، واتخذ الإوَزّ والحمام، وعمل الترياق، وردّ المظالم، وأمر النّاس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، وردّ على النّاس ما كان الضحّاك غصبه من الأرض[5] وغيرها، إلّا ما لم يجد له صاحباً، فإنّه وقفه على المساكين.

وقيل: إنّه أوّل من سمّي الصوفي[6]، وهو أوّل من نظر في علم الطبّ وكان له ثلاثة بنين، اسم الأكبر شرم[7]، والثاني طُوج، والثالث إيرَج، فخاف أن يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم أثلاثاً، وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها، وأمر كلَّ واحدٍ منهم فأخذ

---

(١) أنظر عنه: تاريخ الطبري ١/٢١٣، غرر السير لابن مسكويه ٣٥، مرآة الزمان ١/٢٥٢، تاريخ الخميس ١/٨٥.

(٢) في النسخة (ب) «أنقبان» بالقاف، وفي تاريخ الطبري ١/٢١٣ «أثفيان» بالفاء.

(٣) أنظر في ذلك: الطبري ١/٢١٣، وتاريخ الخميس ١/٨٥.

(٤) في الأصل «ملك».

(٥) في النسخة (ر)؛ «الأرضين».

(٦) في النسخة (ت) «الصوافي»، وفي النسخة (ر): «الصواني».

(٧) في الأصل، والنسخة (ر): «شلم»، ونسخة (ب): «سلم»، وكذلك في تاريخ الطبري ١/٢١٤.

سهماً، فصارت الروم وناحية العرب لشرم[1]، وصارت الترك والصين لطوج، وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لإيرَج، وهو الثالث، وكان يحبّه، وأعطاه التاج والسرير، ومات أفريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم، ولم يزل التحاسد ينمو بينهم إلى أن وثب طوج وشرم[1] على أخيهما إيرَج فقتلاه، وقتلا ابنين كانا لإيرَج، وملكا الأرضَ بينهما ثلاثمائة سنة. ولم يزل أفريدون يتبع من بقي بالسواد من آل نمرود والنبط وغيرهم، حتى أتى على وجوههم ومحا أعلامهم، وكان ملكه خمسمائة سنة[2].

(١) في الأصل «لشلم»، وفي النسخة (ب): «لسلم» كما في تاريخ الطبري.
(٢) الطبري ١/٢١٥.

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم[1]

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده، واقتسامهم الأرض بعده، ومساكن كلّ فريق منهم، فكان ممّن طغى وبغى، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذّبوه، فأهلكهم الله، هذان الحيّان من ولد إرم بن سام بن نوح، أحدهما عاد والثاني ثمود.

فأمّا عاد فهو عاد بن عوض[2] بن إرم بن سام بن نوح، وهو عاد الأولى، وكانت مساكنهم ما بين الشِّحْر وعُمَان وحَضْرَمَوْت بالأحقاف، فكانوا جبّارين طوال القامة لم يكن مثلهم، يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً﴾[3]؛ فأرسل الله إليهم هود بن عبد الله بن رباح[4] بن الجلود[5] بن عاد بن عوض[6].

ومن النّاس من يزعم أنّه هود وهو غابر[7] بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لأحدهم ضرا وللآخر ضمور، وللثالث الهبا[8]، فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره وترْك ظلم الناس، فكذّبوه وقالوا: مَنْ أشدُّ منّا قوّةً! ولم يؤمن بهود منهم إلّا قليل.

وكان من أمرهم ما ذكره ابنُ إسحاق قال[9]: إنّ عاداً أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هوداً، فلمّا أصابهم قالوا: جهّزوا منكم وفداً إلى مكة يستسقون لكم، فبعثوا

---

(١) الطبري ١/٢١٦.

(٢) عند الطبري «عَوْص» بالصاد المهملة.

(٣) الأعراف/٦٩.

(٤) في النسخة (ب) «رياح» بالياء المثنّاة.

(٥) في تاريخ الطبري «الخلود».

(٦) عند الطبري «عوص» بالصاد المهملة.

(٧) عند الطبري «عابر» بالعين المهملة.

(٨) في النسخة (ب) «الهيا» بالياء المثنّاة، وعند الطبري: «يقال لأحدها ضراء، وللآخر صمود، وللثالث الهباء».

(٩) الطبري ١/٢١٩.

قَيْل بن عير[1] ولُقَيم بن هَزَّال ومَرْثَد بن سعد، وكان مسلماً يكتم إسلامه، وجُلْهُمَة بن الخيبريّ[2]، خال معاوية بن بكر[3]، ولقمان بن عاد بن فلان[4] بن عاد الأكبر في سبعين رجلاً من قومهم، فلمّا قدموا مكّة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكّة خارجاً عن الحرم، فأكرمهم، وكانوا أخواله وصهره لأنّ لُقَيْم بن هَزَّال كان تزوّج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولاداً كانوا عند خالهم معاوية بمكّة، وهم: عُبَيد، وعَمْرو، وعامر، وعُمَير، بنو لُقَيم، وهم عاد الآخرة التي بقيت بعد عاد الأولى، فلمّا نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان، قَيْنَتان لمعاوية، فلمّا رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أُرسلوا له، شقَّ عليه ذلك وقال: هلك أخوالي، واستحيا أن يأمر الوفد بالخروج إلى ما بُعثوا له، فذكر ذلك للجرادتين فقالتا[5]: قلْ شعراً نغنّيهم به لا يدرون من قائله، لعلّهم يتحرّكون؛ فقال معاوية:

ألا يا قَيلُ وَيحكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لعَلّ الله يُصبحُنا[6] غَمَامَا
فيسقي أرضَ عادٍ إنّ عاداً ... قد أمسوا لا[7] يُبينونَ الكَلامَا

في أبيات ذكرها.

والهَيْنَمَة: الكلام الخفيّ.

فلمّا غنّتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض: يا قوم بعثكم قومكم يتغوّثون[8] بكم من البلاء الذي نزل بهم، فأبطأتم عليهم، فادخلوا الحرمَ واستسقوا لقومكم. فقال مَرْثَد بن سعد: إنّهم والله لا يُسقون بدعائكم، ولكن أطيعوا نبيّكم، فأنتم تُسقون[9]، وأظهر إسلامه عند ذلك. فقال جُلْهُمَة بن الخيبريّ، خال معاوية، لمعاوية بن بكر: احبس عنّا مَرْثَد بن سعد. وخرجوا إلى مكّة يستسقون بها لعاد، فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا، فأنشأ الله سحائبَ ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ونادى منادٍ منها: يا قَيْل: اختر لنفسك وقومك. فقال: قد اخترتُ السحابةَ السوداء، فإنّها أكثر ماء، فناداه

---

(١) في تاريخ الطبري «عتر» بالتّاء المثنّاة من فوقها.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٢١٩ «الخبيري».

(٣) في النسخة (ب) «بكير» وهو تحريف.

(٤) في الأصل «ميلان».

(٥) في الأصل «فقالوا».

(٦) في تاريخ الطبري ١/٢٢٠ «يسقينا»، والمثبت كما في التفسير ١٢/٥١٦، وفي مرآة الزمان ١/٢٥٥ «يمنحنا».

(٧) في مرآة الزمان «ما».

(٨) في النسخة (ب): «يتغوّثون».

(٩) في تاريخ الطبري ١/٢٢٠، ٢٢١ «ولكنْ إن أطعتم نبيّكم وأنبتم إليه سُقيتم».

منادٍ: اخترتَ رماداً رِمْدَاداً[1]، لا تُبقي من عاد أحداً، لا ولداً تترك ولا والداً إلاّ جعلته هَمِدا، إلاّ بني اللُّوذيَّة المُهْدَى.

وبنو اللُّوذِيّة: بنو لُقَيْم بن هَزَّال، كانوا بمكّة عند خالهم معاوية بن بكر.

وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب إلى عاد، فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث، فلمّا رأوها استبشروا بها وقالوا: ﴿هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[2]، أي كلّ شيء أُمرتْ به. وكان أوّل من رأى ما فيها وعرف أنّها ريح مُهْلِكة امرأة من عاد يقال لها فهدد[3]، فلمّا رأت ما فيها صاحت وصَعِقت، فلمّا أفاقت قالوا: ماذا رأيتِ؟ قالت: رأيتُ ريحاً فيها كشُهُب النار، أمامها رجال يقودونها، فلمّا خرجت الريح من الوادي قال سبعة رهط منهم، أحدهم الخَلَجان[4]: تعالوا حتى نقوم على شفير الوادي فنردّها. فجعلتِ الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدقّ عنقه، وبقي الخَلَجان فمال إلى الجبل وقال:

لم يَبقَ إلاّ الخَلَجانُ نَفسُه ... يا لكَ مِن يومٍ دَهاني أمسُهُ[5]
بثابتِ الوَطْء شديدٍ وطْسُهُ ... لَوْ لم يجئْني جِئتُهُ أجُسُّهُ[6]

فقال له هود: أسلِمْ تَسلَم. فقال: وما لي؟ قال: الجنّة. فقال: فما هؤلاء الذين في السحاب كأنّهم البُخت[7]؟ قال: الملائكة. قال: أيُعيذني[8] ربّك منهم إن أسلمتُ؟ قال: هل رأيتَ مِلكاً يعيذ[9] من جنده؟ قال: لو فعل ما رضيت.

ثمّ جاءت الريح وألحقته بأصحابه و﴿سَخَّرَهَا ـ الله ـ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾[10]، كما قال تعالى. والحسوم: الدائمة. فلم تدع من عاد أحداً إلاّ هلك، واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه [منها] إلاّ تليين الجلود[11]، وإنّها لتمرُّ

---

(1) في الطبعة الأوربية «مدداء».
(2) الأحقاف/٢٤ ـ ٢٥.
(3) في الأصل «مهرد»، وفي النسخة (ر)، والطبري ١/٢٢٢ «مَهْدَد».
(4) في الطبقة الأوربية «قال شعبة رهط من الخلجان».
(5) في النسخة (ب) «نكسه».
(6) البيتان عند الطبري ١/٢٢٤.
(7) في النسخة (ت) «النجت»، وفي الأصل «المنجت» وهو تحريف، والمثبت يتفق مع الطبري.
(8) في النسخة (ر): «أينقذني».
(9) في الأصل «يقيد»، وفي النسخة (ر): «ينقذ».
(10) الحاقّة/٧.
(11) في النسخة (ر): «ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين الجلود».

من[1] عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة. وعاد وفد عاد إلى معاوية بن بكر فنزلوا عليه، فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمُصاب عاد وسلامة هود.

قال: وكان قد قيل للُقمان بن عاد: اختر لنفسك إلا أنّه لا سبيل إلى الخلود. فقال: يا ربّ أعطني عُمراً. فقيل له: اختر. فاختار عمر سبعة أنْسُر. فعمّر فيما يزعمون عُمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفَرْخ الذَّكر حين يخرج من بيضته، حتى إذا مات أخذ غَيره، وكان يعيش كلُّ نسر ثمانين سنة، فلمّا مات السابع مات لُقمان معه، وكان السابع يُسمّى لُبَداً.

قال: وكان عمر هود مائة وخمسين[2] سنة، وقبره بحَضْرَمَوْت، وقيل بالحِجْر من مكّة، فلمّا هلكوا أرسل الله طيراً سُوداً فنقلتهم إلى البحر، فذلك قوله تعالى: **﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إلاّ مَسَاكِنُهُمْ﴾**[3]. ولم تخرج ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ يومئذٍ، فإنّها عَتَتْ على الخَزَنة، فذلك قوله: **﴿أُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾**[4]. وكانت الريحُ تقلع الشجرة العظيمة بعروقِهَا وتهدم البيتَ على من فيه[5].

وأمّا ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بنِ إرم بن سام، وكانت مساكن ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام، وكانوا بعد عاد قد كَثُروا[6] وكفروا وعتَوا، فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن أسِف بن ماشج[7] بن عبيد بن جادر[8] بن ثمود، وقيل أسف بن كماشج[9] بن إرم[10] بن ثمود يدعوهم إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، **﴿فَقَالُوا: يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا﴾** الآية[11]؛ وكان الله قد أطال أعمارهم، حتى إن كان أحدهم يبني البيتَ من المَدَر فينهدم وهو حيّ، فلمّا رأوا ذلك اتّخذوا من الجبال بيوتاً فارِهين فنحتوها، وكانوا في سَعَةٍ من معايشهم، ولم يزل صالح يدعوهم، فلم يتبعه منهم إلاّ قليل مستضعَفون، فلمّا ألحّ عليهم بالدّعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا: يا صالح اخرج

---

(١) في الطبعة الأوربية «وانها التمرين».
(٢) الطبري ١/٢٢٥ وفي النسخة (ر): «مائة وستة وخمسين».
(٣) الأحقاف/٢٥.
(٤) الحاقّة/٦.
(٥) الطبري ١/٢٢٥، ٢٢٦.
(٦) في النسخة (ب): «تكبروا».
(٧) في النسخة (ب): «ما شيج»، وفي تاريخ الطبري «ماسخ».
(٨) في تاريخ الطبري «خادر».
(٩) في النسخة (ب): «كماشيج»، والنسخة (ر) «كاشج». والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٢٦.
(١٠) في طبعة صادر «اروم»، والتصويب عن الطبري.
(١١) هود/٦٢.

معنا إلى عيدنا، وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم، فأرِنا آيةً فتدعو إلٰهك وندعو آلهتنا، فإنِ استُجيب لك اتّبعناك، وإنِ استُجيب لنا اتّبعتَنا. فقال: نعم، فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم، فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به، وقال له سيّد قومه: يا صالح أخْرِجْ لنا من هذه الصخرة ـ لصخرةٍ منفردةٍ ـ ناقةً جَوْفاء عشراء، فإن فعلتَ ذلك صدّقناك.

فأخذ عليهم المواثيق بذلك، وأتى الصخرةَ وصلّى ودعا ربّه عزّ وجلّ، فإذا هي تتمخّض كما تتمخّض الحاملُ، ثمّ انفجرت وخرجت من وسطها الناقةُ كما طلبوا وهم ينظرون، ثمّ نتجت سقباً مثلها في العِظَم، فآمن به سيّد قومه، واسمه جندع بن عمرو[1]، ورهطٌ من قومه، فلمّا خرجتِ الناقةُ قال لهم صالح: ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[2]، ومتى عقرتموها أهلككم الله. فكان شُرْبها يوماً وشربهم يوماً معلوماً، فإذا كان يوم شربها خلّوا بينها وبين الماء، وحلبوها لبنها، وملأوا كلّ وعاء وإناء، وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء، فلم تشرب منه شيئاً، وتزوّدوا من الماء للغد.

فأوحى الله إلى صالح أنّ قومك سيعقرون الناقة، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنّا لنفعل. قال: إلّا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها، قالوا: وما علامته؟ فوالله لا نجده إلّا قتلناه! قال: فإنّه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر. قال: فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب[3] له عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤاً، فزوّج أحدهما ابنه بابنة الآخر، فولد بينهما المولود، فلمّا قال لهم صالح إنّما يعقرها مولود فيكم، اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهنّ شُرَطاً يطوفون في القرية، فإذا وجدوا امرأة تَلِد نظروا ولَدها ما هو، فلمّا وجدوا ذلك المولود صرخ النِّسْوة وقُلْن: هذا الذي يريد نبيّ الله صالح، فأراد الشّرَطُ أن يأخذوه، فحال جدّاه بينهم وبينه وقالا: لو أراد صالح هذا لقتلناه. فكان شرّ مولود وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يُصلحون، كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفاً أن يكون عاقر الناقة منهم، ثمّ ندِموا فأقسموا ليقتلُنّ صالحاً وأهله وقالوا: نخرج فترى الناس أنّنا نريد السفر، فنأتي الغارَ الذي على طريق صالح فنكون فيه، فإذا جاء اللّيل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه، ثمّ رجعنا إلى الغار، ثمّ انصرفنا إلى رِحالنا وقلنا ما شهدنا قتْله، فيصدّقُنا قومه. وكان صالح لا يبيت[4] معهم، وكان يخرج إلى مسجد له

(١) في النسخة (ب): «عروة».
(٢) الشعراء/١٥٥.
(٣) في النسخة (ر)، والطبري ١/٢٢٨ «يرغب».
(٤) في النسخ الأخرى غير الأصل: «ينام».

يُعْرف بمسجد صالح فيبيت فيه، فلمّا دخلوا الغار سقطت عليهم صخرةٌ فقتلتهم، فانطلق رجالٌ ممّن عرف الحال إلى الغار فرأوهم هلكى، فعادوا يصيحون: إنّ صالحاً أمرهم بقتل أولادهم ثمّ قتلهم.

وقيل: إنّما كان تقاسم التسعة عل قتْل صالح بعد عقر الناقة وإنذار صالح إيّاهم بالعذاب، وذلك أنّ التسعة الذين عقروا الناقة قالوا: تعالوا فلنقتل صالحاً، فإنْ كان صادقاً عجّلنا قتْلَه، وإنْ كان كاذباً ألحقناه بالناقة، فأتوه ليلاً في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا، فأتَى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح: أنتَ قتلتهم، وأرادوا قتله، فمنعهم عشيرته وقالوا: إنّه قد أنذركم[1] العذاب، فإنْ كان صادقاً فلا تزيدوا ربَّكم غضباً، وإنْ كان كاذباً فنحن نسلّمه إليكم، فعادوا عنه؛ فعلى القول الأوّل يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة، والثاني أصحّ، والله أعلم.

وأمّا سبب قتل الناقة فقيل: إنّ قُدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر، فلم يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لأنّه كان يوم شرب الناقة، فحرّض بعضهم بعضاً على قتْلها.

وقيل: إنّ ثموداً كان فيهم امرأتان، يقال لإحداهما قَطام وللأخرى قَبال[2]، وكان قُدار يهوى قَطام، ومِصْدع يهوى قَبال ويجتمعان بهما، ففي بعض الليالي قالتا لقُدار ومِصْدع: لا سبيل لكما إلينا حتى تقتلا الناقة، فقالا: نعم، وخرجا وجمعا أصحابهما، وقصدا الناقة وهي على حوضها، فقال الشقيّ لأحدهم: اذهب فاعقرْها، فأتاها، فتعاظمه ذلك، فأضرب[3] عنه، وبعث آخر فأعظم ذلك، وجعل لا يبعث أحداً إلّا تعاظمه قتْلها، حتى مشى هو إليها فتطاول فضرب عرقوبها[4]، فوقعت تركض، وكان قتْلُها يوم الأربعاء، واسمه بلغتهم جبّار، وكان هلاكهم يوم الأحد، وهو عندهم أوّل، فلمّا قُتلت أتَى رجل منهم صالحاً فقال: أدرك الناقة فقد عقروها، فأقبل وخرجوا يتلقّونه يعتذرون إليه: يا نبيّ الله إنّما عقرها فلان إنّه لا ذنب لنا! قال: انظروا هل تدركون فصيلها؟ فإنْ أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب. فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمّه تضطرب قصد جبلاً يقال له القارة قصيراً[5] فصعده، وذهبوا يطلبونه[6]، فأوحى الله إلى الجبل فطال في

---

(١) في النسخ الأخرى غير الأصل: «وعدكم».
(٢) قيل اسم إحداهما «عنيزة» والأخرى «صدوف». (مرآة الزمان ١/٢٦٤).
(٣) في الطبقة الأوربية «فأصرّت»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٢٢٩.
(٤) في تاريخ الطبري ١/٢٣٠ «عرقوبيها».
(٥) في النسخة (ب): «قصراً».
(٦) في النسخة (ر): «فصعدوا وذهبوا ليأخذوه».

السمـاء حتى ما ينـاله الـطير، ودخـل صالـح القريـة، فلمّا رآه الفصيـل بكى حتى سالت دموعه، ثمّ استقبل صالحاً فَرَغَـا ثلاثـاً، فقال صـالح: لكـلّ رغوة أجـل يوم **﴿تَمَتَّعُـوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾**[1]، وآية العذاب أنّ وجوهكم تصبح في اليوم الأوّل مُصْفَـرَّةً، وتصبح في اليـوم الثاني مُحْمـرَّةً، وتصبح في اليـوم الثالث مُسْـوَدَّةً. فلمّـا أصبحوا إذا وجوههم كـأنّما طُليت بـالخلوق، صغيرُهم وكبيـرُهم، ذَكَرُهُم وأُنثـاهم، فلمّا أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم محمرَّة، فلمّا أصبحـوا في اليوم الثـالث إذا وجوههم مُسْوَدَّةٌ كأنّما طُليت بالقار، فتكفّنوا وتحنّطوا، وكان حَنوطهم الصّبر والمرّ، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثمّ ألقوا أنفسهم إلى الأرض، فجعلوا يقلّبـون أبصارهم إلى السمـاء والأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب، فلمّا أصبحـوا في اليوم الـرابع أتتهم صيحـةٌ من السماء، فيهـا صـوت كـالصـاعقـة، فتقـطّعت قلوبهم في صـدورهم **﴿فَأَصْبَحُـوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**[2]، وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم، إلاّ رجلاً كان في الحَـرَم فمنعه الحرم.

قيل: ومن هو؟ قيل: هو أبو رِغال، وهو أبو ثقيف في قول[3].

ولمـا سار النبيّ، ﷺ، إلى تبـوك أتى على قريـة ثمود فقـال لأصحابـه: «لا يدخلنّ أحد مِنكم القريةَ ولا تشربوا من مائها»، وأراهم مُرْتَقَى الفصيـل في الجبل، وأراهم الفَـجَّ الذي كانت الناقة ترِد منه الماء[4].

وأمّا صالح، عليه السلام، فإنّه سار إلى الشـام فنزل فلسـطين، ثمّ انتقل إلى مكّـة فأقام بها يعبدُ الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وكان قد أقام في قومه يدعـوهم عشرين سنة[5].

وأمّا أهل التوراة فإنّهم يـزعمون أنّـه لا ذِكر لعـاد وهود وثمـود وصالـح في التوراة، قال: وأمرهم عند العرب في الجاهليّة والإسلام كشهرة إبراهيم الخليل، عليه السلام.

قلتُ: وليس إنكـارهم ذلك بـأعجب من إنكارهم نبـوّة إبراهيم الخليـل ورسـالتـه، وكذلك إنكارهم حال المسيح، عليه السلام.

---

(١) هود/٦٥.

(٢) هود/٦٧.

(٣) أنظر الطبري ١/٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، مرآة الزمان ١/٢٦٥.

(٤) الطبري ١/٢٣١.

(٥) الطبري ١/٢٣٢، مرآة الزمان ١/٢٦٦.

ذكر إبراهيم الخليل عليه السلام
ومن كان في عصره من ملوك العجم

وهو إبراهيم بن تارَخ بن ناخور[1] بن ساروغ بن أرغو[2] بن فالغ بن غابر[3] بن شالخ بن قَيْنان بن أرفخْشَذ بن سام بن نوح، عليه السلام. واختُلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذي وُلد فيه، فقيل: وُلد بالسُّوس[4] من أرض الأهواز، وقيل: وُلد ببابل، وقيل: بِكُوثَى[5]، وقيل: بحَرَّان ولكنّ أباه نقله.

قال عامّةُ أهل العلم: كان مولده في عهد نُمرود بن كوش[6].

ويقول عامّة أهل الأخبار: إن نُمرود كان عاملاً للازدهاق الذي زعم بعضُ من زعم أنّ نوحاً أُرسل إليه.

وأمّا جماعة من سلف من العلماء فإنّهم يقولون: كان ملكاً برأسه[7].

قال ابن إسحاق: وكان مُلْكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل. قال: ويقال: لم يجتمع مُلك الأرض إلّا لثلاثة ملوك: نُمرود، وذي القرنَين، وسليمان بن داود، وأضاف غيرهُ إليهم بخت نصّر[8]. وسنذكر بُطْلان هذا القول.

فلمّا أراد الله أن يبعث إبراهيم حجّةً على خلقه ورسولاً إلى عباده، ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبيّ إلّا هود وصالح، فلمّا تقارب زمان إبراهيم أتى أصحابُ النجوم نُمرودَ فقالوا له: إنّا نجد غلاماً يولد في قريتك هذه، يقال له إبراهيم، يفارق دينكم ويكسّر

---

(١) في المعارف لابن قتيبة ٣٠، والطبري ١/٢٣٣، ومرآة الزمان ١/٢٩٧ «ناحور» بالحاء المهملة.

(٢) في المعارف، وتاريخ الطبري «أرغوا».

(٣) في العهد القديم، والمعارف، والطبري ومرآة الزمان «عابر» بالعين المهملة.

(٤) السُّوس: بضم أوّله وسكون ثانيه. بلدة بخوزستان، فيها قبر دانيال النبيّ. (معجم البلدان ٣/٢٨٠).

(٥) كُوثَى: بالضم، ثم السكون. بسواد العراق في أرض بابل. قال أبو المنذر: سُمّي نهر كوثى بالعراق بكوثى من بني أرفخشذ بن سام.. وهو أول نهر أُخرج بالعراق من الفرات. (معجم البلدان ٤/٤٨٧).

(٦) تاريخ الخميس ٢/٩٠.

(٧) الطبري ١/٢٣٣.

(٨) الطبري ١/٢٣٣، ٢٣٤.

أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا. فلمّا دخلتِ السنةُ التي ذكروا حبَس نمـرود الحَبالى عنده، إلّا أمَّ إبراهيم فإنّه لم يعلم بحَبَلها لأنّه لم يظهر عليها أثره، فذبح كلَّ غلام وُلد في ذلك الوقت. فلمّا وجدت أمّ إبـراهيم الطَّلْق خـرجت ليلاً إلى مغـارة كانت قـريبة منهـا، فولدت إبراهيمَ وأصلحت من شأنه ما يُصنع[1] بالمولود، ثمّ سدّت عليه المغارة، ثمّ سعت إلى بيتها راجعة، ثمّ كانت تطالعه لتنظر ما فعل، فكـان يشبّ في اليوم مـا يشبّ غيره في الشهر، وكانت تجده حيّاً يمصّ إبهامه جعل الله رزقه فيها.

وكان آزر قد سأل أمَّ إبراهيم عن حمْلهـا فقالت: ولـدتُ غلامـاً فمات، فصـدّقها، وقيل: بل علم آزر بـولادة إبراهيم وكتمـه حتى نسي الملك ذِكْر ذلـك، فقال آزر: إنّ لي ابناً قد خبّأتهُ، أفتخافون عليـه الملك إنْ أنا جئتُ بـه؟ فقالـوا: لا. فانـطلِق فأخـرِجْه من السَّرَب، فلمّا نظر إلى الدوابّ وإلى الخلْق، ولم يكن رأى قبل ذلك غيرَ أبيه وأمه، جعل يسأل أباه عمّا يراه، فيقول أبوه: هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك. فقال: ما لهؤلاء الخلق بدّ من أن يكون لهم ربّ! وكان خروجه بعد غروب الشمس، فـرفع رأسـه إلى السماء، فـإذا هو بالكوكب وهو المشتـري، فقال: ﴿هَـذَا رَبِّي﴾. فلم يلبث أن غاب فقـال: ﴿لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[2]. وكان خروجه في آخر الشهر، فلهذا رأى الكوكبَ قبل القمر[3].

وقيـل: كان تفكّـر وعمره خمسـة عشر شهـراً، قال لأمّـه وهو في المغارة: أخْرِجيني أنظر، فأخرجته عِشَاءً، فنظر فرأى الكوكب، وتفكّر في خلق السموات والأرض، وقال في الكوكب ما تقدّم، ﴿فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً قَالَ: هَذَا رَبِّي. فَلَمَّا أَفَـلَ قَالَ: لَئِنْ لَمْ يَهْـدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّـالِّينَ﴾[4]. فلمّا جـاء النهارُ وطلعتِ الشمسُ، رأى نـوراً أعظم من كـلّ ما رأى فقـال: ﴿هَذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ. فَلَمَّـا أَفَلَتْ قَالَ: يَـا قَـوْمِ إِنِّي بَـرِيءٌ مِمَّـا تُشْـرِكُونَ﴾[5]. ثمّ رجـع إبراهيم إلى أبيـه وقد عـرف ربّه وبـرىء من دين قومـه إلّا أنّه لم يناديهم بذلك، فأخبرته أمّه[6] بما كانت صنعت من كتمان حاله، فسرّه ذلك.

وكـان آزر يصنع الأصنـام التي يعبدونهـا ويُعطيهـا إبرَاهيم ليبيعهـا، فكـان إبـراهيم يقول: من يشري مالا يضرّه ولا ينفعه؟ فلا يشتريها منـه أحد، وكـان يأخـذها وينـطلق بها

---

(١) في النسخة (ب): «يصلح».
(٢) الأنعام/٧٦.
(٣) الطبري ١/٢٣٥، مرآة الزمـان ١/٢٧١، وانظر تـاريخ اليعقـوبي ١/٢٤، ومروج الـذهب ١/٤٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/١٤٢، وتاريخ الخميس ١/٩١.
(٤) الأنعام/٧٧.
(٥) الأنعام/٧٨.
(٦) في النسخة (ر): «فأخبره أنه ابنه».

إلى نهـر فيصوّب رؤوسهـا فيه ويقـول: اشربي! استهـزاءً بقومـه، حتى فشا ذلـك عنه في قومه، غير أنّه لم يبلغ خبره نُمرودَ. فلمّا بدا لإبراهيم أن يدعو قومـه إلى ترك مـا هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى، دعا أباه إلى التوحيد فلم يُجبْـه، ودعا قـومه فقـالوا: مَن تعبـد أنت؟ قال: ربّ العالمين. قالوا: نُمرودَ؟ قال: بل أعبد الذي خلقني. فظهـر أمرُه. وبلغ نمرود أنّ إبراهيم أراد أن يُري قومَه ضعف الأصنام التي يعبدونها ليُلْزمهم الحُجّـة، فجعل يتوقّع فرصةً ينتهي بها ليفعل[1] بأصنامهم ذلك، فنظر نـظرة في النجوم فقـال: إنّي سقيم، أي طعين[2]، ليهربوا[3] منـه إذا سمعوا بـه، وإنّما يـريد إبـراهيم ليخرجـوا[4] عنه ليبلغ من أصنامهم. وكان لهم عيـد يخرجـون إليه جميعهم. فلمّـا خرجـوا قال هـذه المقالـة، فلم يخـرج معهم إلى العيد، وخـالف إلى أصنامهم وهـو يقول: ﴿**تَـالله لأَكِيدَنَّ أَصْنَـامَكُمْ**﴾[5] فسمعـه ضَعْفَى الناس ومن هـو في آخـرهم، ورجـع إلى الأصنـام وهي في بَهْـو عـظيم، بعضها إلى جنب بعض، كلّ صنم يليـه أصغر منـه، حتى بلغوا بـاب البهو، وإذا هم قـد جعلوا طعـاماً بين يـدي آلهتهم وقالـوا: نترك الآلهـة إلى حين نرجـع فتـأكله. فلمّـا نـظر إبراهيم إلى ما بين أيديهم من الطعام قال: ﴿**ألا تَأكُلُونَ؟**﴾ فلمّا لم يجبه أحد قـال: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ؟ فَرَاغَ عَلَيْهِم ضَرْبـاً بِاليَمِينِ**﴾[6]، فكسـرها بفـأس في يده، حتى إذا بقي أعظم صنم ربط الفأس بيده ثمّ تركهنّ.

فلمّا رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم راعهم ذلك وأعظموه وقالوا: ﴿**مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ! قَالُوا: سَمِعْنَـا فَتَىً يَذْكُـرُهُمْ يُقَالُ لَـهُ إبْرَاهِيمُ**﴾[7] يعنـون: يسبّها ويعيبهـا، ولم نسمع ذلـك من غيره، وهـو الذي نـظنّه صنـع بها هـذا، وبلغ ذلك نُمـرودَ وأشـرافَ قومـه، فقالـوا: ﴿**فَأْتُـوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ**﴾[8] مـا نفعل بـه، وقيـل: يشهدون عليـه، كرهـوا أن يأخـذوه بغير بيّنـة، فلمّا أُتي بـه واجتمع لـه قومـهُ عند ملكهم نُمرود وقالوا: ﴿**أأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَـا إبْرَاهِيمُ؟ قَـالَ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيـرُهُمْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾[9]، غضب من أن يعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها،

---

(١) في النسخة (ر): «فرصة ينتهزها ليفعل».

(٢) في النسخة (ت): «طين»، وفي النسخة (ب): «طيّر وسقيم».

(٣) في النسختين: ب، ت: «يهرعون».

(٤) في النسخة (ر): «ان تخرجوا».

(٥) الأنبياء/٥٧.

(٦) الصافات/ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣.

(٧) الأنبياء/٥٩ ـ ٦٠.

(٨) الأنبياء/٦١.

(٩) الأنبياء/٦٢ ـ ٦٣.

فـارعَوَوْا ورجعـوا عنه فيمـا ادّعوا عليـه من كسْرهـا إلى أنفسهم فيما بينهم، فقـالوا: لقـد ظلمناه وما نراه إلاّ كما قـال. ثمّ قالـوا، وعرفـوا أنّها لا تضـرّ ولا تنفع ولا تبـطش: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤلاء يَنْطِقُـونَ﴾[1]، أي لا يتكلّمون، فتخبـرنا مَن صنـع هذا بهـا، وما تبـطش بـالأيدي فنصـدّقك. يقـول الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُـوا عَلى رُؤوسِهِمْ﴾[2] في الحجّة عليْهم لإبراهيم. فقال لهم إبراهيم عند قولهم «ما هؤلاء ينطقون»: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضرُّكُمْ! أُفٍ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله أَفَلا تَعْقِلُونَ؟﴾[3].

ثمّ إنّ نُمرود قال لإبراهيم: أرأيت إلٰهك الذي تعبد وتدعـو إلى عبادته ما هو؟ قال: ﴿رَبِّي الّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[4]. قال نُمرود: أنا أُحيي وأميت. قال إبراهيم: وكيف ذلك؟ قال: آخذ رجلَين قد استوجبا القتل[5] فـأقتل أحـدهما فـأكون قـد أمتّه، وأعفـو عن الآخر فـأكون قـد أحييتُه. فقـال إبـراهيم: ﴿إنّ الله يَـأتي بِـالشّمْس مِنَ المَشْـرِقِ فَـأْتِ بِهَـا مِنَ المَغْرِبِ. فَبُهِتَ﴾[6] عند ذلك نُمرود ولم يرجع إليه شيئاً[7]. ثمّ إنّه وأصحابه أجمعوا على [قتل] إبراهيم فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾[8].

قال عبد الله بن عمر[9]: أشار بتحـريقه رجـل من أعراب فـارس، قيل لـه: وللفرس أعراب؟ قال: نعم، الأكراد هم أعرابهم.

قيل: كان اسمه هيزن فخُسف به، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

فأمر نُمرود بجمع الحطب من أصناف الخشب، حتى إنْ كانت المرأة لَتَنْـذُر بـ: إنْ بلغتْ ما تطلب، أن تَحتـطب لنار إبـراهيم، حتى إذا أرادوا أن يُلْقوه فيهـا قدّمـوه وأشعلوا النّار، حتى إنْ كانت الطير لَتَمُرّ بها فتحترق من شدّتها وحرّهـا، فلمّا أجمعـوا لقذفـه فيها صاحت السماء والأرض وما فيها [من الخلق] إلاّ الثقَلَيْن إلى الله صيحةً واحدة: أي ربّنا! إبـراهيم ليس في أرضك من يعبـدك غيره يحـرق بالنـار فيك فـأذَن لنا في نصـره! قال الله تعالى: إنْ استغاث بشيءٍ منكم فلينصرْه، وإنْ لم يدعُ غيري فأنا له[10]. فلمّـا رفعوه على

---

(١) الأنبياء/٦٥.
(٢) الأنبياء/٦٥.
(٣) الأنبياء/٦٦ ـ ٦٧.
(٤) البقرة/٢٥٨.
(٥) في النسخة (ر): «القتل في حكم».
(٦) البقرة/٢٥٨، والخبر في تاريخ الخميس ١/٩٣.
(٧) في النسخة (ر): «وعرف أنه لا يطيق ذلك».
(٨) الأنبياء/٦٨.
(٩) الطبري ١/٢٤٠.
(١٠) في النسخة (ر)، وتاريخ الطبري ١/٢٤١ «فأنا وليّه».

رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمّ أنتَ الواحد في السماء وأنتَ الواحد في الأرض، حسبيَ الله ونِعم الوكيل. وعرض له جبرائيل وهو يوثَق فقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليك فلا. فقذفوه في النّار فناداها[1] فقال: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2]. وقيل: ناداها جبرائيل، فلو لم يتبع بردَها سلامٌ لمات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبقَ يومئذٍ نارٌ إلاّ طَفِئَت، ظنَّت أنّها هي[3]. وبعث الله مَلَكَ الظلّ في صورة إبراهيم، فقعد إلى جنبه يؤنسه.

فمكث نمرود أيّاماً لا يشكّ أنّ النار قد أكلت إبراهيم، فرأى كأنّه نظر فيها وهي تحرق بعضها بعضاً، وإبراهيم جالس إلى جنبه رجلٌ مثله. فقال لقومه: لقد رأيتُ كأنّ إبراهيم حيّ ولقد شُبّه عليّ، ابنوا لي صرحاً يُشرف بي على النّار، فبنوا له وأشرف منه[4]، فرأى إبراهيم جالساً وإلى جانبه رجل[5] في صورته، فناداه نُمرود: يا إبراهيم كبيرٌ إلهك الذي[6] بلغتْ قُدرتُه وعزّته أنْ حال بينك وبين ما أرى، هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم. قال: أتخشى إن أقمت فيها [أن تضرّك] قال: لا. فقام إبراهيم فخرج منها، فلمّا خرج قال له: يا إبراهيم من الرجل الذي رأيتُ معك مثل صورتك؟ قال: ذلك ملَك الظلّ أرسله إليّ ربّي ليؤنسني. قال نُمرود: إنّي مقرِّبٌ إلى إلهك قرباناً لِما رأيتُ من قُدرته وعزّته، وما صنع بك حين أبيتَ إلاّ عبادته.

فقال إبراهيم: إذاً لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك. فقال: يا إبراهيم لا أستطيع ترك مُلْكي. وقرّب أربعة آلاف بقرة وكفّ عن إبراهيم ومنعه الله منه.

وآمن مع إبراهيم رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوفٍ من نُمرود وملإهم، وآمن له لوط بن هاران، وهو ابن أخي إبراهيم، وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور[7] بن تارَخ، وهو أبو بتويل، وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أمّ يعقوب، ولابان أبو ليا وراحيل زوجتي يعقوب. وآمنت به سارَة، وهي ابنةُ عمّه، وهي

---

(١) في النسخة (ب): «فنادى منادٍ».

(٢) الأنبياء/٦٩.

(٣) في النسخة (ب): «تعنى»، وكذا في تاريخ الطبري ١/٢٤٢، ومرآة الزمان ١/٢٧٦.

(٤) في النسخة (ر): «فبنوا له صرحاً وأشرف منه على النار».

(٥) في النسخة (ر): «الملك»، وكذا في تاريخ الطبري.

(٦) في الطبعة الأوربية: «يا إبراهيم إنّ إلهك كبير الذي».

(٧) في تاريخ الطبري ١/٢٤٤ «ناحور».

سارة ابنة هاران الأكبر عمّ إبراهيم. وقيل: كانت ابنة ملك حرّان فآمنت بالله تعالى مع إبراهيم[1].

ذكر هجرة إبراهيم عليه السلام ومن آمن معه

ثمّ إنّ إبراهيم والذين اتّبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم، فخرج مهاجراً[2] حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وقيل: كان أخا الضحّاك استعمله على مصر، وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً، وكانت لا تعصي إبراهيم شيئاً، فلمّا وُصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم فقال: مَنْ هذه التي معك؟ قال: أختي، يعني في الإسلام، وتخوّف إن قال هي امرأتي أن يقتله. فقال له: زيّنها وأرسلها إليّ. فأمر[3] بذلك إبراهيم، فتزيّنت، وأرسلها إليه، فلمّا دخلت عليه أهوى بيده إليها، وكان إبراهيم حين أرسلها قام يصلّي، فلمّا أهوى إليها أُخذ أخذاً شديداً، فقال: ادعي الله ولا أضرّك. فدعتْ له، فأرسل، ثمّ فعل ذلك الثالثة، فذُكر مثل المرّتين، فدعا أدنى حجّابه فقال: إنّك لم تأتني بإنسان وإنّك أتيتني بشيطان! أخرِجْها وأعطِها هاجَر، ففعل، فأقبلت بهاجر، فلمّا أحسّ إبراهيم بها انفتل من صلاته فقال: مَهيم[4]! فقالت: كفى الله كيد الكافرين وأخدم هاجر[5].

وكان أبو هريرة يقول: تلك أُمّكم يا بني ماء السماء.

وروى أبو هريرة عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: لم يكذب إبراهيم إلاّ ثلاث مرّات، اثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إنّي سَقِيمٌ﴾[6]، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[7]، وقوله في سارة: هي أختي[8].

---

(١) الطبري ١/٢٤٤.

(٢) في النسخة (ر) إضافة بعد كلمة «مهاجراً»: «إلى الله ومعه أبوه آزر كافراً فمات على كفره بحرّان، وكان أيضاً معه: لوط وزوجته سارة تطلب الأمان على عبادة الله تعالى حتى نزل حرّان فمكث بها ما شاء الله تعالى، ثم خرج مهاجراً».

(٣) في النسخة (ر): «فأمرها».

(٤) مَهْيَمْ: قال في مرآة الزمان ١/٢٨٠: «بفتح الميم الأولى، وإسكان الثانية، كلمة يُستفهم بها، ومعناها: ما حالك وما شأنك»؟.

(٥) الطبري ١/٢٤٥، ٢٤٦، وانظر تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٤٣، وفي مرآة الزمان ١/٢٨٠ «وأخدم خادماً».

(٦) الصافات/٨٩.

(٧) الأنبياء/٦٣.

(٨) الطبري ١/٢٤٧، تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٤٣.

ذكر ولادة إسماعيل عليه السلام وحمله إلى مكة

قيل: كانت هاجر جاريةً ذات هيئة، فوهبتْها سارة لإبراهيم وقالت: خذْها لعلّ الله يرزقك منها ولداً، وكانت سارة قد مُنعت الولد حتى أسنّت[1]، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت إسماعيل، ولهذا قال النبيّ، ﷺ: «إذا افتتحتم مصرَ فاستوصوا بأهلها خيراً، فإنّ لهم ذمّة ورَحِماً»[2]، يعني ولادة هاجر.

فكان إبراهيم قد خرج بها إلى الشام من مصر خوفاً من فرعون، فنزل السَّبْع من أرض فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السَّبْع مسيرة يوم وليلة، فبعثه الله نبيّاً، وكان إبراهيم قد اتخذ بالسبع بئراً ومسجداً، وكان ماء البئر مَعِيناً طاهراً، فآذاه أهل السبع فانتقل عنهم، فنضب الماء، فاتّبعوه يسألونه العَوْدَة إليهم، فلم يفعل وأعطاهم سبعة أعنز، وقال: إذا أوردتموها الماءَ ظهر حتى يكون مَعِيناً طاهراً فاشربوا منه، ولا تغترفْ منه امرأةٌ حائض. فخرجوا بالأعنز، فلمّا وقفت على الماء ظهر إليها، وكانوا يشربون منه، إلى أن غرفت منه امرأة طامِثٌ، فعاد الماء إلى الذي هو عليه اليوم[3].

وأقام إبراهيم بين الرملة وإيليا[4]، ببلد يقال له قَطّ أو قِطّ.

قال: فلمّا وُلد إسماعيل حزنت سارة حزناً شديداً، فوهبها الله إسحاقَ وعمرها سبعون[5] سنة، فعُمْر إبراهيم مائة وعشرون سنة، فلمّا كَبُر إسماعيل وإسحاق اختصما، فغضبت سارة على هاجر، فأخرجتها ثمّ أعادتها، فغارت منها فأخرجتها، وحلفت لتقطعنّ منها بضعةً، فتركت أنفها وأُذُنها لئلاّ تشينها ثمّ خفضتها، فمن ثمّ خفض النساء.

---

(١) في النسختين: ب، ر: «أيست»، والمثبت يتفق مع الطبري ٢٤٧/١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ١٧٣/٥، ١٧٤ من طريق أبي بصرة، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «انكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإنّ لهم ذمّة ورحِما، أو قال: ذمة وصِهراً».

(٣) الطبري ٢٤٧/١، ٢٤٨.

(٤) إيلياء: بكسر أوّله واللام. اسم مدينة بيت المقدس. (معجم البلدان ٢٩٣/١).

(٥) في الأصل ونسختي: ب، ر: «تسعون» وكذلك في تاريخ الطبري ٢٤٩/١، وعرائس المجالس للثعلبي ٦٤.

وقيل: كان إسماعيل صغيراً، وإنّما أخرجتها سارة غَيرةً منها، وهو الصحيح. وقالت سارة: لا تساكنني في بلد. فأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكّة وليس بها يومئذ نبت، فجاء إبراهيم بإسماعيل وأمّه هاجر فوضعهما بمكّة بموضع زَمْزَم، فلمّا مضى نادته هاجر: يا إبراهيم مَنْ أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس؟ قال: ربّي أمرني. قالت: فإنّه لن يضيّعنا. فلمّا ولّى[1] قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ الآية[2].

فلمّا ظمي إسماعيل جعل يدحض الأرض برِجْله، فانطلقت هاجر حتى صعدت الصَّفا لتنظر هل ترى شيئاً، فلم ترَ شيئاً، فانحدرت إلى الوادي فسعت حتى أتت المَرْوَةَ، فاستشرفت هل ترى شيئاً فلم تَرَ شيئاً، ففعلت ذلك سبع مرّات، فذلك أصل السعْي، ثمّ جاءت إلى إسماعيل وهو يدحض الأرض بقدمَيْه، وقد نبعت العينُ، وهي زمزمُ، فجعلت تفحص الأرض بيدها[3] عن الماء، وكلّما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها. قال: فقال النبيّ، ﷺ: «يرحمها الله! لو تركَتْها لكانت عيناً سائحة»[4].

وكانت جُرْهُم بوادٍ قريب من مكّة، ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء، فلمّا رأت جُرْهُمْ الطيرَ لزِمت الوادي، قالوا: ما لزِمته إلاّ وفيه ماء، فجاؤوا إلى هاجر فقالوا: لو شئتِ لكنّا معك فآنسناكِ والماء ماؤكِ. قالت: نعم. فكانوا معها حتى شبَّ إسماعيل وماتت هاجر، فتزوّج إسماعيل امرأة من جُرْهُم، فتعلّم العربيّة منهم هو وأولاده، فهم العرب المتعرِّبة.

واستأذن إبراهيم سارةَ أن يأتي هاجر، فأذِنت له وشرطت عليه ألاّ ينزل، فقدِم وقد ماتت هاجر، فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس ههنا، ذهب يتصيّد. وكان إسماعيل يخرج من الحَرَم يتصيّد ثمّ يرجع. قال إبراهيم: هل عندكِ ضيافة؟ قالت: ليس عندي ضيافة، وما عندي أحد. فقال إبراهيم: إذا جاء زوجكِ فأقْرِئيه السلامَ، وقولي له فليغيّر عتبةَ بابه.

وعاد إبراهيم، وجاء إسماعيل فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل عندكِ أحد؟

---

(١) في النسخة (ر): بعد ولّى: «ربّنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، يعني من الحزن وقال: ربنا إني».

(٢) إبراهيم/٣٧.

(٣) في النسخة (ر): «بيديها».

(٤) في النسخة (ر): «عينا جارية سايحة»
وانظر الخبر في تاريخ الطبري ١/٢٥٦، وأخبار مكة للأزرقي ٢/٤٠.

قالت: جاءني شيخ كذا وكذا، كالمستخِفّة بشأنه، قال: فما قال لكِ؟ قالت: قال: أَقْرِئي زوجَك السلامَ وقولي له فليغيِّرْ عتبةَ بابه. فطلّقها وتزوّج أخرى.

فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث، ثمّ استأذن سارةَ أن يزور إسماعيل، فأذِنت له وشرطت عليه أن لا ينزل. فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبكِ؟ قالت: ذهب ليتصيّد وهو يجيء الآن إن شاء الله تعالى، فانزِلْ يرحمك الله. فقال لها: فعندك ضيافة؟ قالت: نعم. قال: فهل عندك خبز أو بُرٌّ أو شعير أو تمر؟ قال: فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، ولو جاءت يومئذ بخبز أو تمر أو بُرّ أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك، فقالت: انزل حتى أغسل رأسك. فلم ينزل. فجاءته بالمقام بالإناء، فوضعته عند شقّه الأيمن، فوضع قدمه عليه، فبقي أثر قدمه فيه، فغسلت شقّ رأسه الأيمن، ثمّ حوّلت المقام إلى شقّه الأيسر، ففعلت به كذلك. فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرِئيه عني السلامَ وقولي له: قد استقامت عتبة بابك[1].

فلمّا جاء إسماعيل وجد ريحَ أبيه، فقال لامرأته: هل جاءكِ أحد؟ قالت: نعم، شيخ أحسن النّاس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، فقال لي كذا وكذا، وقلتُ له كذا كذا، وغسلتُ رأسه، وهذا موضع قدمه، وهو يُقرئك السلام ويقول: قد استقامت عتبةُ بابك. قال: ذلك إبراهيم[2].

وقيل: إنّ الذي أنبع الماء جبرائيل، فإنّه نزل إلى هاجر وهي تسعى في الوادي، فسمعت حسّه فقالت: قد أُسمِعْتَني فأغِثني، فقد هلكتُ أنا ومن معي. فجاء بها إلى موضع زَمْزَم، فضرب بقدمه، ففارت عيناً، فتعجلت[3]، فجعلت تُفرغ في شنّها. فقال لها: لا تخافي الظمأ[4].

---

(١) في النسخة (ت): «بيتك».

(٢) قارن بالطبري ١/٢٥٦، ٢٥٧ و٢٥٨ و ٢٥٩، وأخبار مكة للأزرقي ١/٥٨، ونهاية الأرب ١٣/١١٧، ١١٨، وعرائس المجالس ٦٦، وتاريخ الخميس ١/١١١.

(٣) في الطبعة الأوربية «فتعجب».

(٤) أنظر: أخبار مكة للأزرقي ٢/٤٠، وعرائس المجالس ٦٥، وشفاء الغرام (بتحقيقنا) ١/٣٩٧.

ذكر عمارة البيت الحرام بمكة

قيل: ثمّ أمر الله إبراهيم ببناء البيت الحرام، فضاق بذلك ذَرْعاً، فأرسل الله السكينة، وهي ريح خَجوج[1]، وهي اللّيّنة الهبوب، لها رأسان، فسار معها إبراهيم حتى انتهت إلى موضع البيت، فتطوّت[2] عليه كتطوّي الجحفة، فأُمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرّ السكينة، فبنى إبراهيم.

وقيل: أرسل الله مثل الغمامة له رأس فكلّمه وقال: يا إبراهيم ابْنِ على ظلّي أو على قدْري لا تزِدْ ولا تُنْقِص، فبنى. وهذان القولان نُقِلا عن عليّ.

وقال السُّدِّيُّ: الذي دلّه على موضع البيت جبرائيل.

فسار إبراهيم إلى مكّة، فلمّا وصلها وجد إسماعيلُ يُصلح نَبْلاً له وراء زمزم، فقال له: يا إسماعيلِ إنّ الله قد أمرني أن أبني له بيتاً. قال إسماعيل: فأطِع ربّك. فقال إبراهيم: قد أمرك أن تُعينني على بنائه. قال: إذنْ أفعل. فقام معه، فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجارة. ثمّ قال إبراهيم لإسماعيل: إيتني بحجرٍ حَسَنٍ أضعه على الرُّكْن فيكون للنّاس عَلَماً. فناداه أبو قُبيس: إنّ لك عندي وديعة، وقيل: بل جبرائيل أخبره بالحجر الأسود، فأخذه ووضعه موضعه، وكانا كلّما بنيا دعوَا الله: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**﴾[3].

فلمّا ارتفع البنيانُ وضعُف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر، وهو مقام إبراهيم، فجعل يناوله، فلمّا فرغ من بناء البيت أمره الله أن يؤذّن في النّاس بالحجّ، فقال إبراهيم: يا ربّ وما يبلغ صوتي؟ قال: أذّنْ وعليّ البلاغ. فنادى: أيّها النّاس إنّ الله قد كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق! فسمعه ما بين السماء والأرض، وما في أصلاب

---

(١) في الطبعة الأوربية «محجوج»: والخجوج: الريح الشديدة المَرّ (تاج العروس ٥/٥٤٣).

(٢) في أخبار مكة ١/٦١ «فتطوقت».

(٣) البقرة/١٢٧.

الـرجال وأرحـام[1] النسـاء، فـأجـابـه من آمن ممّن[2] سبق في علم الله أن يحـجّ إلى يـوم القيامة، فأجيب: لبّيك لبّيك! ثمّ خرج بإسماعيـل معه[3] إلى التـروية، فنـزل به مِنىً ومن معـه من المسلمين، فصلّى بهم الظُهْـرَ والعَصْرَ والمغـرب والعشاء الآخـرة، ثمّ بات حتى أصبح فصلّى بهم الفجر، ثمّ سـار إلى عرَفَـة، فأقـام بهم هناك، حتى إذا مـالت الشمسُ جمع بين الصلاتين الظهرَ والعصرَ، ثمّ راح بهم[4] إلى الموقف من عَرَفة الـذي يقف عليه الإمام، فوقف به على الأراك، فلمّا غربت الشمس دفع بـه ومن معه حتى أتى المـزدلفة، فجمع بها الصلاتين المغربَ والعشاءَ الآخرة، ثمّ بات بها ومن معـه، حتى إذا طلع الفجرُ صلّى الغـداةَ، ثمّ وقف على قُزَح حتى إذا أسفـر[5] دفع بـه وبمن معه يـريه ويعلمـه كيف يصنع، حتى رمى الجمْرةَ، وأراه المنحر، ثمّ نحر وحَلَق، وأراه كيف يـطوف، ثمّ عاد بـه إلى مِنىً ليُرِيَه كيف رميُ الجِمار، حتى فرغ من الحجّ[6].

ورُوي عن النبيّ، ﷺ، أنّ جبرائيل هو الذي أرى إبـراهيم كيف يحجّ، ورواه عنـه ابن عمر[7].

ولم يـزل البيت على ما بنـاه إبراهيم، عليـه السـلام، إلى أنْ هـدمتـه قـريش سنـة خمسٍ وثلاثين من مولد النبيّ، ﷺ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) في النسخة (ر): «وما في أرحام».
(٢) في النسخة (ر): «آمن معه ممن».
(٣) في النسخة (ت): «يوم».
(٤) في النسخة (ر): «ثم رجع بهم».
(٥) في النسخة (ر): «استقر».
(٦) قارن بالطبري ١/٢٦١، ٢٦٢، وأخبار مكة للأزرقي ١/٦٦ ـ ٦٨.
(٧) الطبري ١/٢٦٢.

ذكر قصة الذبح

واختلف السَّلَف من المسلمين في الذَّبيح[1]، فقال بعضهم: هو إسماعيل. وقال بعضهم: هو إسحاق. وقد رُوي عن النبيّ، ﷺ، كلا القولين، ولو كان فيهما صحيح لم نُعِدهُ[2] إلى غيره.

فأمّا الحديث في أنّ الذبيح إسحاق، فقد روى الأحنفُ، عن العبّاس بن عبد المطّلب، عن رسول الله، ﷺ، في حديث ذكر فيه: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3] هو إسحاق، وقد رُوي هذا الحديث عن العبّاس، من قوله لم يرفعه.

وأمّا الحديث الآخر في أن الذّبيح إسماعيل، فقد روى الصُّنَابِحِيّ[4] قال: كنّا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح فقال: على الخبير سقطتم، كنّا عند رسول الله، ﷺ، فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عُدْ عليَّ ممّا أفاء الله عليك يا ابنَ الذبيحَين، فضحك، ﷺ، فقيل لمعاوية: وما الذبيحان؟ فقال: إنّ عبد المطّلب نذر إنْ سهّل الله حفر زمزم، أن يذبح أحدَ أولاده، فخرج السهمُ على عبد الله أبي النبيّ، ﷺ، ففداه بمائة بعير، وسنذكره إن شاء الله، والذبيح الثاني إسماعيل[5].

ذكر من قال إنه إسحاق

ذهب عمرُ بن الخطّاب، وعليّ، والعبّاس بن عبد المطّلب، وابنه عبد الله، رضي الله عنهم، فيما رواه عنه عِكرمةُ، وعبدُ الله بن مسعود، وكعب، وابن سابط، وابن أبي الهُذَيْل، ومسروق، إلى أنّ الذبيحَ إسحاق، عليه السلام.

---

(١) في الطبعة الأوربية: «الذبيحين».
(٢) في النسخة (ر): «يعد».
(٣) الصافّات/١٠٧.
(٤) الصُّنابحي: بضم الصاد وفتح النون.. نسبة إلى صُنابح بن زاهر بن عامر.. والمذكور هنا هو: أبو عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي. ليست له صحبة. (اللباب ٢/٢٤٧).
(٥) الطبري ١/٢٦٤، التفسير ٢٣/٥٤، عرائس المجالس ٩٣، مرآة الزمان ١/٢٩٨، ٢٩٩، وأنظر: تاريخ الخميس ١/١٠٨.

حدّث عمرو بن أبي سفيان بن أبي أَسِيد بن أبي جارية[1] الثقفيّ أنّ كعباً قال لأبي هريرة: ألا أُخبرك عن إسحاق بن إبراهيم؟ قال: بلى. قال كعب: لما رأى إبراهيم ذَبْح إسحاق قال الشيطان: والله لئن لم أفتِنْ عند هذا آل إبراهيم لم أفتِنْ[2] أحداً منهم بعد ذلك أبداً، فتمثّل رجلاً[3] يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه، دخلَ على سارة امرأة إبراهيم فقال لها: أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق؟ قالت: لبعض حاجته. قال: لا والله إنما غدا به ليذبحه! قالت سارة: لم يكن ليذبح ولده. قال الشيطان: بلى والله، لأنّه زعم أنّ الله قد أمره بذلك. قالت سارة: فهذا أحسن أن يطيع ربّه. ثمّ خرج الشيطانُ فأدرك إسحاق وهو مع أبيه فقال له: إنّ إبراهيم يريد أن يذبحك. قال إسحاق: ما كان ليفعل. قال: بلى والله إنّه زعم أنّ ربّه أمره بذلك. قال إسحاق: فوالله لئن أمره ربُّه بذلك ليطيعنّه! فتركه ولحِق إبراهيمَ فقال: أين أصبحتَ غادياً بابنك؟ قال: لبعض حاجتي. قال: لا والله إنّما تريد ذبْحه! قال: ولِمَ؟ قال: لأنّك زعمت أنّ الله أمرك بذلك. قال إبراهيم: فوالله إنْ كان الله أمرَني بذلك لأفعلنّ.

فلمّا أخذ إبراهيم إسحاقَ ليذبحه أعفاهُ الله من ذلك وفداه بذبح عظيم، وأوحى الله إلى إسحاق: إنّي مُعطيك دعوةً أستجيبُ لك فيها. قال إسحاق: اللهمّ فأيّما عبدٍ لقِيكَ من الأوّلين والآخرين لا يُشْرك بك شيئاً فأدخِلْه الجنّة[4].

وقال عبيد بن عمير[5]: قال موسى: يا ربِّ يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فبِمَ نالوا ذلك[6]؟ قال: إنّ إبراهيم لم يعدِل بي شيئاً قطّ إلّا اختارني، وإنّ إسحاق جاد لي بالذّبح وهو بغير ذلك أجود، وإنّ يعقوب كلّما زدتُه بلاءً زادني حسن ظنٍّ بي.

(أَسِيد بفتح الهمزة، وكسر السين. وجارية بالجيم).

ذِكْر من قال إنّ الذبيح إسماعيل عليه السلام

روى سعيد بن جُبَير، ويوسف بن مِهران، والشَّعبيّ، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، كلّهم عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ الذبيح إسماعيل، وقال: زعمت اليهودُ أنّه إسحاق، وكذبتِ اليهود.

---

(١) في النسخة (ر): «أسيد بن حارثة»، وفي تاريخ الطبري ١/٢٦٥ «عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية».
(٢) في النسخة (ب): «أحداً منهم اليوم فلا أفتتن».
(٣) في النسخة (ب): «برجل».
(٤) الطبري ١/٢٦٥، ٢٦٦.
(٥) في النسخة (ب): «عمرو»، وفي تاريخ الطبري «عبد الله بن عبيد بن عمير». (١/٢٦٦).
(٦) في تاريخ الطبري «فيم قالوا ذلك»، وفي مرآة الزمان ١/٣٠٠ «فبم ذلك».

وقال أبو الطُّفَيْل، والشعبيّ[1]: رأيتُ قرنَي الكبش في الكعبة[2].

قال محمّد بن كعب: إنّ الذي أمر الله إبراهيمَ بذبحه من ابنَيْه إسماعيل، وإنّا لنجد ذلك في كتاب الله في قصّة الخبر عن إبراهيم، وما أُمر به من ذبحه ابنه أنّه إسماعيل، وذلك أنّ الله تعالى حين فرغ من قصّة المذبوح من ابنَيْ إبراهيم قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3]، ويقول: وبشّرناه بإسحاق نبيّاً، ومن وراء إسحاق يعقوب بابن وابن ابن، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق، وله فيه من الله عزّ وجلّ ما وعده، وما الذي أمر بذبحه إلّا إسماعيل؛ فذكر ذلك محمّد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، فقال: إنّ هذا الشيء ما كنتُ أنظر فيه، وإنّي لأراه كما قلت[4].

ذِكر السبب الذي من أجله أُمر إبراهيم بالذِّبْح وصفة الذبح

قيل: أمر الله إبراهيم، عليه السلام، بذبح ابنه، فيما ذُكر أنّه دعا الله أن يهب له ولداً ذَكَراً صالحاً، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[5]. فلمّا بشّرته الملائكةُ بغلام حليم قال: إذْن هو ذبيحٌ. فلمّا وُلدَ الغلامُ وبلغ معه السَّعْيَ قيل له: أَوْفِ نَذْرَك الذي نذرتَ. وهذا على قول من زعم أنّ الذبيحَ إسحاق، وقائل هذا يزعم أنّ ذلك كان بالشام على ميلين من إيليا. وأمّا مَن زعم أنّه إسماعيل فيقول: إنّ ذلك كان بمكّة.

قال محمّد بن إسحاق[6]: إنّ إبراهيم قال لابنه حين أُمر بذبحه: يا بُنيّ خذِ الحبلَ والمُدْية، ثمّ انطلقْ بنا إلى هذا الشّعب لنحتطب لأهلك. فلمّا توجّه اعترضه إبليس ليصدّه عن ذلك، فقال: إليكَ عنّي يا عدوّ الله! فوالله لأمضِيَنّ لأمر الله! فاعترض إسماعيلَ فأعلمه ما يريد إبراهيمُ يصنع به، فقال: سمعاً لأمر ربّي وطاعةً[7]. فذهب إلى هاجر فأعلمها، فقالت: إنْ كان ربّه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله. فرجع بغيظه لم يصبْ منهم شيئاً.

فلمّا خلا إبراهيم بالشِّعب، وهو شِعب ثَبير، قال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى. قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ

---

(١) في النسخة (ب): «ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي أنه إسماعيل قال الشعبي».
(٢) الطبري ١/٢٦٩، وانظر: عرائس المجالس ٩١ ـ ٩٣، مرآة الزمان ١/٢٩٨، تاريخ الخميس ١/١٠٨.
(٣) الصافّات/١١٢.
(٤) الطبري ١/٢٧٠.
(٥) الصافات/١٠٠.
(٦) الطبري ١/٢٧٤.
(٧) في النسخة (ب): «والله لأمضينّ لأمر الله».

الصَّابِرِينَ﴾[1]. ثمّ قال له: يا أبتِ إن أردتَ ذَبْحي فاشدُدْ رباطي لا يُصبْك من دمي شيء فينتقص أجري، فإنّ الموت شديد، واشحذ[2] شفرتك حتى تريحني، فإذا أضجعتني فكبّني على وجهي، فإنّي أخشى إنْ نظرتَ في وجهي أنّك تدركك رحمةٌ، فتحُول بينك وبين أمر الله، وإنْ رأيتَ أن تردّ قميصي إلى هاجر أمّي فعسى أن يكون أسْلَى لها عنّي، فافعل. فقال إبراهيم: نِعْم المُعين أنتَ، أي بُنيّ، على أمر الله!.

فربطه كما أمره ثمّ حدّ شفرته ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾، ثمّ أدخل الشفرة لحلقه، فقلبها الله لقفاها، ثمّ اجتذبها إليه ليفرغ منه، فنودي: ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾[3]، هذه ذبيحتك فِداء لابنك فاذبحها[4].

وقيل: جعل الله على حلقه صحيفة نحاس.

قال ابنُ عبّاس: خرج عليه كبش من الجنّة قد رعى فيها أربعين خريفاً[5].

وقيل: هو الكبش الذي قرّبه هابيل[6].

وقال عليّ، عليه السلام: كان كبشاً أقرن أَعْيَن أبيض[7].

وقال الحسن: ما فُدي إسماعيل إلّا بتيس من الأَرْوَى، هُبِط عليه من ثَبير فذبحه[8].

قيل: بالمقام، وقيل: بمِنىً في المنحر.

ذِكْر ما امتحن الله به إبراهيم عليه السلام

بعد ابتلاء الله تعالى إبراهيم بما كان من نُمرود، وذبح ولده، بعد أن رجا نفعه[9] ابتلاه الله بالكلمات التي أخبر أنّه ابتلاه بهنّ، فقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[10].

---

(١) الصافات/١٠٢.
(٢) في النسخة (ب) و(ر): «استحدّ».
(٣) الصافات/١٠٤.
(٤) الطبري ١/٢٧٥، وانظر تاريخ اليعقوبي ١/٢٧، ٢٨.
(٥) الطبري ١/٢٧٥.
(٦) الطبري ١/٢٧٧.
(٧) الطبري ١/٢٧٦.
(٨) الطبري ١/٢٧٧.
(٩) في الطبعة الأوربية «بعد أن جاء نفعه».
(١٠) البقرة/١٢٤.

واختلف السّلَفُ من العلماء الأئمّة[1] في هذه الكلمات. فقال ابن عبّاس، من رواية عِكرمة عنه، في قوله تعالى: ﴿وإذِ ابْتَلَى إبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأتَمَّهُنَّ﴾[2]: لم يُبتَل أحد بهذا الدّين فأقامه، إلاّ إبْرَاهِيم. وقال الله: ﴿وإبْرَاهِيمَ الَّذِي وفَّى﴾[3]، قال: والكلمات عشر في براءة، وهي: ﴿العَابِدُونَ الحَامِدُونَ﴾ الآية[4] وعشر في الأحزاب، وهي: ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ﴾ الآية[5]، وعشر في المؤمنين، من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[6]. وقال آخرون: هي عشر خِصال[7].

قال ابن عبّاس، من رواية طاووس، وغيره عنه: الكلمات عشر، وهي خمس في الرأس: قصّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس، وخمس في الجسد، وهي: تقليم الأظفار، وحلْق العانة، والخِتان، ونتْف الإبط، وغسْل أثر الغائط[8].

وقال آخرون: هي مناسك الحَجّ[9].

وقوله تعالى: ﴿إنّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً﴾[10]، وهو قول أبي صالح[11] ومجاهد[12].

وقال آخرون: هي ستّ، وهي: الكواكب، والقمر، والشمس، والنّار، والهجرة، والخِتان[13].

وذبح ابنَه، وهو في قول الحسن، قال: ابتلاه بذلك، فعرف أنّ ربّه دائم لا يزول، فوجّه وجهه للذي فَطر السموات والأرض، وهاجر من وطنه، وأراد ذبح ابنه، وختن نفسه[14].

---

(١) في النسختين: ب، ر: «علماء الأمة».
(٢) البقرة/١٢٤.
(٣) النجم/٣٧.
(٤) التوبة/١١٢.
(٥) الأحزاب/٣٥.
(٦) المؤمنين/٩.
(٧) الطبري ١/٢٧٩.
(٨) الطبري ١/٢٨٠.
(٩) الطبري ٢/٢٨١.
(١٠) البقرة/١٢٤.
(١١) الطبري ١/٢٨١.
(١٢) الطبري ١/٢٨٢.
(١٣) الطبري ١/٢٨٥.
(١٤) الطبري ١/٢٨٥.

وقيل غير ذلك ممّا لا حاجة إليه في التاريخ المختصر، وإنّما ذكرنا هذا القـدر لئلاّ يخلو من فصول[1] الكتاب.

(1) في النسخة (ر): «لئلا يحل بفصل».

ذكر عدوّ الله نمرود وهلاكه[1]

ونرجع الآن إلى خبر عدوّ الله نُمرود، وما آل إليه أمرُه في دنياه وتمرّده على الله تعالى، وإملاء الله له، وكان أوّل جبّار في الأرض، وكان إحراقه إبراهيم ما قدّمنا ذكره، فأخرج إبراهيم، عليه السلام، من مدينته وحَلَفَ أنّه يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعةَ أفْرُخ نُسور فربّاهن باللّحم والخمر حتى كبرْن وغلظْن، فقرنهنّ بتابوت وقعد في ذلك التابوت، فأخذ معه رجلاً ومعه لحم لهنَّ، فطرن به، حتى إذا ذهبن أشرف ينظر إلى الأرض فرأى الجبالَ تدبّ كالنّمل، ثمّ رفع لهنّ اللّحمَ ونظر إلى الأرض، فرآها يحيط بها بحر كأنّها فُلك[2] في ماء، ثمّ رفع طويلاً فوقع في ظُلْمة، فلم يرَ ما فوقه وما تحته، ففزع وألقى اللحم، فاتّبعْته النسور منقضّات، فلمّا نظرتِ الجبالُ إليهنّ وقد أقبلن منقضّات وسمعنَ حفيفهنَ فزعتِ الجبالُ وكادت تزول ولم يفعلن، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾[3]. وكانت طيرورتهنّ[4] من بيت المقدِس، ووقوعهنّ في جبل الدخان.

فلمّا رأى أنّه لا يطيق شيئاً، أخذ في بنيان الصرْح، فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر إلى إله إبراهيم بزعمه وأحدث، ولم يكن يُحْدِث، وأخذ الله بنيانَهم من القواعد من أساس الصرْح، فسقط وتبلبلت الألسنُ يومئذ من الفزع، فتكلّموا بثلاثةٍ وسبعين لساناً، وكان لسان النّاس قبل ذلك سُريانيّاً[5].

هكذا رُوي أنّه لم يُحْدِث، وهذا ليس بشيء، فإنّ الطبع البشريّ لم يخلُ منه إنسان حتى الأنبياء، صلوات الله عليهم، وهم أكثر اتّصالاً بالعالم العُلويّ وأشرف أنفساً، ومع هذا فيأكلون ويشربون ويبولون ويتغوّطون، فلو نجا منه أحد لكان الأنبياء أَوْلَى

---

(١) أنظر عنه: عرائس المجالس ٧٦، الطبري ١/٢٨٧، التفسير ١٤/٦٦، تاريخ الخميس ١/٩٥.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٢٨٩ «فَلَكة».

(٣) إبراهيم/٤٦.

(٤) في النسخة (ب)، والطبري «طيرانهن».

(٥) الطبري ١/٢٨٩، التفسير ١٤/٦٦، ٦٧، عرائس المجالس ٧٦، مرآة الزمان ١/٣٠٧، ٣٠٨.

لشرفهم وقُربهمٍ من الله تعالى، وإنْ كان لكثرة[1] ملكه، فـالصحيح أنّـه لم يملك مستقلاً، ولو ملك مستقلاً لكان الإسكندر أكثر ملكاً منه، ومع هذا فلم يُقَل فيه شيء من هذا.

قال زيد بن أسلم: إنّ الله تعالى بعث إلى نُمرود بعد إبراهيم ملَكـاً يدعـوه إلى الله أربع مرّات فأبَى وقال: أَرَبٌ غيـري؟ فقال لـه الملك: اجمع جمـوعك إلى ثـلاثة أيّـام، فجمع جموعه، ففتح الله عليه باباً من البعوض، فطلعت الشمسُ فلم يروهـا من كثرتهـا، فبعثهـا الله عليهم فـأكلتهم ولم يبقَ منهم إلاّ العـظام، والمَلِك كمـا هـو لم يصبـه شيء، فأرسل الله عليـه بعوضـةً، فدخلت في منخـره فمكث[2] يضرب رأسـه بالمـطارق، فأرحَمُ النّاسِ به من يجمع[3] يديه ويضرب بهما رأسه.

وكان ملكه ذلك[4] أربعمائة سنة، وأماته الله تعالى.

وهو الذي بنى الصرح[5].

وقال جماعة: إنّ نُمرود بن كنعان ملك مشرق الأرض ومغـربها، وهـذا قول يـدفعه أهـل العلم بالسّيَر وأخبار الملوك[6]، وذلـك أنّهم لا ينكرون أنّ مـولد إبـراهيم كـان أيّـام الضّحّاك الذي ذكرنا بعض أخباره فيما مضى، وأنّه كان ملك شرق الأرض وغربها.

وقـول القائـل إنّ الضحّاك الـذي ملك الأرض هو نُمـرود ليس بصحيح، لأنّ أهـل العلم المتقدّمين يذكرون أنّ نسب نمرود في النَّبَط معـروف، ونسب الضحّاك في الفُـرس مشهـور، وإنّما الضحّـاك استعمل نُمـرود على السواد ومـا اتّصل بـه يمنة ويسـرة، وجعله وولَده عمّالاً على ذلك، وكان هو يتنقّل في البلاد، وكان وطنه ووطن أجداده دُنْبَاوَنْد[7] من جبال طَبَرِسْتان، وهناك رمى به أفريدون حين ظفر به، وكذلك بخت نصّر.

ذكر بعضُهم أنّه ملك الأرضَ جميعَها، وليس كذلـك، وإنّما كـان إصبهبذ[8] مـا بين الأهواز إلى أرض الروم من غربيّ دجلة من قبل لهُراسبْ، لأنّ لهراسب كان مشتغلاً بقتال

---

(١) في النسخة (ر): «وإن كان لم يحدث لكثرة».

(٢) في النسخة (ب): «فمكث أربعين سنة»، وفي النسخة (ر): «فمكث أربعمائة سنة».

(٣) في النسخة (ب): «يرفع».

(٤) في النسختين: ت، ر: «قبل ذلك».

(٥) قابن بعرائس المجالس ٧٧، مرآة الزمان ١/٣٠٩، تاريخ الخميس ١/٩٦.

(٦) في النسخة (ر) إضافة: «الملوك الماضين».

(٧) في النسخة (ب): «ديناوند».

(٨) إصبهبذ: اسم يُطلق على كل من يتولّى بلاد طبرستان. (أنظر معجم البلدان ٤/١٤ و ١٥) وهو أمير الأمراء، وتفسيره حافظ الجيش، لأن الجيش «اصبه» و «بذ» حافظ. وهذه ثالثة المراتب العظيمة عند الفرس. (التنبيه والإشراف للمسعودي ٩١).

التُرك[1] مقيماً بإزائهم ببلْخ، وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب التُرك، ولم يملك أحد من النَبَط شبراً من الأرض مستقّلاً برأسه، فكيف الأرض جميعها! وإنّما تطاولت مدّة نُمرود بالسواد أربعمائة سنة، ثمّ دخل من نسله بعد هلاكه جيل يقال له نَبَط بن قعود[2] ملك بعده مائة سنة، ثمّ كدواص[3] بن نَبَط ثمانين سنة، ثمّ بالش[4] بن كدواص مائة وعشرين سنة، ثمّ نمرود بن بالش[5] سنة وشهراً[6]، فذلك سبع مائة سنة وسنة، وشهد أيّام الضحّاك، وظنّ النّاس في نمرود ما ذكرناه، فلمّا ملك أفريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش[7] وشرد النبط وقتل فيهم مقتلةً عظيمة[8].

(١) الترك هنا هم الهياطلة.
(٢) في النسخة (ر): «قعون».
(٣) في تاريخ الطبري ١/٢٩٢ «لداوص» باللام.
(٤) في النسختين: ب، ت: «تالش».
(٥) في النسخة (ب): «ثالش».
(٦) في النسخة (ر): «سنة وستة أشهر وأيام».
(٧) في النسخة (ب): «تالش».
(٨) الطبري ١/٢٩١، ٢٩٢.

ذكر قصة لوط وقومه[1]

قد ذكرنا مهاجر لوط مع إبراهيم، عليه السلام، إلى مصر وعَوْدهم إلى الشام ومقام لوط بسَدُوم[2].

فلمّا أقام بها أرسله الله إلى أهلها، وكانوا أهلَ كفر بالله تعالى وركوب فاحشة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ العَالَمِينَ، أئنّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ**﴾[3].

فكان قَطْعهم السبيلَ أنّهم كانوا يأخذون المسافر إذا مرّ بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث، وهو اللّواطة.

وأمّا إتيانهم المنكَر في ناديهم، فقيل كانوا يحذفون[4] من مرّ بهم ويسخرون منهم.

وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم.

وقيل: كان يأتي بعضُهم بعضاً في مجالسهم[5].

وكان لوط يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن الأمور التي يكرهها الله منهم، من قَطْع السبيل، وركوب الفواحش، وإتيان الذكور في الأدبار، ويتوعّدهم على إصرارهم، وترْك التوبة بالعذاب الأليم، فلا يزجرهم ذلك، ولا يزيدهم وعْظهُ إلّا تمادياً واستعجالاً لعقاب الله، إنكاراً منهم، لِوَعيده ويقولون له: ائتنا بعذاب الله إن كنتَ من الصادقين. حتى سأل لوط ربّه النُّصْرةَ عليهم لما تطاول عليه أمرُهم وتماديهم في غيّهم[6].

(١) تاريخ الطبري ١/٢٩٢، تفسير الطبري ١٢/٥٤٧، سفر التكوين - الإصحاح ١٩، عرائس المجالس للثعلبي ٨١، الكسائي ١٤٥، زاد المسير ٣/٢٢٧، و٤/١٣٥، مروج الذهب ١/٤٥، البدء والتاريخ ٣/٥٦، مرآة الزمان ١/٣١٦، نهاية الأرب ١٣/١٢٣، البداية والنهاية ١/١٧٦.

(٢) سدوم: هي بلدة صغيرة الآن تقع في أقصى الجنوب الغربي للبحر الميت. (القاموس الإسلامي ٣/٢٨٥).

(٣) العنكبوت/٢٨ ٢٩.

(٤) الحذْف: المنكَر.

(٥) أنظر تاريخ الطبري ١/٢٩٣، تفسير الطبري ٢٠/٩٣ (طبعة بولاق).

(٦) تاريخ الطبري ١/٢٩٦، عرائس المجالس ٨١.

فبعث الله، لما أراد هلاكهم ونصْرَ رسوله، جبرائيلَ ومَلَكين آخرين معه، أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل، فأقبلوا فيما ذُكر مُشاةً في صورة رجال[1]، وأمرهم أن يبدأوا بإبراهيم وسارة، ويبشّروه بإسحاق ومِن وراء إسحاق يعقوب[2].

فلمّا نزلوا على إبراهيم، وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوماً حتى شقّ ذلك عليه، وكان يُضيف من نزل به، وقد وسّع الله عليه الرزقَ، فرح بهم ورأى ضيفاً لم يرَ مثلهم حسناً وجمالاً، فقال: لا يخدم هؤلاء القوم أحد إلاّ أنا بيدي. فخرج إلى أهله فجاء بعجْل سمينٍ قد حنّذه، أي أنضجه، فقرّبه إليهم، فأمسكوا أيديهم عنه، ﴿**فَلَمّا رَأى أيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، قَالُوا لا تَخَفْ إنّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمِ لُوطٍ، وَامْرأتُهُ** ـ سارة ـ **قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ** ـ لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط ـ **فَبَشَّرْنَاهَا بِإسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ فقالت، وصكّت وجهها: ﴿**أأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ**﴾، إلى قوله: ﴿**حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾[3]. وكانت ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومائة[4].

فلمّا[5] ذهب عن إبراهيم الروعُ وجاءته البشرى، ذهب يجادل جبرائيلَ في قوم لوط، فقال له: أرأيت إن كان فيهم خمسون من المسلمين؟ قالوا: وإن كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذّبهم؟ قال: وأربعون. قالوا: وأربعون؟ قال: وثلاثون، حتى بلغ[6] عشرة. قالوا: وإن كان فيهم عشرة؟ قال: ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير! ثمّ قال: ﴿**إنّ فِيهَا لُوطاً. قالُوا: نَحْنُ أعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ**[7] **وَأَهْلَهُ إلاّ امْرأتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ**﴾[8].

ثمّ مضت الملائكة نحو سَدوم قرية لوط، فلمّا انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرضٍ له يعمل فيها، وقد قال الله تعالى لهم: لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربعَ شهادات، فأتوه فقالوا: إنّا متضيّفوك[9] اللّيلة، فانطلق بهم، فلمّا مشى ساعة التفت إليهم فقال لهم:

---

(١) تاريخ الطبري ١/٢٩٦، ٢٩٧.
(٢) هنا ينقل المؤلّف هذا الخبر عن قصة إبراهيم عليه السلام عند الطبري ١/٢٤٨، ٢٤٩.
(٣) هود/٦٩ ـ ٧١.
(٤) في النسخة (ر): «ومائة سنة».
(٥) يعود المؤلّف هنا لينقل عن الطبري في الفصل الذي أفرده للوط عليه السلام.
(٦) في النسخة (ر): «وثلاثون، قالوا: وثلاثون، حتى بلغ إلى».
(٧) في طبعة صادر ١/١١٩ «للنجّسنّه» وهو تحريف شائن للآية الكريمة.
(٨) العنكبوت/٣٢.
(٩) هكذا في الأصول. وفي الطبري ١/٢٩٨ «مضيّفوك».

أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض إنساناً أخبث منهم، حتى قال ذلك أربع مرّات[1].

وقيل: بل لقوا ابنته فقالوا: يا جارية هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم. خافت عليهم من قومها، فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أدرِكْ فتياناً على باب المدينة ما رأيتُ أصبحَ وجُوهاً منهم، لئلاّ يأخذهم قومك فيفضحوهم. وكان قومه قد نهوْه أن يضيِّف رجلاً، فجاء بهم فلم يعلم إلاّ أهلَ بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومَها وقالت لهم: قد نزل بنا قوم ما رأيتُ أحسن وجُوهاً منهم ولا أطيب رائحة. فجاءه قومُه يُهرعون إليه، فقال: يا قوم ﴿اتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ في ضَيْفي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾[2]. فنهاهم ورغّبهم وقال: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ممّا تريدون. ﴿قَالُوا: لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا في بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[3] ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ﴾[4]، فلمّا لم يقبلوا منه ﴿قَالَ: لَوْ أَنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[5] يعني لو أنّ لي أنصاراً أو عشيرة يمنعوني منكم. فلمّا قال ذلك وجد عليه الرُّسُل فقالوا: إنّ ركنك لَشَديد، ولم يبعث الله[6] نبيّاً إلاّ في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته. وأغلق لوط الباب، فعالجوه، وفتح لوط الباب، فدخلوا، واستأذن جبرائيل ربَّه في عقوبتهم، فأذِنَ له، فبسط جناحه ففقأ أعينهم، وخرجوا يدوس بعضُهم بعضاً عمياناً يقولون: النجاء النجاء! فإنّ في بيت لوط أسحر قوم في الأرض! وقالوا للوط: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إلاّ امْرَأَتَكَ﴾[7] ﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ... وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[8].

فأخرجهم الله إلى الشام، وقال لوط: أهلِكوهم الساعةَ؛ فقالوا: لن نؤمر إلاّ بالصبح، ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[9]. فلمّا كان الصبح أدخل جبرائيل، وقيل ميكائيل، جناحه في أرضهم وقُراهم الخمس فرفعها حتى سمِع أهل السماء صياح دِيكتهم ونُباح

(١) الطبري ١/٢٩٨ و ٢٩٩.
(٢) هود/٧٨.
(٣) هود/٧٩.
(٤) الحجر/٧٠.
(٥) هود/٨٠.
(٦) في النسخة (ر): «الله بعده».
(٧) هود/٨١، وانظر الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٠٣، ومرآة الزمان ١/٢٠.
(٨) الحجر/٦٥.
(٩) هود/٨١.

كلابهم، ثمّ قلبها فجعل عَالِيَهَا سافلَها، وأمطر عليهم حجارةً من سِجِّيل، فأهلكت من لم يكن بالقرى[1].

وسمعت امرأة لوط الهدّة فقالت: واقوماه! فأدركها حجرٌ فقتلها[2]. ونجَّى الله لوطاً وأهلَه، إلاّ امرأتَه.

وذُكر أنّه كان فيها[3] أربعمائة ألف[4]. وكان إبراهيم يتشرّف[5] عليها ويقول: سدوم يوماً هالك.

ومدائن قوم لوط خمس: سَدُوم، وصبعة، وعمرة، ودوما، وصعوة[6]، وسَدُوم هي القرية العظمى.

قوله: يُهَرعون إليه، هو مَشْيٌ بين الهرولة والجمز.

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٠٥، البدء والتاريخ ٣/٥٨.
(٢) عرائس المجالس ٨٤.
(٣) في النسخة (ر): «فيهم».
(٤) في تاريخ الطبري ١/٣٠٥ و٣٠٦ «أربعة آلاف ألف».
(٥) عند الطبري ١/٣٠٦ «يُشْرف».
(٦) في النسخة (ب): «وضعوه». وفي تاريخ الطبري ١/٣٠٧ «صعرة»، والمُثْبَت يتفق مع نسخة أخرى للطبري، ومرآة الزمان ١/٣١٧.

ذكر وفاة سارة زوج إبراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه

لا يدفع أحد من أهل العلم أنّ سارة تُوُفّيت بالشام، ولها مائة وسبعٌ وعشرون سنة.

وقيل: إنّها كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان.

وقيل عاشت هاجر بعد سارة مدّة[1].

والصحيح أنّ هاجر تُوُفّيت قبل سارة، كما ذكرنا في مسير إبراهيم إلى مكّة، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى.

فلمّا ماتت سارة، تزوّج بعدها قطورا ابنةَ يقطن امرأة من الكنعانيّين، فولدت له ستّة نفر: نفشان، ومران[2]، ومديان، ومدن، ونشق، وسرح[3]، وكان جميع أولاد إبراهيم مع إسماعيل وإسحاق ثمانية نفر، وكان إسماعيل بِكْره، وقيل في عدد أولاده غير ذلك. فالبربر من ولد نفشان[4]، وأهل مَدْيَن قوم شُعَيْب من ولد مديان.

وقيل: تزوّج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير[5].

ذِكْر وفاة إبراهيم وعدد ما أُنزل عليه

قيل: لما أراد الله قَبْضَ روح إبراهيم أرسل إليه مَلَك الموت في صورة شيخ هرِم، فرآه إبراهيم وهو يُطعم النّاس وهو شيخ كبير في الحرّ، فبعث إليه بحمار فركبه حتى أتاه، فجعل الشيخ يأخذ اللّقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثمّ يدخلها فاه، فإذا دخلت جوفه خرجت من دُبُره، وكان إبراهيم سأل ربَّه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت، فقال: يا شيخ ما لك تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم الكِبَر. قال: ابن

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٠٨.

(٢) في النسخة (ر): «لفشان وزمران».

(٣) وردت هذه الأسماء في تاريخ الطبري ١/٣٠٩ هكذا: «يقسان ـ وفي نسخة يقشان ـ، وزمران، ومديان، ويسبق، وسوح، وبُسر».

(٤) في النسخة (ر): «لفشان»، وعند الطبري «يقسان».

(٥) في النسخة (ب): «هبر»، والنسخة (ت): «أهبر».

كم أنت؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتَين. فقال إبراهيم: إنّما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان، اللهمّ اقبضني إليك! فقام الشيخ وقبض روحه.

ومات وهو ابن مائتَيْ سنة.

وقيل مائة وخمس وسبعين سنة[1].

وهذا عندي فيه نظر، لأنّ إبراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتَين أو أكثر من ذلك، فإنّ مَنْ عاش مائتَي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب؟ ولكن هكذا روي، ثمّ إنه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شيء ممّا رأى بذلك الرجل.

وروى أبو ذرّ عن النبيّ، ﷺ، أنّه قال: «وأنزل الله على إبراهيم عشر صحائف»، قال: قلتُ: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلّها: أيّها الملك المسلَّط المبتلَى المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن بعثتك لتردّ عني دعوةَ المظلوم، فإنّي لا أردّها ولو كانت من كافر.

وكان فيها أمثال، منها: وعلى العاقلِ ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يفكّر فيها في صنع الله، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلّا في ثلاث: تزوُّد لمعاده، ومرمَّة لمعاشه، ولذّة في غير محرّم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شانه، حافظاً للسانه. ومن حسب كلامه من عمله قلّ [كلامه] إلّا فيما يعنيه[2].

وهو أوّل من اختتن، وأوّل من أضاف الضيف، وأوّل من اتخذ السراويل، إلى غير ذلك من الأقاويل.

---

(١) الطبري ١/٣١٢، وفي عرائس المجالس ٧٧ «مائة وخمس وتسعون سنة». وانظر مرآة الزمان ١/٣٠٦ و٣٠٧، وتاريخ الخميس ١/١٤٤.

(٢) الطبري ١/٣١٣.

ذكر خبر ولد إسماعل بن إبراهيم

قد ذكرنا فيما مضى سبب إسكان إسماعيل الحرم، وتزوّجه امرأة من جُرْهُمْ، وفراقه إيّاها بأمر إبراهيم، ثمّ تزوّج أُخرى، وهي السيّدة بنت مُضاض الجُرْهُمي، وهي التي قال لها: قولي لزوجك: قد رضيتُ [لك] عتبةَ بابك، فولدت لإسماعيل اثني عشر رجلاً: نابت، وقيدار، واذيل، وميشا، ومسمع، ورما، وماش، وآذار[1]، وقطورا، وقافس[2]، وطميا، وقيدمان[3].

وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون سبعاً وثلاثين ومائة سنة.

ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله العربَ، وأرسله الله تعالى إلى العماليق وقبائل اليمن. وقد يُنطق أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرتُ.

ولما حضرتْ إسماعيلَ الوفاةُ أوصى إلى أخيه إسحاق، وزوّج[4] ابنته من العيص بن إسحاق، ودُفن[5] عند قبر أمّه هاجر بالحِجْر[6].

---

(١) في النسخة (ب): «آزر».

(٢) في النسخة (ب): «قاقس» بالقاف. وفي النسخة (ر): «نامسس».

(٣) راجع الأسماء في: تاريخ الطبري ١/٣١٤ وتاريخ اليعقوبي ١/٢٢٢ وسيرة ابن هشام ١/١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ١/٥١ ومرآة الزمان ١/٣١٠ و٣١١ وأخبار مكة للأزرقي ١/٨١ ومروج الذهب للمسعودي ٢/٤٩ والروض الأنف للسهيلي ١/١٥ و١٦ وعرائس المجالس للثعلبي ٧٩ والبداية والنهاية لابن كثير ١/١٩٣ وشفاء الغرام للقاضي المكي (بتحقيقنا) ٢/٢٩ وسفر التكوين ٢٥/١٣ و١٤.

(٤) في النسخة (ب): «أن يزوّج».

(٥) في النسخة (ب): «وأن يدفن».

(٦) الطبري ١/٣١٤.

ذكر إسحاق بن إبراهيم وأولاده[1]

قيل: ونكح إسحاق رفقا بنت بتويل[2] فولدت له عيصاً[3] ويعقوب توأمَين، وإنّ عيصاً كان أكبرهما، وكان عمر إسحاق لما وُلد له ستّين سنة.

ثمّ نكح عيص بن إسحاق نسمة بنت عمّه إسماعيل، فولدت له الروم[4] بن عيص، وكلّ بني الأصفر من ولده، وزعم بعضُ النّاس أنّ اشبان[5] من ولده.

ونكح يعقوب بن إسحاق، وهو إسرائيل، ابنةَ خاله لَيًا بنت لبان بن بتويل، فولدت له روبيل، وكان أكبر ولده، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزبالون، ولشحر[6]، وقيل ويشحر. ثمّ توفّيت ليا فتزوّج أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنيامين[7]، وهو بالعربيّة شدّاد[8] ووُلد له من سُرِّيَّتَين أربعة نفر: دان، ونفتالي، وجاد، وآشر، وكان ليعقوب اثنا عشر رجلاً.

قال السُّدّيّ: تزوّج إسحاق بجارية فحملت بغلامَين، فلمّا أرادت أن تضع أراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص: والله لئن خرجتَ قبلي لاعترضنّ في بطن أمّي

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٨، تاريخ الطبري ١/٣١٦، عرائس المجالس ٨٠، البدء والتاريخ ٣/٦٣، نهاية الأرب ١٣/١٢٨، مرآة الزمان ١/٣١٣، الكسائي ١٥٠، البداية والنهاية ١/١٩٣، سفر التكوين ٢٥/١٩ وما بعدها، مروج الذهب ١/٤٦، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٤، المعارف ٣٥.

(٢) الطبري ١/٣١٧ وفي المعارف لابن قتيبة ٣٨ ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي ١/٣١٤ «رفقا بنت ناحور بن تارخ». وفي البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٦٣ «ربقا بنت بوهر». وفي المعارف أيضاً عن وهب: «رفقا ابنة باهر بن أزرا».

(٣) يقال: عيصا، وعيص، وعيصو.

(٤) في النسخة (ر): «اكروم» وهو تصحيف.

(٥) أي الأسبان كما في: المعارف ٣٩ ومرآة الزمان ١/٣١٤.

(٦) في النسخة (ب): «يسحر» بالسين المهملة، وهو يتفق مع الطبري ١/٣١٧ وفي مرآة الزمان ١/٣١٦ «يسخر» بالخاء المعجمة: وهو «يساخر» كما في مروج الذهب ١/٤٧ والبدء والتاريخ ٣/٦٦ وفي تاريخ اليعقوبي ١/٣٠ «يشاجر».

(٧) وهو «ابن يامين» كما في البدء والتاريخ ٣/٦٦.

(٨) قال ابن وهب: معناه ابن الوجِعة، وقال الطبري: معناه بالعربية شدّاد والأول أصحّ. (مرآة الزمان ١/٣١٦).

ولأقتلنّها. فتأخّر يعقوب وخرج عيص، وأخذ يعقوب بعِقب عيص، فسُمّي يعقوب، وسمّي أخوه عيصاً لعصيانه. وكان عيص أحبَّهما إلى أبيه، ويعقوب أحبّهما إلى أمّه. وكان عيص صاحب صيد، فقال له إسحاق لما كبُر وعُمي: يا بُنيّ أطِعمني لحمَ صيد، واقتربْ منّي أدعُ لك بدعاء دعا لي به أبي.

وكان عيص رجلاً أشعر، وكان يعقوب أجرد، وسمعت أمّهما ذلك، وقالت ليعقوب: يا بُنيّ اذبحْ شاةً واشْوها، والبس جِلْدَها، وقرّبها إلى أبيك وقلْ له: أنا ابنك عيص، ففعل ذلك يعقوب، فلمّا جاء قال: يا أبتاه كلْ. قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا ابنك عيص. فمسحه إسحاق فقال: المسّ مسّ عيص، والريح ريح يعقوب. فقالت أمّه: إنّه عيص فكلْ. فأكل ودعا له أن يجعل الله في ذرّيّته الأنبياءَ والملوك.

وقام يعقوب وجاء عيص، وكان في الصيد، فقال لأبيه: قد جئتك بالصيد الذي طلبتَ. فقال: يا بُنيّ قد سبقك أخوك. فحلف عيص ليقتلنّ يعقوب. فقال: يا بُنيّ قد بقيت لك دعوة، فدعا له أن يكون ذرّيّته عدد التراب وأن لا يملكهم غيرهم.

وهرب يعقوب خوفاً من أخيه إلى خاله، وكان يَسري باللّيل ويكمن بالنهار، فلذلك سُمّي إسرائيل.

ثمّ إنّ يعقوب تزوّج ابنَتي خاله، جمع بينهما، فلذلك قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾[1]. ووُلد له منهما، فماتت راحيل في نِفاسها ببنيامين.

وأراد يعقوب الرجوعَ إلى بيت المقدس، فأعطاه خاله قطيعَ غنم، فلمّا ارتحلوا لم يكن لهم نفقة، فقالت زوجة يعقوب ليوسف: اسرق صنماً من أصنام أبي نستنفق منه. فسرق صنماً من أصنام أبيها.

وأحبَّ يعقوبُ يوسفَ وأخاه بنيامين حبّاً شديداً ليُتْمِهما، وقال يعقوب لراعٍ من الرّعاة: إذا أتاكم أحد يسألكم مَنْ أنتم فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيص. فلقيهم عيص فسألهم فأجابه الراعي بذلك الجواب، فكفّ عيص عن يعقوب ونزل يعقوب الشام[2].

ومات إسحاق بالشام وعمره مائة وستّون سنة[3]، ودُفن عند أبيه إبراهيم، عليه السلام.

---

(١) النساء/٢٣.

(٢) الخبر كله حتى هنا عن الطبري ١/٣١٩ ٣٢١.

(٣) وقيل: مائة وسبعون سنة (عرائس المجالس ٨١)، وقيل: مائة وثمانون سنة (المعارف ٣٨) وقيل مائة وخمس وثمانون (تاريخ اليعقوبي ١/٢٩) ومروج الذهب ١/٤٧، وانظر: البدء والتاريخ ٣/٦٥ ومرآة الزمان ١/٣١٤.

قصة أيوب عليه السلام[1]

وهو رجل من الروم من ولد عيص، وهو أيّوب بن موص بن رازج[2] بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وقيل: موص بن روعيل[3] بن عيص.

وكانت زوجته التي أُمر أن يضربها بالضِّغث[4] ليّا ابنة يعقوب بن إسحاق.

وقيل: هي رحمة ابنة افراهيم بن يوسف، وكانت أمّه من ولد لوط.

وكان دينه التوحيد والإصلاح بين النّاس[5]، وإذا أراد حاجة سجد ثمّ طلبها[6].

وكان من حديثه وسبب بلائه أنّ إبليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيّوب، حين ذكره الله، فحسده، وسأل الله أن يسلّطه عليه ليفتنه عن دينه، فسلّطه على ماله حسب[7]، فجمع إبليس عظماء أصحابه من العفاريت، وكان لأيّوب البَثَنِيَّة[8] جميعُها من

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٢٢، المعارف ٤٢، عرائس المجالس ١٢٠، مروج الذهب ١/٤٨، البدء والتاريخ ٣/٧٢، مرآة الزمان ١/٣٧٦، الكسائي ١٧٩، زاد المسير ٥/٣٧٥، الزهد لابن حنبل ٤١ و ٨٩، تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٣، نهاية الأرب ١٣/١٥٧، البداية والنهاية ١/٢٢٠، سفر أيوب في العهد القديم ٧٩٣.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٣٢٢ «رازح» بالحاء المهملة، وكذلك في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٣، وفي عرائس المجالس ١٢١ «أموص بن نارخ»، وقال الكلبي: «رازح» بتقديم الألِف على الزين. وقال قتادة: «رزاح». أنظر: مرآة الزمان ١/٣٧٦.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٣٢٢ «رغويل»، وقيل «رعويل»، وعند المسعودي في مروج الذهب ١/٤٨ «رعوايَل»، وعند ابن قتيبة في المعارف «رغويل»، وعند سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ١/٣٧٦ «دعوابيل»، وعند ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٣ «رعويل»، ويقال: «رعيل»، وعند المقدسي في البدء والتاريخ ٣/٧٢ «رعويل».

(٤) الضِّغْث: حزمة من أسل، ضرب بها امرأته فبرّت يمينه. قال تعالى في سورة (صّ - الآية ٤٤): ﴿وخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَٱضْرِبْ بِهِ﴾.

(٥) في النسخة (ب): «المسلمين».

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٤.

(٧) أي دون جسده وعقله، كما في تاريخ الطبري ١/٣٢٣.

(٨) في البدء والتاريخ ٣/٧٢: «وكانت له حوران والبثنية».

أعمال دمشق بما فيها، وكان له فيها ألف شاة[1] برُعاتها، وخمسمائة فدّان، يتبعها خمسمائة عبد، لكلّ عبد امرأة وولد ومال، ويحمل آلة الفدّان أتان، ولكلّ أتان ولد واثنان وما فوق ذلك، فلمّا جمعهم إبليس قال: ما عندكم من القوّة والمعرفة، فإنّي قد تسلّطتُ على مال أيّوب. فقال كلّ منهم قولاً، فأرسلهم، فأهلكوا ماله كلّه، وأيّوب يحمد الله، ولا يرجع عن الجدّ في عبادته والشكر له على ما أعطاه، والصبر على ما ابتلاه.

فلمّا رأى ذلك إبليس من أمره سأل الله أن يسلّطه على ولده، فسلّطه[2] [عليهم]، ولم يجعل له سلطاناً على جسده ولا عقله وقلبه، فأهلك ولدَه كلَّهم، ثمّ جاء إليه متمثّلاً بمعلمهم[3] الذي كان يعلّمهم الحكمة، جريحاً مشدوخاً يرقّقه[4]، حتى رقّ أيّوب فبكى، وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، فسُرّ بذلك إبليس.

ثمّ إنّ أيّوب ندم لذلك وجدّ واستغفر، فصعِد حَفَظَتُهُ من الملائكة بتوبته إلى الله قبل إبليس، فلمّا لم يرجع أيّوب عن عبادة ربّه والصبر على ما ابتلاه به سأل الله تعالى أن يسلّطه على جسده، فسلّطه عليه، خلا لسانه وقلبه وعقله، فإنّه لم يجعل له على ذلك سلطاناً. فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخةً اشتعل منها جسده، وصار أمره إلى أن انتثر لحمه، وامتلأ جسده دوداً، فإن كانت الدودة لَتَسْقط من جسده، فيردّها إليه ويقول: كُلي من رزق الله، وأصابه الجُذام، وكان أشدَّ من ذلك عليه أنّه كان يخرج في جسده مثل ثديِ المرأة ثمّ يتفقّأ، وأنتن حتى لم يطقْ أحد يشمّ ريحه[5]، فأخرجه أهل القرية منها إلى الكُناسة خارج القرية لا يَقْرَبُه أحد، إلاّ زوجته، وكانت تختلف إليه بما يُصْلِحه، فبقي مطروحاً على الكُناسة سبع سنين، ما يسأل[6] الله أن يكشف ما به[7]، وما على وجه الأرض أكرم على الله منه.

وقيل: كان سبب بلائه أنّ أرض الشام أجدبت، فأرسل فرعونُ إلى أيّوب أنْ هَلُمَّ إلينا، فإنّ لك عندنا سَعَة، فأقبل بأهله وخيله وماشيته، فأقطعهم فرعون القطائع.

ثمّ إنّ شُعيباً النبيّ دخل إلى فرعون فقال: يا فرعون أما تخاف أن يغضب الله غضبة

(١) جاء في الإصحاح الأول من سفر أيوب ـ ص ٣/٧٩٣: «وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وخمسمائة فدّان بقر، وخمسمائة أتان».
(٢) في الأصول «فسلط».
(٣) في النسخة (ب): «البلاء ممتثلاً عليهم يعلمهم».
(٤) في النسخة (ت) و(ر): «يرفقه».
(٥) في النسخة (ر): «رائحته».
(٦) في النسخة (ر): «سأل».
(٧) الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٢٢ ـ ٣٢٤، وانظر تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٦.

فيغضب لغضبه أهلُ السماء وأهلُ الأرض والبحار والجبال؟ وأيّوب ساكتٌ لا يتكلّم، فلمّا خرجا أوحى الله إلى أيّوب: يا أيّوب سكتَّ عن فرعون لذهابك إلى أرضه، استعدّ للبلاء. فقال أيّوب: أما كنتُ أكفل اليتيم، وأؤوي الغريب، وأشبع الجائع، وأكفي[1] الأرملة؟ فمرّت سحابة يُسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون: من فعل [بك][2] ذلك يا أيّوب؟ فأخذ تراباً فوضعه على رأسه وقال: أنتَ يا ربّ، فأوحى الله إليه: استعدّ للبلاء. قال: فديني؟ قال: أسلّمه لك. قال: فما أبالي[3].

وقيل: كان السبب غير ذلك، وهو نحوٌ مما ذكرنا[4].

فلما ابتلاه الله واشتدّ عليه البلاء، قالت له امرأته: إنّك رجل مجاب الدعوة فادعُ الله[5] أن يشفيك. فقال: كنّا في النعماء سبعين سنة، فلنصبر في البلاء سبعين سنة[6]، والله لئن شفاني الله لأجلدنّك مائة جلدة.

وقيل: إنّما أقسم ليجلدها لأنّ إبليس ظهر لها وقال: بمَ أصابكم ما أصابكم؟ قالت: بقَدَر الله. قال: وهذا أيضاً بقَدَر الله فاتبعيني، فاتبعتْه، فأراها جميعَ ما ذهب منهم في وادٍ وقال: اسجدي لي وأردّه عليكم. فقالت: إنّ لي زوجاً أستأمره. فلمّا أخبرتْ أيوب قال: ألم تعلمي أنّ ذلك الشيطان؟ لئن شُفيتُ لأجلدنّك مائةَ جلدة[7]، وأبعَدَها وقال لها: طعامك وشرابك عليّ حرام لا أذوق ممّا تأتيني به شيئاً، فابعدي عنّي فلا أراك. فذهبتْ عنه، فلمّا رأى أيّوب أنّ امرأته قد طردها، وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً وقال: رَبِّ ﴿إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[8] كرّر ذلك. فقيل له: ارفع رأسك فقد استُجيب لك، ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[9]، وردّ الله إليه جسده وصورته.

---

(١) في النسخة (ر): «أكف»، وفي النسخة (ب): «أكفل»، وفي المطبوع ١/١٢٩ «أكفت»، وما أثبتناه عن تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٥.

(٢) في الأصل «من فعل ذلك»، وأضفنا «بك» من النسخة (ر)، ومن تهذيب تاريخ دمشق حيث ينقل المؤلّف هنا عن ابن عساكر.

(٣) أنظر الخبر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٤، ١٩٥ عن إدريس الخولاني. وهو في مرآة الزمان أيضاً نقلاً عن ابن عساكر ١/٣٧٨.

(٤) في الطبعة الأوربية: «وهو نحو الدعوة كذلك».

(٥) في الطبعة الأوربية: «فقالت له امرأته ادعُ الله».

(٦) العبارة في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٦.

(٧) الخبر إلى هنا في تهذيب تاريخ دمشق ٣/١٩٧، ١٩٨.

(٨) الأنبياء/٨٣.

(٩) صَ/٤٢.

وأمّا امرأتُه فقالت: كيف أتركه، وليس عنده أحد، يموت جوعاً وتأكله السّباع؟ فرجعت إليه فرأت أيّوب وقد عوفي، فلم تعرفه، فعجبت كيف لم تره على حاله، فقالت له: يا عبد الله هل رأيتَ ذلك الرجلِ المُبْتَلَى الذي كان ههنا؟ قال: وهل تعرفينَه إذا رأيته؟ قالت: نعم. قال: هو أنا. فعرفته[1].

وقيل: إنّما قال: مسّني الضُّرُّ، لما وصل الدود إلى لسانه وقلبه، خاف أن يبطُل عن ذكر الله تعالى والفكر.

وردّ الله إليه أهله ومثلَهم معهم، قيل هم بأعيانهم، وقيل: ردّ الله إليه امرأته، وردّ إليه شبابها، فولدت له ستّة وعشرين ذكراً، وأنزل الله إليه مَلَكاً فقال: يا أيّوب إنّ الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء. اخرج إلى أَندرِك[2]. فخرج إليه، فبعث الله سحابةً فألقت عليه جِراداً من ذهب، وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردّها في أندرِه، فقال المَلَك: أما تشبع من الداخل حتى تتّبع الخارج؟ فقال: إن هذه البركة من بركات ربّي، لستُ أشبع منها[3].

وعاش أيّوب بعد أن رُفع عنه البلاء سبعين سنة[4].

ولما عُوفي أمره الله أن يأخذ عُرجوناً من النخل، فيه مائة شِمراخ، فيضرب به زوجته ليَبرَّ من يمينه، ففعل ذلك.

وقول أيّوب: ربّ إنّي مسّني الضّرُّ، دعاء ليس بشكوى، ودليله قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[5].

وكان من دعاء أيّوب: أعوذ بالله من جارٍ عيْنهُ تراني[6] إن رأى حسنة ستَرَها، وإن رأى سيّئة ذكرها[7].

وقيل: كان سبب دعائه أنّه كان قد اتّبعه ثلاثة نفر على دينه، اسم أحدهم بلدد[8]،

---

(١) الخبر في تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٠٠ ومرآة الزمان ١/٣٨٢.
(٢) الأندر: الكدْس من القمح أو الشعير. أنظر تهذيب تاريخ دمشق ١/٢٠٠.
(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٠١.
(٤) تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٠١ من طريق الخطيب البغدادي، عن ابن عباس.
(٥) الأنبياء/٨٤.
(٦) في النسخة (ر): «عينه تراني وقلبه يرعاني».
(٧) تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٠٣.
(٨) في طبعة صادر ١/١٣٢ «يلدد» بالياء المثنّاة. والتصويب من الطبري، والعهد القديم.

والآخر اليفر[1]، والثالث صافر[2]، فانطلقوا إليه وهو في البلاء فبكّتوه أشدّ تبكيت[3]، وقالوا له: لقد أذنبتَ ذنباً ما أذنبه أحد، فلهذا لم يُكشف العذاب عنك. وطال الجدال بينهم وبينه، فقال فتىً[4] كان معهم لهم كلاماً يردّ عليهم، فقال: قد تركتم من القول أحسنه، ومن الرأي أصْوَبه، ومن الأمر أجمله، وقد كان لأيّوب عليكم من الحقّ والذمام أفضل من الذي وصفتم، فهل تدرون حقَّ من انتقصتم، وحُرمة من انتهكتم، ومَن الرجل الذي عِبتُم؟ ألم تعلموا أنّ أيّوب نبيّ الله وخيرته من خلقه يومكم هذا؟ ثمّ لم تعلموا ولم يُعلمكم الله أنّه سخط شيئاً من أمره، ولا أنّه نزع شيئاً من الكرامة التي كرّم الله بها عباده، ولا أنّ أيّوب فعل غير الحقّ في طول ما صحبتموه، فإنْ كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضّعه في نفوسكم، فقد علمتم أنّ الله يبتلي النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وليس بلاؤه لأولئك دليلاً على سخطه عليهم، ولا على هوانهم عليه، ولكنّها كرامة وخيرة لهم. وأطال في هذا النحو من الكلام.

ثمّ قال لهم: وقد كان في عظمة الله وجلاله، وذِكر الموت، وما يُكلّ ألسنَتَكم، ويكسر قلوبَكم، ويقطع حجّتكم، ألم تعلموا أنّ لله عباداً أسكتتْهم خشيته عن الكلام من غير عيّ ولا بُكْم؟ وإنّهم لَهُمُ الفُصَحَاء الألِبّاء العالمون بالله وآياته[5]، ولكنّهم إذا ذكروا عَظَمَةَ الله انكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، وطاشت أحلامهم وعقولهم فزعاً من الله وهيبةً له، فإذا أفاقوا استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية، يعدّون أنفسهم مع الظالمين وإنّهم لأبرار، ومع المقصّرين، وإنّهم لأكياس أتقياء، ولكنّهم لا يستكثرون لله عزّ وجلّ الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يدلّون عليه بالأعمال، فهم أينما لقِيتهم خائفون مُهيمُون وَجِلون.

فلمّا سمع أيّوب كلامه[6] قال: إنّ الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى كانت في القلب ظهرت على اللّسان، ولا تكون الحكمة من قِبَل السنّ والشيبة، ولا طول التجربة، وإذا جعل الله تعالى عبداً حكيماً عند الصِّبا، لم تسقط منزلته عند الحكّام[7]. ثمّ أقبل على الثلاثة فقال: رهبتم قبل أن تُسترهبوا، وبكيتم قبل أن

---

(١) في الطبري ١/٣٢٤ «اليفز» بالزين.

(٢) وردت هذه الأسماء في التوراة، سفر أيوب، الآية ١١ من الإصحاح الثاني: بِلْدَد الشُّوحي، أَليفاز التَّيماني، صُوفَر النَّعماني (ص ٧٩٥).

(٣) هنا ينتهي هذا الخبر عند الطبري ١/٣٢٤ والخبر بطوله في عرائس المجالس للثعلبي.

(٤) هو «أليهو بن بَرَخْئيل البُوزيّ من عشيرة رام» كما في التوراة، سفر أيوب، الأصحاح ٣٢/٢ ـ ص ٨٢٢.

(٥) في الطبعة الأوربية «أيامه».

(٦) في الطبعة الأوربية «كلامهم».

(٧) في عرائس المجالس ١٢٤ «الحكماء».

تُضْربوا، كيف بكم لو قلتُ لكم تصدّقوا عنّي بأموالكم، لعلّ الله أن يخلّصني، أو قرّبوا قُرباناً، لعلّ الله أن يتقبّل ويرضى عنّي؟ وإنّكم قد أعجبتْكم أنفسكم، فظننتم أنّكم عوفيتم بإحسانكم، فبغيتم وتعزّزتم، لو صدّقتم[1] ونظرتم بينكم وبين ربّكم، لَوَجَدْتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية، وقد كنتُ فيما خلا، والرجال يوقّرونني، وأنا مسموعٌ كلامي، معروف من حقّي، منتصف[2] من خصمي، فأصبحتُ اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، فأنتم أشدّ عليّ من مصيبتي.

ثمّ أعرض عنهم، وأقبل ربّه مستغيثاً به متضرّعاً إليه، فقال: ربّ لأيّ شيء خلقتني! ليتني إن[3] كرهتني لم تخلقني، يا ليتني كنتُ حَيْضةً ملقاةً، ويا ليتني عرفتُ الذنبَ الذي أذنبتُ، فصرفتَ وجهك الكريم عنّي! لو كنتَ أمتّني فالموت أجمل بي! ألم أكن للغريب داراً، وللمسكين قراراً، ولليتيم وليّاً، وللأرملة قيّماً؟ إلهي أنا عبد ذليل، إن أحسنتُ فالمنّ لك، وإن أسأتُ فبيدك عقوبتي! جعلتني للبلاء عرضاً[4]، فقد وقع عليّ البلاء، لو سلّطته على جبل لضعُف عن حمْله، فكيف يحمله ضعفي! ذهب المال، فصرتُ أسألُ بكفّي، فيطعمني من كنتُ أعوله اللّقمة الواحدة، فيمنّها عليّ ويعيّرني! هلك أولادي، ولو بقي أحدهم أعانني. قد ملّني أهلي، وعقّني أرحامي، فتنكّرت معارفي، ورغب عنّي صديقي، وجُحدتْ حقوقي، ونسيت صنائعي. أصرخ فلا يُصرخونني، وأعتذر فلا يعذرونني. دعوتُ غلامي فلم يجبني، وتضرّعتُ إلى أمتي فلم ترحمني، وإنّ قضاءك هو الذي آذاني وأقمأني[5]، وإنّ سلطانك هو الذي أسقمني. فلو أنّ ربّي نزع الهيبة التي في صدري، وأطلق لساني حتى أتكلّم ملء فمي، ثمّ كان ينبغي للعبد أن يُحاجّ مولاه عن نفسه، لرجوتُ أن تعافيني عند ذلك، ولكنّه ألقاني وعلا عنّي، فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إليّ فرحِمني، ولا دنا منّي فأتكلّم ببراءتي، وأخاصم عن نفسي.

فلما قال أيّوب ذلك أظلّتهم غمامة، ونُودي منها: يا أيّوب إنّ الله يقول قد دنوتُ منك، ولم أزلْ منك قريباً، فقمْ فأدْلِ بحجّتك، وتكلّم ببراءتك، وقمْ مقام جبّار، فإنّه لا ينبغي أن يخاصمني إلاّ جبّار. تجعل الزيار[6] في فم الأسد، واللّجام[7] في فم التّنين،

---

(١) في الطبعة الأوربية «تصدقتم».

(٢) في النُسخ، وطبعتي أوربا وصادر «مستنصف»، وما أثبتناه عن النسخة (ر)، وعرائس المجالس ١٢٤.

(٣) في عرائس المجالس «إذ» بدل «إن».

(٤) في عرائس المجالس ١٢٤ «غرضاً» بالغين المعجمة.

(٥) في النسخة (ب): «أنماني». وفي عرائس المجالس ١٢٤ «هو الذي أذلّني وأدناني وأهانني وأقامني».

(٦) في الطبعة الأوربية «الوبار»، وقد صُحّحت في طبعة صادر ١٣٤ وجاء في الحاشية: الزيار: خشبتان يضغط =

وتكيل مكيالاً من النور، وتزنُ مثقالاً من الريح، وتصرّ صرّة من الشمس، وتردّ أمس. لقد منّتك نفسُك أمراً لا تبلغه بمثل قوّتك. أردتَ أن تكابرني[1] بضعفك، أم تخاصمني بعيّك أم تحاجّني بخطلك[2]! أين أنتَ مني يومَ خلقتُ الأرض؟ هل علمتَ بأيّ مقدار قدرتُها؟ أين كنت معي يوم رفعتُ السماء سقفاً في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها؟ هل تبلغ حكمتك أن تجري نورها، أو تسيّر نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ وذكر أشياء من مصنوعات الله.

فقال أيّوب: قصرتُ عن هذا الأمر! ليتَ الأرض انشقّت لي فذهبتُ فيها ولم أتكلّم بشيء يُسخطك! إلهي اجتمع عليّ البلاء، وأنا أعلم أنّ كلّ الذي ذكرتَ من صُنْع يديك وتدبير حكمتك، لا يُعجزك شيء، ولا تخفى عليك خافية، تعلم ما تخفي القلوب، وقد علمتَ في بلائي ما لم أكن أعلمه. كنتُ أسمع بسطوتك سمعاً، فأمّا الآن فهو نظر العين. إنّما تكلّمتُ بما تكلّمتُ به لتعذرني، وسكتُّ لترحمني، وقد وضعتُ يدي على فمي، وعضضتُ على لساني، وألصقتُ بالتراب خدّي، فدسستُ فيه وجهي، فلا أعود لشيء تكرهه. ودعا.

فقال الله: يا أيّوب، نفذ فيك حكمي، وسبقت رحمتي غضبي، قد غفرتُ لك، ورددتُ عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، لتكون لمن خلفك آية وعبرة لأهل البلاء، وعزاءً للصابرين، فـ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[3] فيه شفاء، وقرّب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم، فإنّهم قد عصوني فيك. فركض برجْله، فانفجرت له عين ماء، فاغتسل فيها، فرفع الله عنه البلاء، ثمّ خرج فجَلس، وأقبلت امرأته فسألته عنه فقال: هل تعرفينه؟ قالت: نعم، ما لي لا أعرفه! فتبسّم، فعرفته بضحكه، فاعتنقته، فلم تفارقه من عناقه، حتى مرّ بهما كلّ مال لهما وولد[4].

وإنّما ذكرته قبل يوسف وقصّته لِما ذكر بعضهم من أمره، وأنّه كان نبيّاً في عهد يعقوب[5].

= بهما البيطار جحفلة الفرس أي شفته فيذلّ فيتمكن من بيطرته. وفي عرائس المجالس ١٢٤ «الزمام».
(٧) في عرائس المجالس «اللحم» (١٢٥).

---

(١) في النسخة (ب): «تماكرني»، وفي عرائس المجالس «تكاثرني».
(٢) العبارة في عرائس المجالس: «أم أردت أن تخاصمني بغيّك أم أردت أن تحاججني بخطئك».
(٣) صٓ/٤٢.
(٤) راجع الخبر بطوله في عرائس المجالس ١٢٣ - ١٢٦.
(٥) العبارة عن الطبري ١/٣٢٤.

وذُكر أنّ عمر أيّوب كان ثلاثاً وتسعين سنة، وأنّه أوصى عند موته إلى ابنه حومل[1]، وأنّ الله بعث بعده ابنه بِشْر بن أيّوب نبيّاً، وسمّاه ذا الكِفْل، وكان مقيماً بالشام حتى مات، وكان عمره خمساً وسبعين سنة[2]، فأوصى إلى ابنه عبدان[3]، وأنّ الله بعث بعده شُعَيْبَ بن ضيعون[4] بن عنقا بن ثابت[5] بن مَدْيَن بن إبراهيم، عليه السلام.

---

(١) في الأصل «حوصل»، والمثبت يتفق مع الطبري ٣٢٥/١، وعرائس المجالس للثعلبي ١٢٩.
(٢) الطبري ٣٢٥/١، وفي عرائس المجالس «خمساً وتسعين سنة».
(٣) في طبعة صادر ١٣٦/١ «عيدان» بالياء المثنّاة، والتصويب عن الطبري والثعلبي.
(٤) في النسخة (ب): «صفيون».
(٥) في تاريخ الطبري: «شعيب بن صيفون بن عيفا بن نابت».

ذكر قصة يوسف عليه السلام[1]

ذكروا أنّ إسحاق توفّي وعمره ستّون ومائة سنة، وقبره عند أبيه إبراهيم، قَبَرَه ابناه يعقوب وعيص في مزرعة حَبْرُون[2]، وكان عُمر يعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة، وكان ابنه يوسف قد قُسم له ولأمّه شطر الحُسْن، وكان يعقوب قد دفعه إلى أخته ابنة إسحاق تحضنه، فأحبّته حبّاً شديداً، وأحبّه يعقوب أيضاً حبّاً شديداً، فقال لأخته: يا أُخيّة! سلّمي إليّ يوسف، فوالله ما أقدر أن يغيب عنّي ساعة. فقالت: والله ما أنا بتاركته ساعة. فأصرّ يعقوب على أخْذه منها، فقالت: اتركه عندي أيّاماً لعلّ ذلك يسلّيني، ثمّ عمدت إلى منطقة إسحاق، وكانت عندها، لأنّها كانت أكبر ولده، فحزمتها على وسط يوسف، ثمّ قالت: قد فُقِدت المنطقة، فانظروا مَنْ أخذها. فالتُمست، فقالت: اكشفوا أهلَ البيت. فكشّفوهم فوجدوها مع يوسف، وكان من مذهبهم أن صاحب السرقة يأخذ السارق له، لا يعارضه فيه أحد، فأخذت يوسفَ فأمسكته عندها حتى ماتت، وأخذه يعقوب بعد موتها. فهذا الذي تأوّل[3] إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[4].

وقيل في سرقته غير هذا، وقد تقدّم.

فلمّا رأى إخوة يوسف محبّةَ أبيهم له وإقباله عليه، حسدوه وعظُم عندهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٣٠، المعارف لابن قتيبة ٤١، تاريخ الطبري ١/٣٣٠، مروج الذهب للمسعودي ١/٤٧، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٦٦، نهاية الأرب للنويري ١٣/١٣٠، عرائس المجالس للثعلبي ٨٤، مرآة الزمان ١/٣٣٩، الكسائي ١٥٦، زاد المسير ٤/١٨٠، تفسير الطبري ١٥/٥٤٩ و١٦/١ - ٣١٥، مختصر تاريخ الدول لابن العبري ١٦، البداية والنهاية لابن كثير ١/١٩٧، أخبار الزمان للمسعودي ٢٥٩، تاريخ الخميس ١/١٤٩.

(٢) في النسخة (ب): «جيرون»، وفي النسخة (ت): «حيرون». وهي كما أثبتناها، قال ياقوت: حبرون، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون. اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس. (معجم البلدان ٢/٢١٢).

(٣) في الطبعة الأوربية «تقول».

(٤) يوسف/٧٧ والخبر في تاريخ الطبري ١/٣٣٠، ٣٣١، وتفسير الطبري ١٣/٢١ طبعة بولاق.

ثمّ إنّ يوسف رأى في منامه كأنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر تسجد[1] له، فقصّها على أبيه، وكان عمره حينئذٍ اثنتي عشرة سنة. فقال له أبوه: **﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾**[2]. ثمّ عبّر له رؤياه. فقال: **﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾**[3].

وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه، فقال لها يعقوب: اكتمي ما قال يوسف ولا تُخبري أولادك. قالت: نعم. فلمّا أقبل أولاد يعقوب من الرعي[4] أخبرتهم بالرّؤيا، فازدادوا حسداً وكراهةً له وقالوا: ما عنى بالشمس غير أبينا، ولا بالقمر غيركِ، ولا بالكواكب غيرنا، إنّ ابن راحيل يريد أن يتملّك علينا ويقول أنا سيّدكم. وتآمروا بينهم أن يفرّقوا بينه وبين أبيه وقالوا: **﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ، إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** - في خطإٍ بيّن في إيثارهما علينا - **﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾**[5] أي تائبين.

فقال قائلٌ منهم، وهو يهودا[6]، وكان أفضَلهم وأعقَلهم: لا تقتلوا يوسف فإنّ القتل عظيم، **﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾**[7]، وأخذ عليهم العهود أنّهم لا يقتلونه، فأجمعوا عند ذلك إن يدخلوا على يعقوب ويكلّموه في إرسال يوسف معهم إلى البريّة، وأقبلوا إليه ووقفوا بين يديه، وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا منه حاجة، فلمّا رآهم قال: ما حاجتكم؟ **﴿قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾** - نحفظه حتى نردّه - **﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾** - إلى الصحراء - **﴿غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[8]. فقال لهم يعقوب: **﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾**[9] لا تشعرون، وإنّما قال لهم ذلك لأنّه كان رأى في منامه كأنّ يوسف، على رأس جبل، وكأنّ عشرةً من الذئاب قد شدّوا عليه ليقتلوه، وإذا ذئب منها يحمي عنه، وكأنّ الأرض انشقّت فذهب فيها، فلم يخرج منها إلّا بعد ثلاثة أيّام، فلذلك خاف عليه الذئبَ.

---

(١) في النسختين (ب) و(ر): «قد سجدوا».
(٢) يوسف/٥.
(٣) يوسف/٦.
(٤) في النسخة (ر): «المرعى».
(٥) يوسف/٨ - ٩.
(٦) في تاريخ الطبري ٣٣٢/١ «يهوذا» بالذال المعجمة.
(٧) يوسف/١٠.
(٨) يوسف/١١ - ١٢.
(٩) يوسف/١٣.

فقال له بنوه: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾[1]. فاطمأنّ[2] إليهم، فقال يوسف: يا أبتِ أرسلني معهم. قال: أَوَتُحِبّ ذلك؟ قال: نعم. فأذِن له، فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يُكرمونه، فلمّا برزوا إلى البرّيّة أظهروا له العداوة، وجعل بعضُ إخوته يضربه، فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، وجعل يصيح: يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يَصنعَ بابنك بنو الإماء.

فلمّا كادوا يقتلونه قال لهم يهودا[3]: أليس قد أعطيتموني مَوثِقاً ألا تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجُبّ فأوثقوه كتافاً، ونزعوا قميصه وألقوه فيه، فقال: يا إخوتاه ردّوا عليّ قميصي أتوارى به في الجبّ! فقالوا: ادعُ الشمسَ والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك. قال: إنّي لم أرَ شيئاً، فدلّوه في الجبّ، فلمّا بلغ نصفَه ألقوه، أرادوا أن يموت، وكان في البئر ماء، فسقط فيه، ثمّ أوى إلى صخرةٍ فأقام عليها، ثمّ نادوه. فظنّ أنّهم قد رحموه فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهودا[4].

ثمّ أوحى الله إليه: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[5] بالوحي، وقيل لا يشعرون أنّه يوسف.

والجبّ بأرض بيت المقدس معروف[6].

ثمّ عادوا إلى أبيهم عِشاءً يبكون فقالوا: ﴿يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾[7]. فقال لهم أبوهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[8]. ثمّ قال لهم: أروني قميصه. فأروه. فقال: تالله ما رأيتُ ذِئباً أحلم من هذا! أكل ابني ولم يشقّ قميصه! ثمّ صاح وخرّ مغشيّاً عليه ساعة، فلمّا أفاق بكى بكاء طويلاً فأخذ القميص يقبّله ويشمّه.

وأقام يوسف في الجبّ ثلاثة أيّام، وأرسل الله مَلكاً فحلّ كتافه، ثمّ ﴿جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾، وهو الذي يتقدّم إلى الماء، ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ إلى البئر، فتعلّق به

---

(١) يوسف/١٤.

(٢) في النسخة (ب): «فلما سمع يعقوب ذلك اطمأنّ».

(٣) في تاريخ الطبري «يهوذا».

(٤) في تاريخ الطبري «يهوذا».

(٥) يوسف/١٥.

(٦) جبّ يوسف: في طريق القدس عند بلد يقال لها سنجيل والجبّ قرية معروفة اليوم باسم خان جب يوسف على ميل ونصف من شمالي بحيرة طبرية. (الأعلاق الخطيرة ٢/٢٨٢ بالمتن والحاشية).

(٧) يوسف/١٧.

(٨) يوسف/١٨.

يوسف فأخرجه من الجبّ، و ﴿قَالَ: يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ[1] وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾[2] يعني الواردُ وأصحابه، خافوا أن يقولوا اشتريناه، فيقول الرفقة أشْرِكونا فيه، فقالوا: إنّ أهل الماء استبضعونا هذا الغلام.

وجاء يهودا بطعام ليوسف، فلم يره في الجبّ، فنظر فرآه عند مالك في المنزل، فأخبر إخوته بذلك، فأتوا مالكاً وقالوا: هذا عبد آبق منّا. وخافهم يوسف فلم يذكر حاله، واشتروه من إخوته بثمنٍ بَخْس؛ قيل عشرون درهماً، وقيل أربعون دِرهماً، وذهبوا به إلى مصر، فكساه مالك وعرضه للبيع، فاشتراه قُطْفير، وقيل اطفير[3]، وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، والملك يومئذٍ الريّان بن الوليد رجل من العمالقة.

قيل: إنّ هذا الملك لم يمتْ حتى آمن بيوسف، ومات ويوسف حيّ، وملك بعده قابوس بن مُصْعَب، فدعاه يوسف فلم يؤمن.

فلمّا اشترى يوسف وأتى به إلى منزله قال لامرأته، واسمها راعيل: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ [فيكفينا] إذا [هو بلغ و] فهم الأمور بعض ما نحن بسبيله ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾[4]، وكان لا يأتي النساءَ، وكانت امرأته حسناء ناعمةً في مُلْكٍ ودنيا[5].

فلمّا خلا من عمرْ يوسف ثلاثٌ وثلاثون سنة آتاه العلمَ والحكمةَ قبل النبوّة، وراودته راعيل عن نفسه، وأغلقت الأبواب عليه وعليها، ودَعَتْهُ إلى نفسها، فقال: ﴿مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي - يعني أنّ زوجك سيّدي - أَحْسَنَ مَثْوَايَ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[6]، يعني أنّ خيانته ظلم، وجعلت تذكر محاسنه وتشوّقه إلى نفسها، فقالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك! قال: هو أوّل ما ينتثر من جسدي. قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال: هما أوّل ما يسيل من جسدي. قالت: ما أحسن وجهك! قال: هو للتراب. فلم تزل به حتى همّت وهمّ بها[7] وذهب ليحلّ سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قد عضّ على إصبعه

---

(١) في النسخة (ر): «تباشروا وقيل يا بشرى اسم غلام».

(٢) يوسف/١٩.

(٣) ورد في التوراة، الفصل ٣٩ من سفر التكوين، الآية ١، فُوطِيفار خصيّ فرعون رئيس الشُرَط. (٦٥).

(٤) يوسف/٢١.

(٥) في الطبعة الأوربية «دين»، والمثبت هو الصحيح اعتماداً على الطبري ١/٣٣٦ والخبر في تاريخ الطبري ١/٣٣٤ - ٣٣٧، والتفسير له ١٢/١٠٨.

(٦) يوسف/٢٣.

(٧) جاء على هامش النسخة (ب) العبارة التالية: «أعوذ بالله من هذا الاعتقاد، بل هَمَّ بها بالضرب تأديباً، أو القتل أو أنّ الهمّ وحصوله معلّق على عدم رؤية البرهان، وإلاّ فأنبياء الله منزّهون من الهمّ على الفاحشة».

يقول: يا يوسف لا تواقعها[1] إنّما مَثَلك ما لم تُواقعها[2] مثل الطير في جوّ السماء لا يطاق، ومَثَلك إذا واقعتها مَثَله إذا مات وسقط إلى الأرض.

وقيل: جلس بين رِجْلَيها، فرأى في الحائط: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[3]. فقام حين رأى برهان ربّه هارباً يريد الباب، فأدركتْهُ قبل خروجه من الباب، فجذبت قميصه من قِبَل ظهره فقَدَّتْه، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ ـ وابن عمّها معه، فقالت له ـ: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إلاّ أَنْ يُسْجَنَ﴾[4]. قال يوسف: بل ﴿هِيَ رَاوَدَتْني عَنْ نَفْسِي﴾[4]، فهربتُ منها فأدركتني فقدَّتْ قميصي. قال لها ابن عمّها: تِبْيان هذا في القميص، فإن كان قُدّ من قُبُلٍ فصدقتِ، وإن كان قُدّ من دُبُرٍ فكذبتِ. فأتِيَ بالقميص فوجده قُدّ من دُبُر، فقال: ﴿إنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[5].

وقيل: كان الشاهد صبيّاً في المهد.

قال ابن عبّاس: تكلّم أربعة في المهد وهم صغار، ابن ماشطة امرأة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيج، وعيسى بن مريم[6].

وقال زوجها ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي ذِكْر ما كان منها فلا تذكره لأحد، ثمّ قال لزوجته: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾[7].

وتحدّث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز، وبلغ ذلك امرأةَ العزيز ﴿فَأَرْسَلَتْ إلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[8] يتّكئن عليه [من] وسائد، وحضرن، وقدّمت لهنَّ أُترنجاً[9]، وأعطت كلّ واحدةٍ منهنَّ سكّيناً لقطع الأترنج، وقد أجلست يوسف في غير المجلس الذي هنّ فيه، وقالت له: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ـ فخرج ـ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ـ وأعظمنه ـ وَقَطَّعْنَ

---

(١) في الأصل «يا يوسف أتواقعها»، وأثبتنا رواية الطبري ١/٣٣٧.
(٢) في طبعة صادر «نواقعها» بالنون، وهو تحريف، والتصويب عن الطبري.
(٣) الإسراء/٣٢.
(٤) يوسف/٢٥ ـ ٢٦.
(٥) يوسف/٢٨.
(٦) الطبري ١/٣٣٩.
(٧) يوسف/٢٩.
(٨) يوسف/٣١.
(٩) في تاريخ الطبري ١/٣٤٠ «أترُجّاً»، ويصحّ الاثنان. ويقال: أترنج، وترنج. وهي فاكهة مشهورة في الهند، منها نوع آخر يُسمّى «النارنج». أنظر: سفرنامه، لناصر خسرو علوي ـ ترجمة د. يحيى الخشّاب ـ ص ٤٧ ـ طبعة بيروت ١٩٧٠، ومروج الذهب للمسعودي ١/٣٧٨.

أَيْـدِيَهُنَّ﴾ بالسكـاكين ولا يشعـرن، وقلنَ: معـاذ الله ﴿مَـا هَـذَا بَشَـراً، إنْ هَـذَا إلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

فلمّا حلّ بهنّ ما حلّ من قطْعهنّ أيديهنّ وذهاب عقولهنّ وعرفنَ خطأهنّ فيمـا قلن، أقرّت على نفسها وقالت: ﴿فَذَلِكُنّ الّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ، وَلَقَـدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِـهِ فَاسْتَعْصَمَ، وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُـرُهُ لَيُسْجَنَنّ وَلَيَكُونـاً مِنَ الصّاغِـرِينَ﴾[2]. فاختـار يوسف السجن على معصية الله، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمّـا يَدْعُـونَنِي إلَيْهِ وَإلاّ تَصْـرِفْ عَنّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ﴾[3]. ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَـرَفَ عَنْهُ كَيْـدَهُنّ﴾[4]. ثمّ بدا للعـزيز من بعـدما رأى الآيـات من القميص وخمْش الوجـه وشهادة الـطفل وتقـطيع النّسـوة أيديهنّ في تـرك يوسف مطلقاً.

وقيـل: إنّهـا شكت إلى زوجهـا وقـالت: إنّ هـذا العبـد قـد فضحني في النّـاس، يخبرهم أنّني راودتُهُ عن نفسه، فسجنه سبع سنين. فلمّا حُبس يوسف أُدخل معـه السجنَ فَتيَان من أصحاب فرعون مصر، أحدهما صاحب طعامه، والآخر صاحب شـرابه، لأنّهمـا نُقـل عنهما أنّهمـا يريـدان أن يَسُمّا الملك، فلمّـا دخـل يـوسف السجنَ قـال: إنّي أعبّـر الأحلام. فقال أحد الفَتَيْين للآخر: هلُمَّ فلنجرّبْـه. قال الخبّـاز: ﴿إنّي أرَاني أحْمِلُ فَـوْقَ رَأسِي خُبزاً تَأكُلُ الطّيْـرُ مِنْهُ﴾[5]. وقـال الآخر: ﴿إنّي أرَاني أعْصِـرُ خَمْراً﴾[6]. فقـال لهما يوسف: ﴿لاَ يَأتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِـهِ إلاّ نَبَّأتُكُمَـا بِتَأْوِيلِهِ قَبْـلَ أنْ يَأْتِيكُمَـا﴾[7]. كره أن يعبّـر لهما ما سألاه عنه، وأخذ في غير ذلك وقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أأَرْبَابٌ مُتَفرِّقُـونَ خَيْرٌ أمِ اللهُ الوَاحِدُ القَهّارُ﴾[8] وكان اسم الخبّاز مخلت[9]، واسم الآخر نبو[10]، فلم يَدَعاه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه، فقال: ﴿أمّا أحَدُكُمَا﴾، وهو الـذي رأى أنّه يعصـر الخمر، ﴿فَيَسْقي رَبَّـهُ خَمْراً﴾[11]، يعني سيّـده الملك، ﴿وَأمّـا الآخَـرُ فَيُصْلَبُ فَتـأكُـلُ الـطّيـرُ مِنْ

---

(1) يوسف/٣١.
(2) يوسف/٣٢.
(3) يوسف/٣٣.
(4) يوسف/٣٤.
(5) يوسف/٣٦.
(6) يوسف/٣٧.
(7) يوسف/٣٩.
(8) يوسف/٣٩.
(9) في النسخة (ب): «محبت» وفي (ت): «مجلت»، وفي الطبري ١/٣٤٣ «محلب»، وفي مرآة الزمان ١/٣٥٤ «مجلب».
(10) في النسخة (ب): «بيو»، و(ر): «نسبو»، والمثبت يتفق مع بقية المصادر.
(11) يوسف/٤١.

رَأسِهِ﴾[1]. فلمّا عبّر لهما قالا: ما رأينا شيئاً! قال: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّـذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَـانِ﴾[2]. ثمّ قال لِنبو[3]، وهو الذي ظنّ أنّه ناجٍ منهمـا ﴿اذْكُرْنِي عِنْـدَ رَبِّكَ﴾[4] الملك وأخبـره أنّي محبوس ظُلماً. ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[5]، غفلة عرضت ليـوسف من قِبَل الشيـطان، فـأوحى الله إليه: يـا يوسف اتّخـذت من دوني وكيلاً! لأطيلنّ حَبْسَـك. فلبث في السجن سبع سنين[6].

ثمّ إنّ الملك، وهو الريّان بن الوليد بن الهروان بن اراشـة[7] بن فاران بن عمـرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نـوح، رأى رؤيا هـائلة، رأى سبع بَقَـرَاتٍ سِمانٍ يـأكلهنّ سبعٌ عِجـاف، ورأى سبع سُنْبُـلاتٍ خُضْر وأُخَـرَ يابسـات، فجمع السَّحَـرَةَ والكَهَنَـةَ والحـازة[8] والعافـة[9] فقصّهـا عليهم، فقالـوا: ﴿أَضْغَاثُ أَحْـلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَـأْوِيلِ الأَحْـلَامِ بِعَالِمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ـ أي حين ـ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[10] فـأرسلوه إلى يوسف، فقصّ عليه الرّؤيا، فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَـدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاّ قَلِيلاً مِمّا تَأْكُلُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاّ قَلِيلاً مِمّا تُحْصِنُونَ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[11]، فإنّ البقـر السّمان: السنون المخاصيب، والبقرات العِجَاف: السّنون المحـول، وكذلـك السنبلات الخضـر واليابسـات، فعاد نبو[12] إلى الملك فأخبـره، فعلم أنّ قول يـوسف حقّ، فقـال: ﴿ائْتُونِي بِهِ﴾[13]. فلمّـا أتاه الـرسول ودعـاه إلى الملك لم يخرج معـه وقال: ﴿ارْجِـعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؟﴾[14] فلمّا رجع الـرسول من عنـد يوسف، سـأل الملك أولئك النِّسـوة، فقلن: ﴿حَاشَ لله مَـا عَلِمْنَا عَلَيْـهِ مِنْ سُوءٍ﴾[15] ولكنّ امـرأة

---

(١) يوسف/٤١.
(٢) يوسف/٤١.
(٣) في النسخة (ب): «للآخر»، وفي النسخة (ت): «للبو».
(٤) يوسف/٤٢.
(٥) يوسف/٤٢.
(٦) الطبري ١/٣٤٤.
(٧) في النسخة (ب): «راشد». وفي تاريخ الطبري ١/٣٣٥ «الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران..».
(٨) الحازي: المتخرّص.
(٩) في تاريخ الطبري ١/٣٤٥ «القافة».
(١٠) يوسف/٤٤ ـ ٤٥.
(١١) يوسف/٤٧ـ ٤٨ ـ ٤٩.
(١٢) في النسخة (ب): «بنو».
(١٣) يوسف/٥٠.
(١٤) يوسف/٥١.
(١٥) يوسف/٥١.

العزيز خبّرتنا أنّها راودته عن نفسه، فقالت امرأة العزيز: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾[1]. فقال يوسف: إنّما رددتُ الرسل ليعلم سيّدي ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[2] في زوجته. فلمّا قال ذلك، قال له جبرائيل: ولا حين هممتَ بها؟ فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[3].

فلمّا ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال: ﴿إئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾[4]. فلمّا جاءه الرسول خرج معه، ودعا لأهل السّجن، وكتب على بابه: هذا قبر الأحياء، وبيت الأحزان، وتجربة الأصدقاء، وشماتة الأعداء[5].

ثمّ اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك، فلمّا وصل إليه وَ ﴿كَلَّمَهُ قَالَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[6]. فقال يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ﴾[7]. فاستعمله بعد سنة، ولو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، فسلّم خزائنه كلّها إليه بعد سنة[8]، وجعل القضاء إليه وحكمه نافذاً، وردّ إليه عمل قُطفير[9] سيّده بعد أن هلك، وكان هلاكه في تلك اللّيالي.

وقيل: بل عزله فرعون وولّى يوسف عمله، والأوّل أصحّ لأنّ يوسف تزوّج امرأته، على ما نذكره.

ولمّا وُلّي يوسف عملَ مصر، دعا الملك الرّيان إلى الإيمان، فآمن، ثمّ تُوفّي.

ثمّ ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمرو بن عملاق، فدعاه يوسف إلى الإيمان، فلم يؤمن[10]، وتوفّي يوسف في ملكه.

ثمّ إنّ الملك الريّان زوّج يوسفَ راعيل امرأة سيّده، فلمّا دخل بها قال: أليس هذا خيراً ممّا كنتِ تريدين؟ فقالت: أيّها الصدِّيق لا تلُمْني فإنّي كنتُ امرأة حسناء جميلة في

---

(١) يوسف/٥١.
(٢) يوسف/٥٢.
(٣) يوسف/٥٣.
(٤) يوسف/٥٤.
(٥) العبارة في عرائس المجالس - ص ٩٩.
(٦) يوسف/٥٤.
(٧) يوسف/٥٥.
(٨) في الطبعة الأوربية وردت العبارة: «فاستعمله من ساعته، فسلّم خزائنه كلّها إليه بعد سنة». والخبر في عرائس المجالس - ص ١٠٠.
(٩) في تاريخ الطبري ٣٤٧/١ «إطفير»، وفي التوراة (٦٥) - الإصحاح ٣٩/١ «فوطيفار».
(١٠) الخبر في تاريخ الطبري ٣٣٦/١.

ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النّساء، وكنتَ كما جعلك الله في حسنك فَغَلَبَتْني نفسي. ووجدها بِكراً، فولدت له ولدَيْن افرائيم ومنشا[1].

فلمّا وُلّي يوسف خزائنَ أرضه، ومضت السنون السبع المُخْصبات، وجُمع فيها الطعام في سُنْبله، ودخلت السّنون المُجْدبة، وقحط النّاس، وأصابهم الجوع، وأصاب بلادَ يعقوب التي هو بها، بعث بنيه إلى مصر، وأمسك بنيامين أخا يوسف لأمّه، فلمّا دخلوا على يوسف عرفهم وهم له مُنكِرون، وإنّما أنكروه لبُعْد عهدهم منه، ولتغيُّر لبسته، فإنّه لبس ثياب الملوك، فلمّا نظر إليهم قال: أخبروني ما شأنكم. قالوا: نحن من الشام جئنا نمتار الطعام. قال: كذبتم، أنتم عيون، فأخبروني خبركم. قالوا: نحن عشرة، أولاد رجلٍ واحد صدّيق، كنّا اثني عشر، وإنّه كان لنا أخ فخرج معنا إلى البرّيّة فهلك، وكان أحبّنا إلى أبينا. قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه. قال: فأتوني به أنظر إليه ﴿**فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ، قَالُوا: سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ**﴾[2]. قال: فاجعلوا بعضكم عندي رهينة حتى ترجعوا. فوضعوا شمعون[3]، أصابته القُرعة، وجهّزهم يوسف بجهازهم، وقال لفتيانه: اجعلوا بضاعتهم، بعني ثمن الطعام، في رِحالهم لعلّهم يرجعون، لما علم أنّ أمانتهم وديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة فيرجعون إليه لأجلها[4].

وقيل: ردّ مالهم لإنّه خشي أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرّةً أخرى، فإذا رأوا معهم بضاعة عادوا.

وكان يوسف حين رأى ما بالنّاس من الجهد قد أسّى بينهم، وكان لا يحمّل للرجل إلّا بعيراً[5].

فلمّا رجعوا إلى أبيهم بأحمالهم قالوا: يا أبانا إنّ عزيز مصر قد أكرمنا كرامةً لو أنّه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته، وإنّه ارتهن شمعون وقال: ائتوني بأخيكم الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم، ﴿**فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ**﴾[6].

---

(١) في التوراة ـ سفر التكوين ـ الإصحاح ٥١/٤١ (ص ٧٠) «مَنَسَّى»، والخبر في تاريخ الطبري ٣٤٧/١، وعرائس المجالس ـ ص ١٠١.
(٢) يوسف/٦٠ ـ ٦١.
(٣) الخبر إلى هنا في تاريخ الطبري ٣٤٨/١.
(٤) هذا الخبر في عرائس المجالس ١٠٢.
(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٣٤٩/١.
(٦) يوسف/٦٠.

قال: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إلاّ كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ! وَلَمّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدّت إلَيْهِمْ، قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي، هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدّتْ إلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾[1]، قال يعقوب: ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[1]، فقال يعقوب: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتّى تُؤتُونِي مَوْثِقاً مِنَ الله لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إلاّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ. فَلَمّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ: الله عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[2]. ثمّ أوصاهم أبوهم بعد أن أذن لأخيهم في الرحيل معهم ﴿وَقَالَ: يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾[3]، خاف عليهم العين، وكانوا ذوي صورة حسنة، ففعلوا كما أمرهم أبوهم، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوى إلَيْهِ أَخَاهُ﴾[4] وعرفه، وأنزلهم منزلاً، وأجرى عليهم الوظائف، وقدّم لهم الطعام، وأجلس كلّ اثنين على مائدة، فبقي بنيامين وحده، فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حيّاً لأجلسني معه! فقال يوسف: لقد بقي أخوكم هذا وحيداً، فأجلسه معه وقعد يؤآكله. فلمّا كان اللّيل، جاءهم بالفرش وقال: لِيَنَم كُلُّ أَخَوَين منكم على فراش، وبقي بنيامين وحده، فقال: هذا ينام معي، فبات معه على فراشه، فبقي يشمّه ويضمّه إليه حتى أصبح، وذكر له بنيامين حزنه على يوسف، فقال له: أتحبّ أن أكون أخاكَ عِوض أخيك الذاهب؟ فقال بنيامين: ومن يجد أخاً مثلك! ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل. فبكى يوسف وقام إليه فعانقه وقال له: إنّي أنا أخوك يوسف، فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى، فإنّ الله قد أحسن إلينا، ولا تُعلمهم بما علّمتك[5].

وقيل: لما دخلوا على يوسف نقر الصّواع وقال: إنّه يخبرني أنّكم كنتم اثني عشر رجلاً، وأنّكم بعتم أخاكم. فلمّا سمعه بنيامين سجد له وقال: سلْ صُواعك هذا عن أخي أحيٌّ هو؟ فنقره ثمّ قال: هو حيّ وستراه. قال: فاصنع بي ما شئتَ، فإنّه إنْ علِم بي فسوف يستقذّني(*)؛ قال: فدخل يوسف فبكى ثمّ توضّأ وخرج إليهم، قال: فلمّا حمّل يوسفُ إبلَ إخوته من الميرة جعل الإناء الذي يكيل به الطعام، وهو الصُواع، وكان من فضّه، في رَحْل أخيه.

---

(١) يوسف/٦٤ ـ ٦٥.

(٢) يوسف/٦٦.

(٣) يوسف/٦٧.

(٤) يوسف/٦٩.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٣٥١، ٣٥٢، وعرائس المجالس ـ ص١٠٣ و١٠٤.

(*) في تاريخ الطبري ١/٣٥٥ «يستنقذني» وكذلك في عرائس المجالس ١٠٥.

وقيل: كان إناءً يشرب فيه. ولم يشعر أخوه بذلك[1].

وقيل: إنّ بنيامين لما علم أنّ يوسف أخوه قال: لا أفارقك. قال يوسف: أخاف غمّ أبَوَيْنا، ولا يمكنني حبسُك إلاّ بعد أن أُشَهِّرك بأمرٍ فظيع. قال: افعل. قال: فإنّي أجعل الصُواعَ في رَحْلِك، ثمّ أنادي عليك بالسرقة لآخُذك منهم. قال: افعل[2]. فلمّا ارتحلوا ﴿أذَنَ مُؤذِّنٌ: أيّتُها العِيرُ إنّكُمْ لَسارِقُونَ﴾[3]. ﴿قالُوا: تاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ في الأَرْضِ وَمَا كُنّا سَارِقِينَ﴾[4] لأنّنا رددنا ثمن الطعام إلى يوسف. فلمّا قالوا ذلك ﴿قالُوا: فَما جَزاؤهُ إنْ كُنْتُمْ كاذِبِينَ؟ قالُوا: جَزاؤهُ مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ فَهُوَ جَزاؤهُ﴾[5] تأخذونه لكم. فبدأ بأوعيتهم ففتّشها قبل وعاء أخيه، ثمّ استخرجها من وعاء أخيه. فقالوا: ﴿إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[6]، يعنونَ يوسفَ، وكانت سرقته حين سرق صنماً لجدّه أبي أمّه، فكسّره فعيّروه بذلك، وقيل ما تقدّم ذِكرُه من المنطقة[7].

فلمّا استُخرجت السرقة من رَحْل الغلام قال إخوته: يا بَني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء! فقال بنيامين: بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء! وضع هذا الصُواعَ في رَحْلي الذي وضع الدراهمَ في رِحالكم[8].

فأخذ يوسف أخاه بحكم إخوته، فلمّا رأوا أنّهم لا سبيل لهم عليه، سألوه أن يتركه لهم و ﴿قالُوا: يَا أيُّها العَزِيزُ إنّ لَهُ أباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أحَدَنا مَكانَهُ﴾[9]. فقال: ﴿مَعاذَ اللهِ أنْ نَأخُذَ إلاّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ﴾[10]. فلمّا أيسوا من خلاصه خَلصوا نجيّاً لا يختلط بهم غيرُهم، فقال كبيرهم[11]، وهو شمعون[12]: ﴿ألَمْ تَعْلَمُوا أنّ أبَاكُمْ قَدْ أخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِن

---

(١) الطبري ١/٣٥٢ و٣٥٥.
(٢) عرائس المجالس ١٠٤.
(٣) يوسف/٧٠.
(٤) يوسف/٧٣.
(٥) يوسف/٧٤ ـ ٧٥.
(٦) يوسف/٧٧.
(٧) الطبري ١/٣٥٤.
(٨) الطبري ١/٣٥٥.
(٩) يوسف/٧٨.
(١٠) يوسف/٧٩.
(١١) في عرائس المجالس ١٠٥ «كبيرهم يعني في العقل».
(١٢) في الطبري ١/٣٥٦ «فقال كبيرهم وهو روبيل، وقد قيل إنّه شمعون». وقال قتادة والسُدّي: كبيرهم في السّنّ وهو روبيل. (عرائس المجالس ـ ص ١٠٥).

الله﴾[1] أن نأتيه بأخينا إلاّ أن يحاط بنا، ومن قبل هذه المرّة ﴿مَا فَرّطْتُمْ في يُوسُفَ، فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لي أبِي﴾[1] بالخروج، وقيل: بالحرب، فارجعوا إلى أبيكم فقصّوا عليه خبركم.

فلمّا رجعوا إلى أبيهم فأخبروه بخبر بنيامين وتخلُّف شمعون[2] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى الله أَنْ يَأْتِيَني بِهِمْ جَمِيعاً﴾[3] بيوسف وأخيه وشمعون[4]، ثمّ أعرض عنهم وقال: واحزناه على يوسف! ﴿وَابْيَضّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[5] مملوء من الحزن والغيظ، فقال له بنوه: ﴿تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّى تَكُونَ حَرَضاً ـ أي دنفاً ـ أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ﴾[6]. فأجابهم يعقوب فقال: ﴿إِنّمَا أَشْكُو بَثّي وحُزْنِي إلى الله وَأَعْلَمُ مِنَ الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[6] من صدقِ رؤيا يوسف.

وقيل: بلغ من وَجْد يعقوب وجد سبعين مُبتلىً[7]، وأُعطي على ذلك أجر مائة شهيد[8].

قيل: دخل على يعقوب جارٌ له فقال: يا يعقوب قد انهشمتَ وفنيتَ، ولم تبلغ من السنّ ما بلغ أبوك! فقال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف. فأوحى الله إليه: أتشكوني إلى خَلْقي؟ قال: يا ربِّ خطيئة فاغفرها. قال: قد غفرتُها لك. فكان يعقوب إذا سئل بعد ذلك قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثّي وحُزْنِي إلى الله﴾[9]، فأوحى الله إليه: لو كانا ميتَين لأحييتهما لك، إنّما ابتليتُك لأنّك قد شَوَيتَ وقَتَرتَ على جارك ولم تطعمه[10].

وقيل: كان سبب ابتلائه أنّه كان له بقرة لها عُجول، فذبح عُجولها بين يديها وهي تخور، فلم يرحمها يعقوب، فابتُلي بفقد أعزّ ولده عنده.

وقيل: ذبح شاةً، فقام ببابه مسكين، فلم يطعمه منها، فأوحى الله إليه في ذلك،

---

(١) يوسف/٨٠.
(٢) في النسخة (ب) على الهامش: «وقيل روبيل». وفي تاريخ الطبري ١/٣٥٧ «تخلّف روبيل».
(٣) يوسف/٨٣.
(٤) في النسخة (ر): «وشمعون وقيل روبيل». وفي تاريخ الطبري «وأخيه وروبيل».
(٥) يوسف/٨٤.
(٦) يوسف/٨٥ ـ ٨٦.
(٧) في النسخة (ت): «مثلاً»، وفي النسخة (ر): «مثكلا» وهما تحريف. وفي مرآة الزمان ١/٣٦٩ «ثكلى».
(٨) مرآة الزمان ١/٣٦٩.
(٩) يوسف/٨٦.
(١٠) الخبر في مرآة الزمان ١/٣٦٨ وعرائس المجالس ١٠٦.

وأعلمه أنّه سبب ابتلائه، فصنع طعاماً ونادى: من كان صائماً فليفْطِر عند يعقوب[1].

ثمّ إنّ يعقوب أمر بنيه الذين قدِموا عليه من مصر بالرجوع إليها، وتجسُّس[2] الأخبار عن يوسف وأخيه، فرجعوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف وقالوا: **﴿يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ** ـ يعني قليلة ـ **فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ﴾**[3].

قيل: كانت بضاعتهم دراهم زُيوفاً. وقيل: كانت سمناً وصوفاً. وقيل غير ذلك. **﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾**[3] بفضل[4] ما بين الجيّد والرّديء، وقيل: بردّ أخينا علينا[5]. فلما سمع كلامَهم غلبته نفسُه، فارفضّ دمعُه باكياً، ثمّ باح لهم بالذي كان يكتم.

وقيل: إنّما أظهر لهم ذلك لأنّ أباه كتب إليه، حين قيل له إنّه أخذ ابنه لأنّه سرق، كتاباً:

من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر المظهر العدل.

«أمّا بعد فإنّا أهل بيت موكَّل بنا البلاء، أمّا جدّي فشُدّت يداه ورِجلاه وأُلقي في النّار. فجعلها الله عليه بَرْدَاً وسلاماً، وأمّا أبي فشُدّت يداه ورِجلاه ووضع السكّين على حلقه ليُذبح، ففداه الله، وأمّا أنا فكان لي ابن، وكان أحبّ أولادي إليّ، فذهب به إخوته إلى البرّيّة، فعادوا ومعهم قميصه ملطّخاً بدم وقالوا: أكله الذئب، وكان لي ابن آخر أخوه لأمّه فكنتُ أتسلّى به، فذهبوا به، ثمّ رجعوا وقالوا: إنّه سرق وإنّك حبستَه، وإنّا أهل بيت لا نسرق ولا نلدُ سارقاً، فإن رَدَدْتَهُ عليّ وإلاّ دعوتُ عليك دعوة تدرك السابع من ولدك»[6].

فلمّا قرأ الكتاب لم يتمالك أن بكى وأظهر لهم فقال: **﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ؟ قَالُوا: أَإِنّكَ لأَنْتَ يُوسُفَ! قَالَ: أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي، قَدْ مَنّ الله عَلَيْنَا﴾**[7] بأن جمع بيننا، فاعتذروا و**﴿قَالُوا: تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ الله عَلَيْنَا وَإِنْ كُنّا**

---

(١) مرآة الزمان ١/٣٦٨ وفيه «عند آل يعقوب». وكذلك في عرائس المجالس.
(٢) في تاريخ الطبري ١/٣٥٨ «تحسس» بالحاء المهملة.
(٣) يوسف/٨٨.
(٤) في النسخة (ب): «يفضّل».
(٥) الطبري ١/٣٥٨ و٣٥٩، مرآة الزمان ١/٣٦٩.
(٦) النص في مرآة الزمان ١/٣٧٠ وعرائس المجالس ١٠٨.
(٧) يوسف ٨٩ ـ ٩٠.

لَخَاطِئِينَ. قَالَ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ﴾[1]، أي لا أذكر لكم ذنبكم، ﴿يَغْفِرُ الله لَكُمْ﴾[1]، ثمّ سألهم عن أبيه، فقالوا: لما فاته بنيامين عُمي من الحزن، فقال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أبي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]. فقال يهودا[3]: أنا أذهبُ به لأنّي ذهبتُ إليه بالقميص ملطّخاً بالدم وأخبرتُهُ أنّ يوسف أكله الذئب. فأنا أُخبره أنّه حيّ فأُفرحه كما أحزنته. وكان هو البشير[4].

﴿وَلمَّا فَصَلَتِ العِيرِ﴾[5] عن مصر، حملت الريح إلى يعقوب ريحَ يوسف، وبينهما ثمانون فرسخاً، يوسف بمصر، ويعقوب بأرض كنعان. فقال يعقوب: ﴿إنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾؟[6] فقال له مَنْ حضره من أولاده: ﴿تَالله إنَّكَ﴾[7] من ذكر يوسف ﴿لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ، فَلَمّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ﴾[7] بقميص يوسف ﴿أَلْقَاهُ﴾[7] على وجه يعقوب فعاد بصيراً و﴿قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنّي أعْلَمُ مِنَ الله مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[7]، يعني تصديق الله تأويل رؤيا يوسف؛ وَ﴿لَمّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ﴾[7] قال له يعقوب: كيف تركت يوسف؟ قال: إنّه ملك مصر. قال: ما أصنع بالملك! على أيّ دين تركته؟ قال: على الإسلام. قال: الآن تمّت النّعمة[8]. فلمّا رأى مَنْ عنده من أولاده قميص يوسف وخبره قالوا له: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ ﴿قَالَ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾[9] آخر الدّعاء إلى السَّحَر من ليلة الجمعة[10].

ثمّ ارتحل يعقوب وولده، فلمّا دنا من مصر خرج يوسف يتلقّاه ومعه أهل مصر، وكانوا يعظّمونه، فلمّا دنا أحدهما من صاحبه نظر يعقوب إلى الناس والخيل، وكان يعقوب يمشي ويتوكّأ على ابنه يهودا[11]، فقال له: يا بُنيّ هذا فرعون مصر. قال: لا، هذا ابنك يوسف. فلمّا قرب منه أراد يوسف أن يبدأه بالسّلام، فمُنع من ذلك، فقال يعقوب:

---

(١) يوسف ٩١ ـ ٩٢.
(٢) يوسف/٩٣.
(٣) في تاريخ الطبري ١/٣٦٠ ومرآة الزمان ١/٣٧٢ «يهوذا» بالذال المعجمة.
(٤) الطبري ١/٣٦١، مرآة الزمان ١/٣٧٢، عرائس المجالس ـ ص ١٠٩.
(٥) يوسف/٩٤.
(٦) يوسف/٩٤.
(٧) يوسف/٩٥ ـ ٩٦.
(٨) هنا ينتهي الخبر في مرآة الزمان ١/٣٧٢ وعرائس المجالس ١٠٩.
(٩) يوسف/٩٧ ـ ٩٨.
(١٠) الطبري ١/٣٦١.
(١١) في الطبري ومرآة الزمان وعرائس المجالس «يهوذا».

السلام عليك يا مُذهِب الأحزان[1]، لأنّه لم يفارقه الحزن والبكاء مدّة غيبة يوسف عنه.

قال: فلمّا دخلوا مصر رفع أبَوَيْه، يعني أمّه وأباه، وقيل: كانت خالته، وكانت أمّه قد ماتت، وخرّ له يعقوب وأمّه وإخوته سُجّداً، وكان السجود تحيّة النّاس للملوك، ولم يُرد بالسجود وضع الجبهة على الأرض، فإنّ ذلك لا يجوز إلاّ لله تعالى، وإنّما أراد الخضوع والتواضع والانحناء عند السلام، كما يُفعل الآن بالملوك. والعرش: السرير. وقال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾[2].

وكان بين رؤيا يوسف ومجيء يعقوب أربعون سنة، وقيل: ثمانون سنة[3]، فإنّه أُلقي في الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة، ولقيه وهو ابن سبعٍ وتسعين سنة، وعاش بعد جمع شمله ثلاثاً وعشرين سنة، وتوفّي وله مائة وعشرون سنة، وأوصى إلى أخيه يهودا[4].

وقيل: كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة[5].

وقيل: إنّ يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة، واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه إلى مصر، وكانت مدّة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة، وكان مُقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة[6]. وقيل غير ذلك، والله أعلم.

ولما مات يعقوب أوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق، ففعل يوسف، فسار به إلى الشام فدفنه عند أبيه، ثم عاد إلى مصر. وأوصى يوسف أن يُحمل من مصر ويُدفن عند آبائه، فحمله موسى لما خرج ببني إسرائيل[7].

وولد يوسفُ افرائيمَ ومنشى[8]، فولد لافرائيم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ووُلد لمنشى موسى، قبل[9] موسى بن عمران.

وزعم أهل التوراة أنّه موسى الخِضر[10]. ووُلد له رحمة امرأة أيّوب في قول[11].

---

(١) عرائس المجالس ١١٠ ومرآة الزمان ١/٣٧٢ والطبري ١/٣٦٢.

(٢) يوسف ١٠٠.

(٣) الطبري ١/٣٦٣ وانظر مرآة الزمان ١/٣٧٥ حيث يورد أقوالاً عدّة.

(٤) الطبري ١/٣٦٣.

(٥) راجع عدّة تواريخ حول غيبة يوسف عن أبيه في مرآة الزمان ١/٣٧٥.

(٦) الطبري ١/٣٦٣، ٣٦٤.

(٧) الطبري ١/٣٦٤، مرآة الزمان ١/٣٧٥، البدء والتاريخ ٣/٧٠، مروج الذهب ١/٤٧ و ٤٨.

(٨) في المعارف لابن قتيبة «ميشا»، وفي مروج الذهب ١/٤٨ «ميشاء»، وهو في التوراة «مَنَسّى» بالسين المهملة، كما مرّ قبل الآن.

(٩) في طبعة صادر ١/١٥٦ «قيل»، والتصويب من الطبري ١/٣٦٤ والمعارف ٤١.

(١٠) في تاريخ الطبري والمعارف انه «الذي طلب الخضر».

(١١) مرآة الزمان ١/٣٧٦.

قصة شعيب عليه السلام[1]

قيل: إنّ اسم شعيب يثرون[2] بن صيفون[3] بن عنقا[4] بن ثابت[5] بن مَدْيَن بن إبراهيم.

وقيل: هو شعيب بن ميكيل من ولد مَدْيَن.

وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم، وإنّما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم[6]، وهاجر معه إلى الشام، ولكنّه ابن بنت لوط، فجدّة شعيب ابنة لوط[7].

وكان ضرير البصر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً﴾[8]؛ أي ضرير البصر[9].

---

(١) المعارف لابن قتيبة ٤١، البدء والتاريخ للمقدسي ٧٥/٣، تاريخ الطبري ٣٢٥/١، تفسير الطبري ٥٥٤/١٢ و ٥٦١ ـ ٥٧٢ و ٤٤٣/١٥ ـ ٤٦٥، زاد المسير ٢٢٨/٣ ـ ٢٣٣ و ١٤٨/٤ ـ ١٥٤ و ١٤١/٦ ـ ١٤٥، الكسائي ١٩٠، مروج الذهب ٤٩/١، عرائس المجالس ١٣٠، نهاية الأرب للنويري ١٦٧/١٣، تهذيب تاريخ دمشق ٣١٩/٦، البداية والنهاية ١٨٣/١، تفسير ابن كثير ١٦٢/١ ـ ١٧٨ و٢٠٣/٣ ـ ٢٢٨ و ٤١٠/٤ ـ ٤١٧ و ٤٩٧/٤ ـ ٥٣٦ و ١٧٧/٥ ـ ١٧٨ و ٢٦٣ ـ ٢٩٧، مرآة الزمان ٣٨٥/١.

(٢) المثبت في متن الطبري ٣٢٥/١ «يزون». وقال الشرقي بن قطامي: اسم شعيب القديم: يثرون بالعبرية. وشعيب بالعربية. (مرآة الزمان ٣٨٥/١) وقال ابن قُتيبة: إنما قيل له شعيب، لأنه كان يدعو: اللهم بارك لي في شعبي، ويقال: شعيب. خطيب الأنبياء. (المعارف ٤١).

(٣) في النُسخ: (ت) و (ر) والطبعة الأوربية، وطبعة صادر «ضيعون» والمثبت عن النسخة (ب)، وتاريخ الطبري، وعرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق.

(٤) وفي نسخة أخرى «عيفا»، كما في الطبري، ومرآة الزمان، وعرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق. والمثبت يتفق مع البدء والتاريخ.

(٥) كذا في الأصول، وفي تاريخ الطبري وعرائس المجالس وتهذيب تاريخ دمشق «نابت».

(٦) أنظر حول اسمه: عرائس المجالس، وتهذيب تاريخ دمشق، والبدء والتاريخ، ومرآة الزمان، ومروج الذهب، وغيره.

(٧) الطبري ٣٢٥.

(٨) هود/٨٤.

(٩) الطبري ٣٢٥/١، عرائس المجالس ١٣٠.

وكان النبيّ، ﷺ إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء». بحُسن مراجعته قومَه؛ وإنّ الله أرسله إلى أهل مَدْيَن، وهم أصحاب الأيكة.

والأيكة: شجر مُلْتَفّ. وكانوا أهل كُفْرٍ بالله، وبخس للنّاس[1] في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم، وكان الله وسّع عليهم في الرزق، وبَسَط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كُفرهم بالله، فقال لهم شعيب: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[2].

فلمّا طال تماديهم في غيّهم وضلالهم، ولم يزدهم تذكيرُ شعيب إيّاهم وتحذيره عذابَ الله إيّاهم إلّا تمادياً، ولما أراد إهلاكهم سلّط عليهم عذاب يوم الظُّلّة، وهو ما ذكره ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[3]. فقال: بعث الله عليهم وَقَدَة[4] وحرّاً شديداً فأخذ بأنفسهم، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرّية، فبعث الله عليهم سحابةً فأظلّتهم من الشّمس، فوجدوا لها بَرْداً ولذّة، فنادى بعضهم بعضاً حتى اجتمعوا تحتها، فأرسل الله عليهم ناراً.

قال عبد الله بن عبّاس: فذلك ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[5].

وقال قَتادة: بعث الله شعيباً إلى أمّتَيْن: إلى قومه أهل مَدْيَن، وإلى أصحاب الأيكة، وكانت الأيكة من شجر مُلْتَفّ، فلمّا أراد الله أن يعذّبهم بعث عليهم حرّاً شديداً، ورفع لهم العذابَ كأنّه سحابة، فلمّا دنت منهم خرجوا إليها رجاء بَرْدها، فلمّا كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً، قال: فذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[5].

وأمّا أهل مَدْين فمنهم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل، فعذّبهم الله بالرجفة، وهي الزلزلة، فأُهلكوا.

قال بعض العلماء: كان قوم شُعَيْب عطّلوا حدّاً، فوسّع الله عليهم في الرزق، ثمّ عطّلوا حدّاً فوسّع الله عليهم في الرزق، فجعلوا كلّما عطّلوا حدّاً وسّع الله عليهم في الرزق، حتى إذا أراد هلاكهم سلّط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقارّوا، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء، حتى ذهب ذاهبٌ منهم فاستظلّ تحت ظُلّة، فوجد رَوْحاً، فنادى أصحابَه: هلمّوا

---

(١) في النسخة (ر): «الناس»، والمثبت يتّفق مع عرائس المجالس ١٣٠.

(٢) هود/٨٤.

(٣) الشعراء/١٨٩.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٣٢٧ «وَبَدَة» وهما بمعنىً واحد.

(٥) الشعراء/١٨٩ والخبر في: تاريخ الطبري ١/٣٢٧، ٣٢٨، وتهذيب تاريخ دمشق ١/٣٢١.

إلى الـرَّوْح، فذهبـوا إليه سـراعاً، حتى إذا اجتمعـوا إليها ألهبهـا الله عليهم ناراً، فـذلك عذاب يوم الظُّلَّةِ[1].

وقـد روى عامـر، عن ابن عبّاس أنّـه قال لـه: مَنْ حدّثـك، ما عـذاب يوم الـظُّلَّةِ فكذّبه[2].

وقال مجاهد: عذاب يوم الظُّلَّةِ هو إظلال العذاب على قوم شعيب[3].

وقال زيد بن أسلم في قوله تعـالى: ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ[4] تَـأْمُرُكَ أَنْ نَتْـرُكَ مَا يَعْبُـدُ آباؤنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ في أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[5]؛ قال: ممّا كان ينهاهم عنه قطع الدراهم[6].

---

(١) الطبري ١/٣٢٨.
(٢) الطبري ١/٣٢٩.
(٣) الطبري ١/٣٢٨.
(٤) في طبعة صادر ١/١٥٩ «أَصَلَوَاتُكَ»، وهو غلط.
(٥) هود/٨٧.
(٦) الطبري ١/٣٢٩.

قصة الخضر وخبره مع موسى[1]

قال أهل الكتاب: إنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشّى[2] بن يوسف بن يعقوب، والحديث الصحيح عن النبيّ، ﷺ، أنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران على ما نذكره.

وكان الخضر ممّن كان في أيّام أفريدون الملك ابن اثغيان[3] في قول علماء [أهل] الكُتُب الأُوَل قبل موسى بن عمران.

وقيل: إنّه كان على مقدّمة ذي القَرنين الأكبر الذي كان في أيّام إبراهيم الخليل، وإنّه بلغ مع ذي القَرنَين نهر الحياة، فشرب من مائه، ولا يعلم ذو القَرنين ومن معه، فخلّد وهو حيّ عندهم إلى الآن.

وزعم بعضهم: أنّه كان من ولد مَنْ آمن مع إبراهيم وهاجر معه، واسمه بَلْيا[4] بن ملكان بن فالغ بن عابر[5] بن شالَخ[6] بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وكان أبوه ملكاً عظيماً[7].

وقال آخرون: ذو القرنين الذي كان على عهد إبراهيم أفريدون بن اثغيان[8]، وعلى

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٦٥، المعارف لابن قتيبة ٤٢، عرائس المجالس للثعلبي ١٧١، ١٧٢، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/٧٧ - ٨١، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٤٤ - ١٦٤، مرآة الزمان ١/٤٣٤ - ٤٤٠، الكسائي ٢٣٠، نهاية الأرب للنويري ١٣/٢٤٠ - ٢٤٤، البداية والنهاية لابن كثير ١/٢٩٥ - ٢٩٩.

(٢) في عرائس المجالس ١٧١ «ميشا».

(٣) في النسخة (ر): «أثقيان»، وفي تاريخ الطبري ١/٣٦٥ «أثفيان» بالفاء.

(٤) في النسخة (ب) «لمسا»، وفي (ت): «يَلْيا»، وكذا في الطبعتين الأوربية وصادر، وما أثبتناه يتّفق مع الطبري ١/٣٦٥، والمعارف ٤٢، ونهاية الأرب ١٣/٢٤٣ وفيه أن الاسم ورد في تاريخ العيني مضبوطاً بالعبارة، وابن عساكر.

(٥) وفي طبعة صادر ١/١٦٠ «غابر» بالغين المعجمة، والتصحيح من الطبري، ونهاية الأرب، والمعارف.

(٦) في المعارف، ونهاية الأرب «شالح» بالحاء المهملة.

(٧) المعارف ٤٢، البدء والتاريخ ٣/٧٧.

(٨) في تاريخ الطبري ١/٣٦٥ «أثفيان» بالفاء.

مقدّمته كان الخضر[1].

قال عبد الله بن شَوْذَب: الخضر من ولد فارس، والياس من بني إسرائيل، يلتقيان كلّ عام بالموسم [2].

وقال ابن إسحاق: استخلف الله على بني إسرائيل رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص، فبعث الله لهم الخضر معه نبيّاً. قال: واسم الخضر فيما يقول بنو إسرائيل إرميا بن حلقيا[3]، وكان من سِبط هارون بن عمران، وبين هذا الملك وبين أفريدون أكثر من ألف عام.

وقول مَنْ قال: إنّ الخضر كان في أيّام أفريدون وذي القرنين الأكبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح أنّ موسى بن عمران أمره الله بطلب الخضر، ورسول الله، ﷺ، كان أعلم الخلق بالكائن من الأمور، فيحتمل أن يكون الخضر على مقدّمه ذي القرنين قبل موسى، وأنّه شرب من ماء الحياة فطال عمره، ولم يُرْسَل في أيّام إبراهيم، وبُعث في أيّام ناشية بن أموص، وكان ناشية هذا في أيّام بشتاسب بن لهراسب، والحديث ما رواه أُبيّ بن كعب، عن النّبيّ، ﷺ[4]:

قال سعيد بن جُبَير: قلتُ لابن عبّاس: إنّ نَوْفاً[5] يزعم أنّ الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران. قال: كذب عدوّ الله، حدّثني أُبيّ بن كعب، عن النبيّ، ﷺ، قال: «إنّ موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقيل له: أيّ النّاس أعلم؟ فقال: أنا، فعتِب الله عليه حين لم يردّ العلم إليه، فقال: يا ربّ هل هناك أعلم منّي؟ قال: بلى، عبد لي بمجمع البحرَين. قال: يا ربّ كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل فحيث تفقده فهو هناك. فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتَلٍ، ثمّ قال لفتاه: إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبِرْني. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرةَ وذلك الماء، وهو ماء الحياة، فمن شرب منه خُلِّدَ ولا يقاربه شيء ميّت إلّا حيِيَ، فمسّ الحوت منه فحيِيَ، وكان موسى راقداً، واضطرب الحوت في المِكْتَل فخرج في البحر، فأمسك الله عنه جرية الماء[6] فصار مثل الطاق، فصار للحوت سَرَباً، وكان لهما عجباً، ثمّ انطلقا، فلمّا كان

---

(١) الطبري ١/٣٦٥.
(٢) الطبري ١/٣٦٥.
(٣) في الطبري ١/٣٦٦ «أورميا بن خلقيا».
(٤) الطبري ١/٣٦٦.
(٥) في النسخة (ب): «لوقا»، وهو تحريف، والتصويب من النسخ والطبري وكتب الحديث، وهو نَوْف البِكاليّ.
(٦) في النسخة (ر): «جريه في الماء».

حين الغداء قال موسى لفتاه: ﴿آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هٰذا نَصَباً﴾[1].

قال: ولم يجد موسى النَّصَب حتّى تجاوز حيث أمره الله، فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إلّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، واتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَباً؛ قالَ ذٰلِكَ ما كُنّا نَبْغِ، فارْتَدّا عَلَى آثارِهِما قَصَصاً﴾[2]. قال: يقصّان آثارهما حتى أتيا الصخرة، فإذا رجل نائم مسجّى بثوبه، فسلّم موسى عليه، فقال: وأنّى بأرضنا السلام! قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: يا موسى إنّي على علم من علم الله علّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله لا[3] أعلمه. قال: فإنّي أتّبعك على أن تعلّمني مِمَّا عُلِّمتَ رُشداً. ﴿قالَ: فَإِنِ اتَّبَعْتَني فَلا تَسْأَلْني عَنْ شَيْءٍ حَتّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾[4]. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ثمّ ركبا سفينة[5]، فجاء عصفور فقعد[6] على حرف السفينة فنقر في الماء، فقال الخضر لموسى: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلّا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر.

قال: فبينا هم في السفينة لم يُفجأ موسى إلّا وهو يوتِد وتداً، أو ينزع تختاً منها، فقال له موسى: حملنا بغير نَوْل[7] فتخرقها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَها، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً؛ قالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ مَعيَ صَبْراً؟ قالَ: لا تُؤاخِذْني بِما نَسِيتُ﴾[8]. قال: وكانت الأولى من موسى نسياناً.

قال: فخرجا فانطلقا يمشيان، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ برأسه فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ! لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً؛ قالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً؟ قالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْني، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْراً. فَانْطَلَقا حَتّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما﴾[9] فلم

---

(١) الكهف/٦٣.
(٢) الكهف/٦٣ ـ ٦٤.
(٣) في النسخة (ر): «الله أعلمكه لا».
(٤) الكهف/٧٠.
(٥) في النُسخ: (ب) و(ت) و(ر): «الساحل فعرف الخضر فحمل بغير نول» وفي تاريخ الطبري ١/٣٦٧، ٣٦٨: «على الساحل، فإذا بملّاح في سفينة، فعرف الخضر، فحمله بغير نَوْل». والمثبت يتّفق مع طبعتي أوربا وصادر ١/١٦٢.
(٦) في الطبري ١/٣٦٨ «فوقع».
(٧) بغير نَوْل: بغير أجرة.
(٨) الكهف/٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٣ وفي النسخة (ر): «ولا ترهقني من أمري عسراً».
(٩) الكهف/٧٤ ـ ٧٧.

يجدا أحداً يطعمهما ولا يسقيهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾[1]، فقال له موسى: لم يضيّفونا[2] ولم يُنزلونا، ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرَاً؛ قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً؛ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً - وفي قراءة أُبيّ: سفينة صالحة - وَأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً؛ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً؛ وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ، وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا، وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحَاً﴾[3] إلى ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرَاً﴾[3].

فكان ابن عبّاس يقول؛ ما كان الكنز إلاّ علماً.

قيل لابن عبّاس: لم نسمع لفتى موسى بذِكْر؛ فقال: شرب الفتى من الماء فخلّد، فأخذه العالِم فطابق به سفينته، ثمّ أرسلها في البحر، فإنّها لتموّج به إلى يوم القيامة[4].

الحديث يدلّ على أنّ الخضر كان قبل موسى وفي أيّامه، ويدلّ على خطإ مَنْ قال إنّه إرمياً، لأنّ إرمياً كان أيّام بخت نصّر، وبين أيّام موسى وبخت نصّر من المدّة ما لا يُشْكَل على عالم بأيّام النّاس، فإنّ موسى إنّما نُبِّيءَ في أيّام منوجهر، وكان ملكه بعد[5] جدّه أفريدون.

---

(١) الكهف/ ٧٧.

(٢) في النسخة (ب) «يطعمونا».

(٣) الكهف/٧٧ - ٨٢.

والحديث صحيح، أخرجه البخاري في كتاب العلم ٣٨/١ باب ما يستحبّ للعالم إذا سُئل أيُّ الناس أعلم، فيكِلُ العِلمَ إلى الله، وفي كتاب التفسير ٢٣٠/٥ باب وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حُقُباً، (سورة الكهف). ومسلم في كتاب الفضائل ١٨٤٧/٤ باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠) ١٧٠ - ١٧٤، والترمذي في تفسير القرآن ٣٧١/٤ باب سورة الكهف (٥١٥٧). والإمام أحمد في المسند ١١٧/٥ و١١٨ ولفظ الحديث يختلف في بعض كلماته هنا عن لفظه في كتب الصحاح.

(٤) الطبري ٣٧٥/١.

(٥) في الأصول «بعده»، والتصويب من الطبري ٣٧٦/١.

ذكر الخبر عن مِنوجِهر والحوادث في أيامه[1]

ثمّ ملك بعد أفريدون بن اثغيان[2] بن كاو[3] مِنوجِهْر[4]، وهو[5] من ولد إيرَجَ بن أفريدون، وكان مولده بدُنباوند[6]، وقيل بالريّ، فلمّا وُلد منوجهر أخفى أمره خوفاً من طوج وسَلْم عليه، ولما كبر مِنوجِهر سار إلى جدّه أفريدون، فتوسّم فيه الخير، وجعل له ما كان جعله لجدّه إيرَج من المملكة، وتَوّجَهُ بتاجه[7].

وقد زعم بعضهم أنّ منوجهر بن شجر[8] بن افريقش[9] بن إسحاق بن إبراهيم انتقل إليه المُلْك، واستشهد بقول جرير بن عطية[10]:

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٧٧ - ٣٨٤، البدء والتاريخ ٣/١٤٦، أخبار الزمان للمسعودي ١٠١، مروج الذهب ١/٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، تاريخ سِنيّ ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن حسن الأصبهاني ١٧، نهاية الأرب للنويري ١٥/١٤٨، معجم البلدان ٢/٤٧٥، ٤٧٦.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٣٧٧ «أثفيان» بالفاء. وفي مروج الذهب ١/٢٢٥ «أثقبان» بالباء المفردة، وفي معجم البلدان ٢/٤٧٥ مثل الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري «بركاو».

(٤) في تاريخ الطبري، وأخبار الزمان للمسعودي ١٠١ «منوشهر» بالشين، وكذا في نسخة لمروج الذهب ١/٢٢٥ (أنظر الحاشية ٤) وقيل «منواشجهر» (نهاية الأرب ١٥/١٤٨).

والأصل «منوچهر». ومعنى «منو»: الشمس، و«چهر»: الوجه. وعند المسعودي: الشهر: الملك. (مروج الذهب ١/٢٢٥).

(٥) زاد المقدسي في البدء والتاريخ ٣/١٤٦ «بن منشخور» بعد «منوجهر».

(٦) دُنْباوند: جبل من نواحي الريّ. (معجم البلدان ٢/٤٧٥).

(٧) الطبري ١/٣٧٨.

(٨) هكذا في النسخة (ت) والطبعتين الأوربية وصادر ١/١٦٤ وفي النسخة (ب) و(ر): «منسحر»، وفي الطبري ١/٣٧٨ «منشخرنر».

(٩) في تاريخ الطبري «أفريقيس» بالسين المهملة.

(١٠) هو الشاعر المشهور صاحب الديوان، أبو حَزْرة، الذي يهجو الفرزدق. توفي سنة ١١٠ أو ١١١ هـ. أنظر عنه في: طبقات ابن سلام ٣١٥، الشعر والشعراء ١/٣٧٤، الأغاني ٨/٣، الموشح ١١٨، العيني ١/٩١، شرح شواهد المغني ١٦، وفيات الأعيان ١/٣٢١ رقم ١٣٠، معاهد التنصيص ٢/٢٦٢، الوافي بالوفيات ١١/٧٩ رقم ١٣٢، تاريخ الإسلام ٤/٩٥، مرآة الجنان ١/٢٣٤، النجوم الزاهرة ١/٢١١، شذرات الذهب ١/١٤٠، خزانة الأدب للبغدادي ١/٧٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/٢١٥، =

وأبناءُ إسحاقَ اللّيُوثُ إذا ارتَدَوا حمائلَ موْتٍ لابسِينَ السَّنَوَّرَا[1]
إذا انتَسبوا عدّوا الصَّبَهْبَذَ[2] منهمُ وكسرَى وعدّوا الهُرْمُزانَ وقيصرَا
وكانَ كِتابٌ فيهِمُ ونُبُوّةٌ وكانُوا بإصطَخرَ المُلوكَ وتُستَرَا[3]
فَيجمَعُنا والغُرَّ[4] أبناءُ فارِسٍ أبٌ لا نُبالي[5] بعدَهُ مَنْ تأخّرَا
أبُونا خَليلُ الله، والله رَبُّنَا رَضِينا بما أعطَى الإلٰهُ وقَدَّرَا[6]

وأمّا الفُرس فتُنْكر هذا النسب، ولا تعرف لها مَلِكاً، إلّا في أولاد أفريدون، ولا تُقرّ بالمُلْك لغيرهم[7].

قلتُ: والحقّ ما قاله الفرس، فإنّ أسماء ملوكهم قبل الإسكندر [معروفة] وبعد أيّامه ملوك الطوائف، وإذا كان منوجهر أيّام موسى، وكلّ ما بين موسى وإسحاق خمسة آباء معروفون، ولم يزالوا بمصر، ففي أيّ زمان كثُرُوا وانتشروا وملكوا بلادَ الفرس؟ ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قولُه حجّةً، لا سيّما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق!.

قال هشام بن الكلبي: ملك طوج وسَلْم الأرض بعد أخيهما إيرَج ثلاثمائة سنة، ثمّ ملك منوجهر[8] مائة وعشرين سنة[9]، ثمّ وثب به ابنٌ لطوج[10] التركيّ، على رأس ثمانين

= الأعلام للزركلي ٢/١١، معجم المؤلّفين ٣/١٢٩، معجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي ٩٨، القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله ١/٥٩٧، وديوان جرير، طبعة دار المعارف بمصر.

(١) السَّنَوَّر: الدرْع.

(٢) هو الإصبهبذ: اسم يُطلق على كل من يتولّى بلاد طبرستان (أنظر معجم البلدان ٤/١٤ و ١٥) وهو أمير الأمراء، وتفسيره حافظ الجيش لأن الجيش «أصبه» و «بذ» حافظ وهذه ثالثة المراتب العظيمة عند الفرس (التنبيه والإشراف للمسعودي ٩١).

(٣) تُسْتَر: بالضم ثم السكون وفتح التاء الأخرى، وراء، أعظم مدينة بخوزستان وهي تعريب شوشتر. (معجم البلدان ٢/٢٩).

(٤) في الطبعة الأوربية «العز»، والتصويب من ديوان جرير ٢٤٢ والطبري ١/٣٧٩.

(٥) في الطبعة الأوبية «يبالي»، والتصويب من الديوان، والطبري.

(٦) الأبيات في ديوان جرير ٢٤٢، ونقائض جرير والفرزدق ٩٩٥، والطبري ١/٣٧٨، ٣٧٩.

(٧) في الطبعة الأوربية «لغيره»، والتصحيح من طبعة صادر ١/١٦٥ والطبري ١/٣٧٩.

(٨) في النسخة (ب): «منوشهر».

(٩) تاريخ سنيّ ملوك الأرض لحمزة الأصفهاني ١٧، وتاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، والبدء والتاريخ للمقدسي ٣/١٤٦.

(١٠) في تاريخ الطبري ١/٣٧٩ «ابن لابن طوج».

سنة، فنفاه عن بلاد العراق اثنتي عشرة سنة، ثمّ أديل منه مِنوجِهر، فنفاه عن بلاده، وعاد إلى مُلْكه، [وملك] بعد ذلك ثمانياً وعشرين سنة.

وكان منوجهِر يوصف بالعدل والإحسان، وهو أوّل من خندق الخنادق، وجمع آلة الحرب، وأوّل من وضع الدهقنة، فجعل لكلّ قرية دِهقاناً[1]، وأمر أهلها بطاعته[2].

ويقال: إنّ موسى ظهر في سنة ستّين من ملكه[3].

وقال غير هشام: إنّه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالباً بدم جدّه إيرَج بن أفريدون، فقتل طوج بن أفريدون وأخاه سَلْماً، ثمّ إنّ افراسياب[4] بن فشنج بن رستم بن ترك، الذي يُنسب إليه الأتراك من ولد طوج بن أفريدون، حارب منوجهر بعد قتله طوج بستّين سنة، وحاصره بطبرِستان، ثمّ اصطلحا [على][5] أن يجعلا حدّ ما بين مُلْكيهما [منتهى] رميةَ سهم رجلٍ من أصحاب مِنوجْهِر، اسمه إيرشى[6]، وكان رامياً شديد النزْع، فرمى سهماً من طبرِستانٍ فوقع بنهر بَلْخَ، وصار النهر حدّ ما بين التُرْك ولد طوج، وعمل مِنوجِهر.

قلت: وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم، أنّ رمية سهم تبلغ هذا كلّه[7].

وقد: ذُكر أنّ مِنوجهر اشتقّ من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظاماً، وأمر بعمارة الأرض.

وقيل: إنّ الترك تناولت من أطراف رعيّته بعد خمس وثلاثين سنة من ملِكه، فوبّخ قومه وقال لهم: أيّها الناس إنكم لم تلدوا الناس كلهم، وإنّما النّاس ناسٌ ما عقلوا من أنفسهم[8] ودفعوا العدوّ عنهم وقد نالت الترك من أطرافكم، وليس ذلك إلاّ بترككم

---

(١) الدِهْقان: بكسر الدال، ويُضمّ. وهو رئيس الإقليم. معرَّب دهخان. (محيط المحيط للبستاني ـ مادّة: دهْقَنَ).

(٢) الطبري ١/٣٧٩، نهاية الأرب ١٥/١٤٨، ١٤٩.

(٣) الطبري ١/٣٧٩.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٣٧٩، ومروج الذهب ١/٢٢٥، ونهاية الأرب ١٥/١٤٩ «فراسياب».

(٥) سقطت من طبعة صادر ١/١٦٦.

(٦) في البدء والتاريخ ٣/١٤٦ «آرش»، وفي تاريخ الطبري ١/٣٨٠: «أرشْباطير، وربّما خفّف اسمه بعضهم فيقول: «إيرش»».

(٧) نلحظ هنا أنّ المؤلّف ـ رحمه الله ـ لا يكتفي بالنقل عن الطبري، بل ينقد ما ينقله، وهذه من مواصفات المؤرّخ.

(٨) في الطبعة الأوربية «ما غفلوا عن أنفسهم» والمثبت يتفق مع طبعة صادر والطبري.

جهادَ عدوّكم، وإنّ الله أعطانا هذا الملك ليبلُونَا أنشكر أم نكفر، فيعاقبنا، فإذا كان غداً[١] فاحضروا.

فحضر النّاسُ والأشرافُ، فقام على قدمَيْه، فقام له النّاس، فقال: اقعدوا، إنّما قمتُ لأُسمعكم. فجلسوا. فقال: أيّها النّاس إنّما الخَلْق للخالق، والشكر للمُنعم، والتسليم للقادر، ولا بدّ ممّا هو كائن، وإنّه لا أضعف من مخلوق طالباً كان أو مطلوباً، ولا أقوى من خالق، ولا أقدر ممّن طلبته في يده، ولا أعجز ممّن هو في يد طالبه، وإنّ التفكّر نور، والغفلة ظلمة، فالضلالة جهالة، وقد ورد الأوّل، ولا بدّ للآخر من اللّحاق بالأوّل. إنّ الله أعطانا هذا الملك، فله الحمد، ونسأله إلهام الرّشْد والصدق واليقين، وإنّه لا بدّ أن يكون للملك على أهل مملكته حقّ، ولأهل مملكته عليه حقّ، فحقّ الملك عليهم أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدّوه، وحقّهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها، إذ لا معوّل لهم إلاّ عليها، وإنّه خازنهم، وحقّ الرعيّة على الملك أن ينظر إليهم، ويرفق بهم، ولا يحملهم على ما لا يطيقون، وإن أصابتهم مصيبة تُنْقِص[٢] من ثمارهم أن يُسقِط عنهم خراج ما نقص، وإن اجتاحتهم مصيبة أن يعوّضهم ما يقوّيهم على عِمارتهم، ثمّ يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهم في سنة أو سنتَين. ألا وإنّ الملك ينبغي أن يكون فيه ثلاث خصال: أن يكون صدوقاً[٣] لا يكذب، وأن يكون سخيّاً لا يبخل، وأن يملك نفسه عند الغضب، فإنّه مسلّط ويده مبسوطة، والخراج يأتيه، فلا يستأثر عن جنده ورعيّته بما هم أهل له، وأن يكثر العفو، فإنّه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه العفو، فإنّ الملك إن يخطىء في العفو، خير من أن يخطىء في العقوبة.

ألا وإنّ الترك قد طمعت فيكم، فاكْفونا، فإنّما تكفون أنفسكم، وقد أمرتُ لكم بالسّلاح والعُدّة، وأنا شريككم في الرأي، وإنّما لي من هذا المُلْك اسمه، مع الطاعة منكم. ألا وإنّما الملك ملك إذا أطيع، فإنْ خُولف فهو مملوك وليس بملك. ألا وإنّ أكمل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر، والراحة إلى اليقين، فمن قُتل في مجاهدة العدوّ رجوتُ له بفوز رضوان الله، وإنّما هذه الدنيا سَفَر لأهلها، لا يحلّون عقد الرحال إلاّ في غيرها.

وهي خطبة طويلة[٤].

---

(١) في طبعة صادر ١/١٦٦ «غد»، والصحيح ما أثبتناه، وانظر الطبري ١/ ٣٨٠.

(٢) في الطبعة الأوربية «أو نقص»، والتصحيح من طبعة صادر ١/١٦٧.

(٣) في الطبعة الأوربية «صديقاً»، والتصحيح عن طبعة صادر، والطبري ١/٣٨١.

(٤) أنظر تاريخ الطبري ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٣.

ثمّ أمر بالطعام فأكلوا وشربوا وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون.

وكان مُلْكه مائة وعشرين سنة[1].

وزعم ابن الكلبيّ أنّ الرايش، واسمه الحرث بن قيس بن صَيْفيّ بن سبأ بن يَعْرُب[2] بن قحطان، وكان قد ملك اليمن بعد يَعْرُب بن قحطان، كان ملكه باليمن أيّام ملك مُنوجهر، وإنّما سُمّي الرايش لغنيمةٍ غنِمَها، فأدخلها اليمن، فسُمّي الرايش، ثمّ غزا الهند، فقتل بها وأسر وغَنِم، ورجع إلى اليمن، ثمّ سار على جبلَي طيّء، ثمّ على الأنبار، ثمّ على الموصل، ووجّه منها خيله وعليها رجل من أصحابه، يقال له شمر بن العطّاف، فدخل على الترك بأرض أَذْرَبَيْجان، فقتل المقاتلة، وسبَى الذرّيّة، وكتب ما كان من مسيره على حجرَين، وهما معروفان بأذربيجان[3].

ثمّ ملك بعده ابنُه أبرهة، ولقبه ذو المنار، وإنّما لُقّب بذلك لأنّه غزا بلاد المغرب ووغّلَ[4] فيها برّاً وبحراً، وخاف على جيشه الضّلال عند قفوله، فبنى المنار ليهتدوا [بها].

وقد زعم أهل اليمن أنّه وجّه ابنه العَبْد[5] بن أبرهة في غزواته إلى ناحية من أقاصي المغرب، فغنِم، وقدِم[6] بسبْيٍ له وحشة منكرة، فذعر النّاس منهم، فسمّي ذو الأذعار؛ فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغّلوا في البلاد.

وإنّما ذكرتُ مَن ذكرتُ من ملوك اليمن هاهنا لقول مَنْ زعم أنّ الرايش كان أيّام مِنوجِهر، وأنّ ملوك اليمن كانوا عُمّالاً لملوك فارس[7].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٣٨٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ١٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، البدء والتاريخ ٣/١٤٦ وفي مروج الذهب ١/٢٢٥ «كان ملكه عشرين سنة» وهو وهم.

(٢) هنا نقص عمّا في الطبري: «سبأ بن يشجب بن يعرب».

(٣) راجع الطبري ١/٣٨٣.

(٤) هكذا في الأصول، وفي طبعتي أوربا وصادر ١/١٦٨ «أوغل»، وفي الطبري ١/٣٨٤ «فوغل».

(٥) في الأصل «العيد» وهو تحريف.

(٦) في النسخة (ر): «وقدم عليه».

(٧) الطبري ١/٣٨٤.

قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الأحداث[1]

قيل: هو موسى بن عمران بن يصُهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب[2] بن إسحاق بن إبراهيم، وَوُلد لاوي ليعقوب وهو ابن تسعٍ وثمانين سنة، ووُلد قاهث للاوي وهو ابن ستٍّ وأربعين سنة، وولد لقاهث يصهر، وولد عمران ليصُهر وله ستّون سنة، وكان عمره جميعه مائة[3] وثلاثين سنة.

وأمّ موسى يوخابد[4]. واسم امرأته صفورا بنت شُعَيْب النّبيّ.

وكان فرعون مصر في أيّامه قابوس بن مُصْعَب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عُبَيْد بن الرّيّان بن الوليد، فرعون يوسف الأوّل.

وقيل: كانت من بني إسرائيل، فلمّا نودي موسى أُعلِمَ أنّ قابوس فرعون مصر مات، وقام أخوه الوليد بن مُصْعَب مكانه، وكان عمره طويلاً، وكان أعتى من قابوس وأفجر[5]، وأمر بأن يأتيه هو وهارون بالرسالة.

ويقال: إنّ الوليد تزوّج آسية بعد أخيه، ثمّ سار موسى إلى فرعون رسولاً مع

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٣٣، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٧٩، المعارف ٤٣، تاريخ الطبري ١/٣٨٥، أخبار الزمان للمسعودي ٢٦٩، مروج الذهب ١/٤٨، البدء والتاريخ ٣/٨١، عرائس المجالس ١٣١، مرآة الزمان ١/٣٩٠، زاد المسير ٣/٢٣٧ ـ ٢٦٩، الكسائي ١٩٤، ابن وثيمة ٣٣، تفسير الطبري (سورة البقرة ـ الآية ٥١ وما بعدها)، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٧، نهاية الأرب ١٣/١٧٣، البداية والنهاية ١/٢٣٧، العهد القديم ـ سفر الخروج ـ الإصحاح الثاني ـ ص ٨٨ وما بعدها.

(٢) النسب من عرائس المجالس ١٣١، والبدء والتاريخ ٣/٨١، والمعارف لابن قتيبة ٤٣ وقد سقط منه «يصهر». وانظر مرآة الزمان ١/٣٩٠.

(٣) في النسخة (ر) زيادة بعد «مائة»: «وسبعاً وأربعين سنة. وولد موسى ولعمران سبعون سنة، وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعاً».

(٤) في النسخة (ب): «نوخايل» وفي هامشها «نوخايك»، وفي النسخة (ت): «بوخايد». والمثبت يتّفق مع الطبري ١/٣٨٥، وفي عرائس المجالس ١٣١ «يوخاييل» وقال: وهو المشهور.

(٥) في النسخة (ب): «أفخر»، وفي النسخة (ر): «وأفخر وأكبر»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٣٨٦.

هارون، فكان من مولد موسى إلى أن أخرج بني[1] إسرائيل من مصر ثمانون سنة. ثمّ سار إلى التّيه بعد أن مضى وعبر البحر، وكان مقامهم هنالك، إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته مائة وعشرين سنة[2].

قال ابن عبّاس وغيره، دخل حديث بعضهم في بعض: إنّ الله تعالى لما قُبض يوسف، وهلك الملك الذي كان معه، وتوارثت الفراعنة مُلْك مصر، ونشر[3] الله بني إسرائيل، لم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة، وهم على بقايا من دينهم، ممّا كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام، حتى كان فرعون موسى، وكان أعتاهم على الله، وأعظمهم قولاً، وأطولهم عمراً، واسمه فيما ذُكر: الوليد بن مُصْعَب، وكان سيّء الملكة على بني إسرائيل، يعذّبهم ويجعلهم خَوَلاً، ويسومهم سوءَ العذاب.

فلمّا أراد الله أن يستنقذهم بلغ موسى الأشُدَّ وأُعطي الرسالة[4].

وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى، أنّه رأى في منامه كأنّ ناراً أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القِبْط، وتركت بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السَّحَرَة والحُزاة[5] والكهنة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا: يخرج من هذا البلد، يعنون بيت المقدس، الذي جاء بنو إسرائيل منه، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر أن لا يولد لبني إسرائيل مولود إلاّ ذُبح، ويُترك الجواري[6].

وقيل: إنّه لما تقارب زمان موسى، أتَى منجّمو فرعونَ وحُزاتُه إليه فقالوا: اعلمْ أنّا نجد في علْمنا أنّ مولوداً من بني إسرائيل قد أظلّك زمانُه الذي يولد فيه، يسلبك ملكَك، ويغلبك على سلطانك، ويبدّل دينك. فأمر بقتل كلّ مولود يولد في بني إسرائيل[7].

وقيل: بل تذاكر فرعون وجلساؤه معاً ما وعد الله عزّ وجلّ إبراهيمَ، أن يجعل في ذرّيّته أنبياء وملوكاً، فقال بعضهم: إنّ بني إسرائيل لينتظرون ذلك، وقد كانوا يظنّونه يوسف بن يعقوب، فلمّا هلك قالوا: ليس هكذا وعد الله إبراهيم. فقال فرعون: كيف

---

(١) في طبعة صادر ١/١٦٩ «بني»، وهو خطأ.
(٢) الطبري ١/٣٨٥، ٣٨٦.
(٣) في النسخة (ب): «قسر» وهو تحريف.
(٤) الطبري ١/٣٨٧، عرائس المجالس ١٣٢.
(٥) اللفظ من النسخة (ب)، وفي تاريخ الطبري ١/٣٨٨ «الحازة».
(٦) الطبري ١/٣٨٨.
(٧) عرائس المجالس ١٣٢، الطبري ١/٣٨٧.

تـرون؟ فأجمعـوا على أن يبعث رجالاً يقتلون كـلّ مولـود في بني إسرائيـل، وقال للقِبْط: انظروا[1] مماليككم الـذين يعملون خارجـاً فأدخِلوهم، واجعلوا بني إسـرائيل يلون ذلـك، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَـةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾**[2]؛ فجعـل لا يُولـد لبني إسـرائيلَ مـولود إلاّ ذُبـح، وكان يـأمـر بتعـذيب الحَبَـالَى حتى يضعْن، فكـان يشقّق القصب، ويـوقف المرأةَ عليـه فيقـطّع[3] أقـدامهنّ، وكـانت المـرأة تضـع فتتّقي بـولـدهـا القصب. وقذف[4] الله الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القِبْط على فرعون، وكلّموه وقالوا: إنّ هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا، تـذبح الصغـار وتفني الكبار، فلو أنّـك كتبتَ تُبقي من أولادهم، فأمـرهم أن يذبحـوا سنةً ويتركوا سنةً، فلمّا كان في تلك السنة التي تركوا فيها، وُلد هارون، ووُلد موسى في السنة التي يقتلون فيها، وهي السنة المقبلة. فلمّا أرادتْ أمّه وضْعه، حزنتْ من شـأنه، فـأوحى الله إليهـا، أي ألهمها: **﴿أَنْ أَرْضِعِيـهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْـهِ فَأَلْقِيـهِ فِي اليَمِّ﴾** ـ وهـو النّيـل ـ **﴿وَلا تَخَافِي ولاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾**[5].

فلمّا وضعته أرضعته، ثمّ دعت نجّاراً فجعـل له تـابوتـاً، وجعل مفتـاح التابـوت من داخل، وجعلته فيه، وألقته في اليَمِّ، فلمّا توارى عنها أتاها إبليس، فقالت في نفسهـا: ما الذي صنعتُ بنفسي! لو ذُبح عندي فوارَيْته وكفّنتُه، كان أحبَّ إليّ من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابّه. فلمّا ألقته **﴿قَالَتْ لأُخْتِهِ﴾** ـ واسمها مريم: ـ **﴿قُصِّيه﴾** ـ يعني قصّي أثـره ـ **﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾**[6] أنّها أختُه، فأقبل الموج بـالتابـوت، يرفعـه مرّة ويخفضـه أخرى، حتى أدخله بين أشجـار عند دُور فـرعون، فخـرج جواري آسيـة امـرأة فـرعون يغتسلْنَ، فـوجدن التـابوت، فـأدخلْنه إلى آسيـة، وظننّ أنّ فيه مـالاً، فلمّـا فُتح ونظرت إليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبّته، فلمّا أخبرت به فرعون وأتته به قالت: **﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ﴾**[7]. فقال فرعون يكون لكِ، وأمّا أنا فلا حاجة لي فيه.

---

(١) في النسخة (ت): «ابطروا».

(٢) القصص/٤.

(٣) في عرائس المجالس ١٣٢ «فتجرح».

(٤) في الأصول «قضى»، وفي المطبوع يتفق مع الطبري ١/٣٨٨.

(٥) القصص/٧.

(٦) القصص/١١.

(٧) القصص/٩.
وفي النسخة (ر) زيادة بعد «تقتلوه»: «عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً».

قال النبيّ، ﷺ: «والذي يُحلف به، لو أقرّ فرعون أنْ يكون له قرّة عين كما أقرّت، لَهَدَاهُ الله كما هداها».

وأراد أن يذبحه، فلم تزل آسية تكلّمه حتى تركه لها وقال: إنّي أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هو الذي على يَدَيْه هلاكنا، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[1]. وأرادوا له المرضِعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، فذلك قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ ـ أخته مريم ـ: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ؟﴾[2] فأخذوها وقالوا: ما يُدريكِ ما نُصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكّوا في ذلك. فقالت: نُصحهم له شفقتهم عليه، ورغبتهم في قضاء حاجة الملك، ورجاء منفعته. فانطلقت إلى أمّه فأخبرتها الخبر، فجاءت أمّه، فلمّا أعطته ثديَها أخذه منها، فكادت تقول: هذا ابني، فعصمها الله[3].

وإنّما سُمّي موسى لأنّه وُجد في ماء وشجر، والماء بالقبطيّة مو، والشجر سا. فذلك قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[4].

وكان غيبته عنها ثلاثة أيّام، وأخذته معها إلى بيتها، واتّخذه فرعون ولداً، فدُعي ابن فرعون، فلمّا تحرّكَ الغلام حملته أمّه إلى آسية، فأخذته ترقّصه وتلعب به، وناولَته فرعونَ، فلمّا أخذه إليه أخذ الغلام بلحيته فنتفها. قال فرعون: عليّ بالذبّاحين يذبحونه، هو هذا! قالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾[5] إنّما هو صبيّ لا يعقل، وإنّما فعل هذا من جهل[6]، وقد علمت أنّه ليس في مصر امرأة أكثر حُليّاً منّي، أنا أضع له حُليّاً من ياقوت وجَمْراً، فإنْ أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإنْ أخذ الجمر فإنّما هو صبيّ، فأخرجت له ياقوتها، ووضعت له طشتاً من جمر، فجاء جبرائيل فوضع يده في جمرة فأخذها، فطرحها موسى في فمه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[7]. فدرأت عن موسى بتلك القَتْلَ.

وكبُر موسى، وكان يركب مركب فرعون، ويلبس ما يلبس، وإنّما يُدْعى موسى بن

---

(١) القصص/٨.
(٢) القصص/١٢.
(٣) الطبري ١/٣٨٩، ٣٩٠.
(٤) القصص/١٣.
(٥) القصص/٩.
(٦) في النسخة (ب): «من صغر سنته»، وفي النسخة (ر): «من صباه»، وهو يتفق مع الطبري ١/٣٩٠، والمثبت يتفق مع النسخة (ت) والمطبوع.
(٧) طه/٢٧ ـ ٢٨.

فرعون، وامتنع به بنو إسرائيل، ولم يبقَ قِبطيّ يَظْلِم إسرائيليّاً خوفاً منه[1].

ثمّ إنّ فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى، فلمّا جاء موسى قيل له: فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المَقيل بأرضٍ يقال لها مَنْف، وهذه مَنْف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصدِّيق، وهي الآن قرية كبيرة، فدخل نصف النهار، وقد أغلقت أسواقها، **﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾**[2] يقول هذا إسرائيليّ، قيل إنّه السامريّ، **﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾** يقول من القِبْط، **﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾**[2]، فغضب موسى، لأنّه تناوله وهو يعلم منزلةَ موسى من بني إسرائيل وحِفْظه لهم، وكان قد حماهم من القِبْط، وكان النّاس لا يعلمون أنه منهم، بل كانوا يظنّون أنّ ذلك بسبب الرّضاع. فلمّا اشتدّ غضبه وَكَزَهُ فَقَضَى عَلَيْهِ، قَالَ: إن **﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**[2]؛ أوحى الله تعالى إلى موسى: وعزّتي لو أنّ النفسَ التي قتلتَ أقرّت لي ساعةً واحدة أنّي خالق رازق لأذقتُك العذابَ **﴿قَالَ: رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾**[2]. فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب أن يؤخذ، **﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾** - يقول يستعينه -. **قَالَ لَهُ مُوسَى: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾**[2]. ثمّ أقبل لينصره، فلمّا نظر إلى موسى وقد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي، خاف أن يقتله من أجل أنّه أغلظ له في الكلام قال: **﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ؟ إِنْ تُرِيدُ إِلاّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحِينَ﴾**[3]. فترك القِبطيّ، فذهب، فأفشى عليه أنّ موسى هو الذي قتل الرجل، فطلبه فرعون وقال: خذوه فإنّه صاحبنا. فجاء رجل فأخبره وقال له: **﴿إِنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾**[3].

قيل: كان حزقيل[4] مؤمن آل فرعون، كان على بقيّةٍ من دين إبراهيم، عليه السلام، وكان أوّلَ مَن آمن بموسى. فلمّا أخبره خرج من بينهم **﴿خَائِفاً يَتَرَقَّبُ، قَالَ: رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[5]. وأخذ في ثنيات[6] الطريق، فجاءه مَلَكٌ على فرس

---

(١) الطبري ١/ ٣٩٠.
(٢) القصص/١٥ ـ ١٧.
(٣) القصص ١٨ ـ ٢٠.
(٤) في النسختين (ت) و(ر) والمطبوع «خربيل»، والمثبت عن النسخة (ب) وعرائس المجالس ١٣٦، ونهاية الأرب ١٣/ ١٨٤.
(٥) القصص/٢١.
(٦) في تاريخ الطبري ١/ ٣٩١ «بُنيّات»، والمثبت يتفق مع عرائس المجالس.

وفي يده عَنَزَة، وهي الحَرْبة الصغيرة، فلمّا رآه موسى سجد لـه من الفَرَق. فقـال له: لا تسجد لي ولكن اتبعني؛ فهداه نحو مَدْيَن. وقال موسى وهو متوجّه إليها: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[1]. فانـطلق به الملَك حتى انتهى بـه إلى مَدْيَن، فكـان قد سـار وليس معه طعام، وكان يأكـل ورق الشجر، ولم يكن لـه قوّة على المشي، فمـا بلغ مَدَين حتى سقط خفّ قـدمه ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ـ قصد المـاء ـ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾[2]، أي تحبسـان غنمهما، وهمـا ابنتا شُعَيْب النّبيّ، وقيـل: ابنتا يثـرون، وهو ابن أخي شعيب، فلمّـا رآهمـا مـوسى سـألهمـا: ﴿مَا خَطْبُكُمَا؟ قَالَتَا: لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[3]. فرحمهما موسى، فأتى البئرَ فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مَدْيَن يجتمعـون عليها حتى يـرفعوهـا، فسقى لهمـا غنمهما، فـرجعتا سـريعاً، وكـانتا إنّمـا تسقيان من فضـول الحياض. وقصـد موسى شجرة هناك ليستظلّ بها فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[4].

قال ابن عبّاس: لقد قال موسى [ذلك]، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضْـرة أمعائـه من شدّة الجوع لَفَعَل، وما سأل إلاّ أكلة.

فلمّا رجع الجاريتان إلى أبيهما سريعاً سألهما، فأخبرتاه، فأعاد إحداهما إلى موسى تستدعيه، فأتته وقالت له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[5]. فقام معهـا، فمشتْ بين يديه، فضربت الريح ثوبها فحكى عجيزتهـا، فقال لهـا: امشي خلفي ودلّيني على الطريق، فإنّا أهل بيت لا ننظر في أعقاب النّساء.

فلمّـا أتاه ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ: لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[5]. قالت إحداهما، وهي التي أحضرتـه: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[6]. قال لها أبوها: القوّة قد رأيتِها، فما يُدْرِيكِ بأمانته؟ فذكرتْ له ما أمرها به من المشْي خلفه. فقال له أبوها: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ـ نفسك ـ ثَمَانِيَ حِجَجٍ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ﴾[7]. فقال له موسى: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ، وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[8]. فأقام عنده

(١) القصص/٢٢.
(٢) القصص/٢٣.
(٣) القصص/٢٣.
(٤) القصص/٢٤.
(٥) القصص/٢٥.
(٦) القصص/٢٦.
(٧) القصص/٢٧.
(٨) القصص/٢٨.

يومه، فلمّا أمسى أحضر شُعيب العشاءَ فامتنع موسى من الأكـل، فقال: ولِمَ ذلـك؟ قال: إنّا من أهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا بأسـرها. فقـال شعيب: ليس لذلك أطعمتك، إنّما هذه عادتي وعادة آبائي، فـأكل، وازدادت رغبـة شعيب في موسى، فزوّجه ابنته التي أحضرته، واسمها صفورا، وأمرها أن تأتيـه بعصاً، فـأتته بعصـاً، وكانت تلك العصا قد استودعها إيّاه ملَك في صورة رجل، فدفعتها إليه، فلمّـا رآها أبـوها أمـرها بردّها والإتيان بغيرها، فألقتهـا وأرادت أن تأخـذ غيرهـا، فلم تقع بيـدها سـواها، وجعـل يردّدها، وكلّ ذلك لا يخرج في يدها غيرها، فأخذها موسى ليرعى بها، فندم أبـوها حيث أخذها وخرج إليه ليأخذها منه حيث هي وديعة، فلمّا رآه موسى يريـد أخْذَهـا منه مـانَعَهُ، فحكّما أوّل رجل يلقاهما، فأتاهما ملَكٌ في صورة آدميّ، فقضى بينهما أن يضعها مـوسى في الأرض، فمن حملها فهي له، فألقاهـا موسى فلم يـطقْ أبوهـا حَمْلَهَا وأخـذها مـوسى بيده فتركها له[1]. وكانت من عَوْسَج لها شُعبتان وفي رأسها مِحْجَن[2].

وقيل: كانت من آس الجنّة، حملها آدم معه.

وقيل في أخْذها غير ذلك.

وأقام موسى عند شُعَيب يرعى له غنمه عشر سنين، وسار بأهله في زمن شتاء وبرد، فلمّا كانت اللّيلة التي أراد الله عزّ وجلّ لموسى كرامته وابتداءه فيهـا بنبوّتـه وكلامـه، أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجّه، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلْق في ليلةٍ شاتية ذات مطر ورعْد وبرْق، فأخرج زنده ليقدح ناراً لأهله ليصـطلوا ويبيتوا حتى يصبـح ويعلم وجه طريقه، فأصلد زندُهُ فقدح حتى أعيا، فرُفِعَتْ له نار، فلمّا رآها ظنّ أنّها نار، وكانت من نور الله، فـ ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ: امْكُثُـوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَـا بِخَبَرٍ﴾[3]، فـإن لم أجـد خبراً ﴿آتِيكُمْ بِشِهَـابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[4]. فحين قصـدها رآهـا نوراً ممتـدّاً من السماء إلى شجرة عـظيمة من العَـوْسَج[5]، وقيـل: من العنّاب، فتحيّـر موسى وخـاف حين رأى نـاراً عظيمـة بغيـر دخـان، وهي تلتهب في شجـرة خضـراء، لا تـزداد النّـار إلاّ عظماً، ولا تزداد الشجرة إلاّ خُضْرة، فلمّا دنا منها استـأخرت عنـه، ففزع ورجـع، فنُودي منها، فلمّا سمع الصوت استأنس فعاد، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَـاطِىءِ الوَادِي الأَيْمَنِ في

---

(١) الطبري ١/٣٩٧ ـ ٣٩٩، عرائس المجالس ١٣٧، ١٣٨.

(٢) الطبري ١/٤٠١.

(٣) القصص/٢٩.

(٤) النمل/٧.

(٥) في الطبري ١/٤٠٢ «العُلّيق»، والمؤلف ينقل عن الثعلبي في عرائس المجالس ١٤٠.

البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[١]: أَنْ بُورِكَ مَنْ في النّار ومَنْ حولها يا موسى، ﴿**إنّي أنا الله رَبُّ العَالَمِينَ**﴾[١] فلمّا سمع النداء ورأى تلك الهيبة، علم أنّه ربّه تعالى، فخفق قلبه وكَلّ لسانه وضعُفَتْ قوّته، وصار حيّاً كميت، إلاّ أنّ الروح يتردّد فيه، فأرسل الله إليه مَلَكاً يشدّ قلبه. فلمّا ثاب إليه عقلُه نودي: ﴿**اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنّكَ بِالـوَادِي المُقَدَّسِ طُـوىً**﴾[٢]؛ وإنّما أمر بخلع نعلَيْه لأنّهما كانتا من جلد حمار ميت.

وقيل: لينال قدمه الأرض المباركة. ثمّ قال له تسكيناً لقلبه: ﴿**وَمَـا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـا مُوسَى؟ قَالَ: هِيَ عَصَايَ أَتَوَكّـأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَـا عَلَى غَنَمِي**﴾[٣]؛ يقول: أضـرب الشجر فيسقط ورقه للغنم؛ ﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾[٣] أحمل عليها المِزْوَد والسّقاء.

وكانت تضيء لموسى في اللّيلة المظلمة، وكـانت إذا أعوزه المـاء أَدلاها في البئـر فينال الماءَ، ويصيـر في رأسها شبـه الدلـو، وكان إذا اشتهى فـاكهةً غـرسها في الأرض، فنبتت لها أغصان تحمل الفاكهة لوقتها.

قال له: ألقِهَا يا موسى. فألقاها موسى، فإذا هي حيّة تسعى عظيمة الجثّة في خفّـة حركة الجانّ، فلمّا رآها موسى ﴿**وَلّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ**﴾[٤]، فنُودي: ﴿**يَا مُـوسَى لا تَخَفْ إنّي لا يَخافُ لَدَيَّ المُرْسَلُونَ**﴾[٤]، أقبل ﴿**وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيـدُهَا سِيـرَتَهَا الأُولَىٰ**﴾[٥] عصـاً؛ وإنّما أمره الله بإلقاء العصا حتى إذا ألقاهـا عند فـرعون لا يخـاف منها، فلمّـا أقبل قـال: خذْها ولا تخف وأَدْخِل يَدك في فيها. وكان على موسى جُبّة صوف، فلفّ يده بكُمّـه وهو لها هائبٌ، فنودي: ألقِ كُمّك عن يدك، فألقاه، وأدخل يده بين لحيَيْها، فلمّـا أدخل يـده عادت عصاً كما كانت، لا يُنْكر منها شيئاً.

ثمّ قال له: ﴿**أَدْخِلْ يَدَكَ في جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَـاءَ مِنْ غَيْرِ سُـوءٍ**﴾[٦]، يعني بَرَصـاً، فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور، ثمّ ردّها فعادت كما كانت. فقيل له: ﴿**فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إلى فِرْعَوْنَ وَمَلاِهِ إنّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَـاسِقِينَ؛ قَالَ: رَبِّ إنّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ؛ وأخي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِـيَ رِدْءاً يُصَـدِّقُني**﴾[٧]، أي يبيّن لهم عنّي ما أكلّمهم بـه، فإنّـه يفهم عنّي ما لا يفهمـون. ﴿**قَالَ**:

---

(١) القصص/٣٠.
(٢) طه/١٢.
(٣) طه/١٧ ـ ١٨.
(٤) النمل/١٠.
(٥) طَه/٢١.
(٦) النمل/١٢.
(٧) القصص/٣٢ ـ ٣٤.

سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾[1].

فأقبل موسى إلى أهله، فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً، فتضيّف على أمّه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه، فجاء هارون فسألها عنه، فأخبرته أنّه ضيف، فدعاه فأكل معه، وسأله هارون: مَنْ أنت؟ قال: أنا موسى. فاعتنقا[2].

وقيل: إنّ الله ترك موسى سبعة أيّام، ثمّ قال: أجبْ ربّك فيما كلّمك. فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[3] الآيات[4]. فأمره بالمسير إلى فرعون، ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل، حتى مرّ راع[5] من أهل مَدْيَن فعرفهم، فاحتملهم إلى مَدْيَن، فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعدما فَلَقَ البحر، فساروا إليه.

وأمّا موسى فإنّه سار إلى مصر، وأوحى الله إلى هارون يُعْلِمُه بقفول[6] موسى ويأمره بتلقّيه، فخرج من مصر فالتقى به، قال موسى: يا هارون إنّ الله تعالى قد أرسلنا إلى فرعون فانطلِقْ معي إليه. قال: سمعاً وطاعةً، فلمّا جاء إلى بيت هارون وأظهر أنّهما ينطلقان إلى فرعون، سمعت ذلك ابنة هارون[7]، فصاحت أمّهما فقالت: أنشدكما الله أن [لا] تذهبا إلى فرعون فيقتلكما جميعاً! فأبيا، فانطلقا إليه ليلاً، فضربا بابه، فقال فرعون لبوّابه: مَنْ هذا الذي يضرب بابي هذه الساعة؟ فأشرف عليهما البوّاب فكلّمهما، فقال له موسى: إنّا رسولا ربّ العالمين، فأخبر فرعون، فأُدخلا إليه[8].

وقيل: إنّ موسى وهارون مكثا سنتين يغدوان إلى باب فرعون ويروحان يلتمسان الدخول إليه، فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما، حتى أخبره مسخرة كان يُضحكه بقوله، فأمر حينئذٍ فرعون بإدخالهما. فلمّا دخلا قال له موسى: إنّي رسول من ربّ العالمين، فعرفه فرعون فقال له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ؛ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ؟ قَالَ: فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا

---

(١) القصص/٣٥.
(٢) الطبري ١/٤٠٣.
(٣) طه/٢٥.
(٤) الخبر في عرائس المجالس ١٤٢.
(٥) في النسخة (ر): «براع».
(٦) في النسخة (ب): «بقدوم».
(٧) كلمة «هارون» من النسخة (ب).
(٨) الطبري ١/٤٠٤.

خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً ـ يعني نبوّة ـ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]. فقال له فرعون: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾[2] قد فتح فاه فوضع اللحيَ الأسفل في الأرض والأعلى على القصر، وتوجّه نحو فرعون ليأخذه، فخافه فرعون ووثب فزِعاً، فأحدث في ثيابه[3]، ثمّ بقي بضعة وعشرين يوماً يجيء بطنه حتى كاد يهلك، وناشده فرعون بربّه تعالى أن يردّ الثعبان، فأخذه موسى فعاد عصاً. ثمّ أدخل يده في جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ، ثمّ ردّها فعادت إلى ما كانت عليه من لونها[4]، ثمّ أخرجها الثانية لها نور ساطع في السماء تكلّ منه الأبصار، قد أضاءت ما حولها، يدخل نورها البيوتَ، ويُرى من الكُوى ومن وراء الحُجُب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثمّ ردّها موسى في جيبه وأخرجها فإذا هي على لونها[5].

وأوحى الله تعالى إلى موسى وهارون أن ﴿قُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[6]، فقال له موسى: هل لك في[7] أن أعطيك شبابك فلا تهرم، وملكك فلا يُنزع، وأردّ إليك لذّة المناكح والمشارب والركوب، فإذا مُتّ دخلتَ الجنّة وتؤمن بي؟ فقال: لا حتى يأتي هامان، فلمّا حضر هامان عرض عليه قول موسى، فعجّزه وقال له: تصير تَعبُد بعد أن كنتَ تُعبَد! ثمّ قال له: أنا أردّ عليك شبابك، فعمل له الوسمة فخضبه بها، فهو أوّل من خضب بالسواد، فلمّا رآه موسى هاله ذلك، فأوحى الله إليه: لا يهولنّك ما ترى فلن يلبث إلّا قليلاً. فلمّا سمع فرعون ذلك خرج إلى قومه فقال؛ إنّ هذا لساحر عليم. وأراد قتله. فقال مؤمن آل فرعون، واسمه خربيل[8]: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟﴾[9] وقال الملأ من قوم فرعون: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[10]. ففعل وجمع السَحَرَة، فكانوا سبعين ساحراً، وقيل: اثنين وسبعين[11]، وقيل: خمسة عشر ألفاً[12]، وقيل: ثلاثين ألفاً[13]،

---

(١) الشعراء/١٨ ـ ٢١.

(٢) الأعراف/١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) عرائس المجالس ١٤٤.

(٤) في النسخة (ب): «لونها الأول».

(٥) الخبر في عرائس المجالس ١٤٥ وفيه «لونها الأول».

(٦) طه/٤٤.

(٧) في النسخة (ب): «لي».

(٨) في النسخة (ب): «حزقيل».

(٩) غافر/٢٨.

(١٠) الشعراء/٣٦ ـ ٣٧.

(١١) في عرائس المجالس ١٤٥: كانوا اثنين وسبعين ساحراً، اثنان من القبط وهما رأسا القوم، وسبعون من بني إسرائيل.

فوعدهم فرعون واتّعدوا يوم عيدٍ كان لفرعون، فصفّهم فرعونُ وجمع النّاس، وجاء موسى ومعه أخوه هارون وبيده عصاه، حتى أتَى الجمعَ، وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه، فقال موسى للسَحَرَة حين جاءهم: **﴿وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾**[1]. فقال السَّحَرَة بعضُهم لبعض: ما هذا بقول ساحر! ثمّ قالوا: لنأتينّك بسحر لم ترَ مثله، **﴿وَقَالُوا: بِعِزَّةِ فِرْعُونَ إِنّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ﴾**[2]. فقال له السحرة: يا **﴿مُوسَى إِمّا أَنْ تُلْقِيَ وإِمّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ المُلْقِينَ﴾**[3]. قال: بل أَلقوا. **﴿فَأَلْقَوا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾**[4] فإذا هي في رأي العين حيّات أمثال الجبال قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضاً، فأوجس موسى خوفاً، فأوحى الله إليه: أن **﴿أَلْقِ مَا في يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾**[5]، فألقى عصاه من يده، فصارت ثعباناً عظيماً، فاستعرضت ما أَلْقَوا من حبالهم وعِصِيّهم، وهي كالحيّات في أعين النّاس، فجعلت تلقفها وتبتلعها، حتى لم تُبقِ منها شيئاً، ثمّ أخذ موسى عصاه، فإذا هي في يده كما كانت.

وكان رئيس السَّحَرَة أعمى، فقال له أصحابه: إن عصا موسى صارت ثعباناً عظيماً وتلقف حبالنا وعِصِيّنا. فقال لهم: ولم يبقَ لها أثر ولا عادت إلى حالها الأوّل؟ فقالوا: لا. فقال: هذا ليس بسحر. فخرّ ساجداً وتبعه السَّحَرَة أجمعون و **﴿قَالُوا: آمَنّا بِرَبِّ العَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وهَارُونَ﴾**[6]. قال فرعون **﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ! إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ﴾**[7]. فقطّعهم وقتلهم وهم يقولون: **﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾**[8]، فكانوا أوّل النّهار كفّاراً وآخر النهار شهداء[9].

وكان خربيل[10] مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، قيل: كان من بني إسرائيل، وقيل:

---

(١٢)الطبري ١/٤٠٧.

(١٣)في تاريخ الطبري ١/٤١٣ وعرائس المجالس ١٤٦ «بضعة وثلاثين ألفاً».

---

(١) طه/٦١.

(٢) الشعراء/٤٤.

(٣) الأعراف/١١٥.

(٤) الشعراء/٤٤

(٥) طه/٦٩.

(٦) الشعراء/٤٧ ـ ٤٨.

(٧) طه/٧١.

(٨) الأعراف/١٢٦.

(٩) قارن مع الطبري ١/٤١٣ وعرائس المجالس ١٤٧.

(١٠)في عرائس المجالس ١٤٧ «حزقيل»، والمثبت يتفق مع قول ابن عباس. (أنظر مرآة الزمان ١/٤١١).

كان من القبط.

وقيل: هو النجّار الذي صنع التابوت الذي جُعل فيه موسى وأُلقي في النيل، فلمّا رأى غلبة موسى السحرةَ أظهر إيمانه[1].

وقيل: أظهر إيمانه قبلُ[2]، فقُتل وصُلب مع السَّحَرَة.

وكان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً، وكانت ماشطة ابنة فرعون، فبينما هي تمشّطها إذ وقع المِشْط من يدها، فقالت: بسم الله. فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا بل ربّي وربّك وربّ أبيك. فأخبرت أباها بذلك، فدعا بها وبولدها وقال لها: مَنْ رَبّك؟ قالت: ربّي وربّك الله، فأمر بتنّور نحاس فأُحمي ليعذّبها وأولادها. فقالت: لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها. قال: ذلك لكِ، فأمر بأولادها فأُلقوا في التنّور واحداً واحداً، وكان آخر أولادها صبيّاً صغيراً، فقال: اصبري يا أمّاه فإنّك على الحقّ. فأُلقيت في التنّور مع ولدها[3].

وكانت آسية امرأة فرعون من بني إسرائيل.

وقيل: كانت من غيرهم، وكانت مؤمنة تكتم إيمانها، فلمّا قُتلت الماشطة رأت آسيةُ الملائكة تعرج بروحها، كشف الله عن بصيرتها، وكانت تنظر إليها وهي تعذَّب، فلمّا رأت الملائكة قوي إيمانُها وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة. قالت له آسية: الويل لك! ما أجرأك على الله! فقال لها: لعلّك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة؟ فقالت: ما بي جنون ولكنّي آمنتُ بالله تعالى ربّي وربّك وربّ العالمين.

فدعا فرعون أُمّها وقال لها: إنّ ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة، فأقسم لتذوقنّ الموت أو لتكفرنّ بإلٰه موسى. فخلت بها أمّها وأرادتها على موافقة فرعون، فأبت [وقالت]: أمّا أن أكفر بالله فلا والله! فأمر فرعون حتى مُدّت بين يديه أربعة أوتاد، وعُذّبت حتى ماتت، فلمّا عاينت الموتَ قالت: **﴿رَبِّ آبنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً في الجَنَّةِ وَنَجِّني مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّني مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[4]. فكشف الله عن بصيرتها، فرأت الملائكة وما أُعدّ لها من الكرامة، فضحكت، فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها! تضحك

---

(١) عرائس المجالس ١٤٧.

(٢) في النسخة (ر) زيادة بعد (قبل): «ذلك، وكان فرعون أراد قتل موسى، فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربّي الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم والله أعلم. فلما أظهر إيمانه».

(٣) عرائس المجالس ١٤٧، ١٤٨ من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٤) التحريم/١١.

وهي في العذاب! ثمّ ماتت[1].

ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعبُ من موسى، خاف أن يؤمنوا به ويتركوا عبادته، فاحتال لنفسه وقال لوزيره: يا هامان ابنِ لي صرحاً لعلّي ﴿أَطَّلِع إلى إلَهِ مُوسَى وَإنّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً﴾[2]. فأمر هامان بعمل الآجُرّ، وهو أوّل من عمله، وجمع الصُّنّاع وعمله في سبع سنين، وارتفع البنيان ارتفاعاً لم يبلغه بنيانٌ آخر، فشَقَّ ذلك على موسى واستعظمه، فأوحى الله إليه: أن دعه وما يريد، فإنّي مُستدرجُهُ ومُبطل ما عمله في ساعة واحدة[3]. فلمّا تمّ بناؤه أمر الله جبرائيل فخرّبه، وأهلك كلّ من عمل فيه من صانعٍ ومستعمل. فلمّا رأى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه بالشدّة على بني إسرائيل وعلى موسى، ففعلوا ذلك، وصاروا يكلّفون بني إسرائيل من العمل ما لا يطيقونه، وكان الرجال والنساء في شدّة، وكانوا قبل ذلك يُطعمون بني إسرائيل إذا استعملوهم، فصاروا لا يطعمونهم شيئاً، فيعودون بأسوإ حال يريدون يكسبون ما يقوتهم، فشكوا ذلك إلى موسى، فقال لهم: استعينوا بالله واصبروا، إنّ العاقبة للمتّقين، ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ في الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4].

فلمّا أبَى فرعون وقومه إلاّ الثبات على الكفر، تابع الله عليه الآيات، فأرسل عليهم الطوفان، وهو المطر المتتابع، فغرق كلّ شيء لهم. فقالوا: يا موسى ادعُ ربّك يكشف عنّا هذا، ونحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم، فقالوا: ما يسرّنا أنّا لم نُمْطَر. فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم، فسألوا موسى أن يكشف ما بهم ويؤمنوا به، فدعا الله فكشفه، فلم يؤمنوا وقالوا: قد بقي من زروعنا بقيّة. فأرسل الله عليهم الدَّبا، وهو القُمَّل، فأهلك الزروع والنبات أجمع، وكان يهلك أطعمتهم، ولم يقدروا أن يحترزوا منه، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم، ففعل، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، وكانت تسقط في قدورهم وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ليؤمنوا به، ففعل، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدّم، فصارت مياه الفرعونيّين دماً، وكان الفرعونيّ، والإسرائيليّ يستقيان من ماء واحد، فيأخذ الإسرائيليّ ماء [ويأخذ] الفرعونيّ دماً، وكان الإسرائيليّ يأخذ الماء في فمه، فيمجّه في فم الفرعونيّ فيصير دماً، فبقي ذلك سبعة أيّام، فسألوا موسى أن يكشفه عنهم

---

(١) عرائس المجالس ١٤٨.

(٢) غافر/٣٧.

(٣) عرائس المجالس ١٤٩.

(٤) الأعراف/١٢٩، والخبر في عرائس المجالس ١٥٠.

ليؤمنوا، ففعل، فلم يؤمنوا[1].

فلمّا يئس من إيمانهم ومن إيمان فرعون، دعا موسى وأمّن هارون فقال: **﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾**[2]. فاستجاب الله لهما، فمسخ الله أموالهم، ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم، حجارةً، والنخلَ[3] والأطعمة والدقيقَ وغير ذلك، فكانت إحدى الآيات التي جاء بها موسى.

فلمّا طالَ الأمر على موسى أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببني إسرائيل، وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدّسة، فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلّا امرأة عجوز، فأرتْهُ مكانه في النيل، فاستخرجه موسى، وهو في صندوق مرمر، فأخذه معه فسار، وأمر بني إسرائيل أن يستعيروا من حليّ القِبط ما أمكنهم، ففعلوا ذلك وأخذوا شيئاً كثيراً.

وخرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقِبط لا يعلمون، وكان موسى على ساقة[4] بني إسرائيل، وهارون على مقدّمتهم، وكان بنو إسرائيل لما ساروا من مصر ستّمائة ألف وعشرين ألفاً، وتبِعهم فرعون، وعلى مقدّمته هامان[5]، **﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى: إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾**[6] يا موسى! أوذينا من قبل أن تأتِيَنا ومن بعد ما جئتنا، أمّا الأول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأمّا الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا. قال موسى: **﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾**[7].

وبلغ بنو إسرائيل إلى البحر، وبقي بين أيديهم، وفرعون من ورائهم، فأيقنوا بالهلاك، فتقدّم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق، فكان كلّ فرق كالطود العظيم، وصار فيه اثنا عشر طريقاً، لكلّ سِبط طريق، فقال كلّ سبط: قد هلك أصحابنا. فأمر الله الماء فصار كالشبّاك، فكان كلّ سبط يرى مَنْ عن يمينه وعن شماله، حتى خرجوا.

ودنا فرعون وأصحابه من البحر، فرأى الماء على هيئته والطُرُق فيه، فقال

---

(١) أنظر الخبر مفصّلاً في عرائس المجالس ١٥٠ ـ ١٥٢ وهو ليس في تاريخ الطبري.

(٢) يونس/٨٨.

(٣) في عرائس المجالس ١٥٣ «المنخل».

(٤) الساقة: مؤخّرة الجيش.

(٥) في: ألف ألف وسبعمائة ألف. (الطبري ١/٤١٤، الثعلبي ١٥٤).

(٦) الشعراء/٦١.

(٧) الشعراء/٦٢ والخبر في تاريخ الطبري ١/٤١٤، ٤١٥، عرائس المجالس ١٥٤، ١٥٥، مرآة الزمان ١/٤١٣.

لأصحابه: ألا ترَون البحر قد فرِق منّي وانفتح لي، حتى أُدرك أعدائي؟ فلمّا وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيلُه، فنزل جبرائيل على فرس أنثى وديق[1]، فشمّت الحُصُنُ ريحها، فاقتحمت في أثرها، حتى إذا همّ[2] أوّلهم أن يخرج ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم[3].

وانفرد جبرائيل، بفرعون، يأخذ من حمأة البحر فيجعلها في فيه، وقال حين أدركه الغرق ﴿آمَنْتُ أنّه لاَ إلـهَ إلاّ ٱلّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ﴾[4]، وغرق، فبعث الله إليه ميكائيل يعيّره، فقال له: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾[5].

وقال جبرائيل للنبيّ، ﷺ: لو رأيتني وأنا أدسّ من حمأة البحر في فم فرعون مخافة أن يقول كلمةً يرحمه الله بها[6].

فلمّا نجا بنو إسرائيل قالوا: إنّ فرعون لم يغرق. فدعا موسى، فأخرج الله فرعون غريقاً، فأخذه بنو إسرائيل يتمثّلون به، ثمّ ساروا فأتوا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ. قَالَ: إنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[7]. فتركوا ذلك[8].

ثمّ بعث موسى جُنْدَين عظيمين، كلّ جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون، وهي يومئذٍ خالية من أهلها، قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم، ولم يُبق غيرَ النساء والصبيان والزَّمْنَى والمرضى والمشايخ والعاجزين، فدخلوا البلاد وغنموا الأموال وحملوا ما أطاقوا، وباعوا ما عجزوا عن حمله من غيرهم[9]. وكان على الجُنْدَين يوشع بن نون، وكالب بن يوفنّا[10].

وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر، أنّه إذا خرج مع بني إسرائيل منها وأهلك الله عدوّهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يَذَرُون، فلمّا أهلك الله فرعون[11] وأنجى بني

(١) الفرس الأنثى الوديق: التي تريد الفحل وتشتهيه. (عرائس المجالس ١٥٦).
(٢) في الأصل «ثم» وهو وهْم.
(٣) قارن بالطبري ١/٤٢٠، ٤٢١، وعرائس المجالس ١٥٦، ومرآة الزمان ١/٤١٤.
(٤) يونس/٩٠.
(٥) يونس/٩١.
(٦) الطبري ١/٤٢١ من طريق حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زياد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، وانظر أخبار الزمان للمسعودي ٢٧٨.
(٧) الأعراف/١٣٨.
(٨) الطبري ١/٤٢١، عرائس المجالس ١٥٧.
(٩) عرائس المجالس ١٥٧.
(١٠) في تاريخ الطبري ١/٤٣٠ «يوفنّة».
(١١) في النسخة (ر): «فرعون وقومه».

إسرائيل قالوا: يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتَنا. فسأل موسى ربّه ذلك، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً ويتطهّر ويطهّر ثيابه، ويأتي إلى الجبل، جبل طور سينا، ليكلّمه ويعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يوماً أوّلها أوّل ذي القعدة، وسار إلى الجبل، واستخلف أخاه هارون على بني إسرائيل، فلمّا قصد الجبل أنكر ريح فمه، فتسوّك بعود خرنوب، وقيل: تسوّك بلحاء شجرة، فأوحى الله إليه: أما علمتَ أنّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ وأمره أن يصوم عشرة أيّام أخرى، فصامها، وهي عشر ذي الحجّة، ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[١].

ففي تلك اللّيالي العشر افتتن بنو إسرائيل، لأنّ الثلاثين انقضت، ولم يرجع إليهم موسى، وكان السامريّ من أهل باجَرْمى[٢]، وقيل: من بني إسرائيل.

فقال هارون: يا بني إسرائيل إنّ الغنائم لا تحلّ لكم، والحُلِيّ الذي استعرتموه من القِبط غنيمة، فاحفروا حفيرة وألقوه فيها، حتى يرجع موسى فيرى في رأيه، ففعلوا ذلك، وجاء السامريّ بقبضةٍ من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبرائيل فألقاه فيه، فصار الحُلِيّ عجلاً جسداً له خوار[٣].

وقيل: إنّ الحليّ أُلقي في النّار فذاب، فألقى السامريّ ذلك التراب، فصار الحُليُّ عجلاً جسداً له خوار[٤].

وقيل[٥]: كان يخور ويمشي.

وقيل[٦]: ما خار إلّا مرّة واحدة ولم يعُدْ.

وقيل[٧]: إنّ السامريّ صاغ العجل من ذلك الحُلِيّ في ثلاثة أيّام، ثمّ قذف فيه التراب، فقام له خوار.

فلمّا رأوه قال لهم السامريّ: ﴿هَـٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ، فَنَسِيَ﴾[٨] موسى وتركه

---

(١) الأعراف/١٤٢ والخبر في عرائس المجالس ١٥٧، ١٥٨.

(٢) أثبتها ياقوت «باجَرْما» بالألف الممدودة، وقال: بفتح الجيم، وسكون الراء، وميم، وألف مقصورة. قرية من أعمال البَليخ قرب الرَّقّة من أرض الجزيرة. (معجم البلدان ١/٣١٣).

(٣) الطبري ١/٤٢٢، عرائس المجالس ١٦٣، ١٦٤، مرآة الزمان ١/٤٢٤، ٤٢٥.

(٤) عرائس المجالس ١٦٤.

(٥) القول للسُّدّي. (عرائس المجالس ١٦٤).

(٦) القول لابن عباس. (مرآة الزمان ١/٤٢٥).

(٧) أنظر القول وغيره في عرائس المجالس ١٦٤.

(٨) طه/٨٨.

ههنا وذهب يطلبه، فعكفوا عليه يعبدونـه فقال لهم هـارون: ﴿يَا قَـوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِـهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾[١]، فأطـاعه بعضهم وعصـاه بعضهم، فأقـام بمن معه ولم يقاتلهم.

ولما ناجى الله تعالى موسى قال له: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُـوسَى؟ قَالَ: هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَـرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَـرْضَى. قَالَ: فَـإِنَّا قَـدْ فَتَنَّا قَـوْمَـكَ مِنْ بَعْـدِكَ ـ يـا موسى ـ وَأَضَلَّهُمْ السَّامِرِيُّ﴾[٢]. فقال موسى: يا ربّي هذا السامريّ قد أمرهم أن يتّخذوا[٣] العجل، من نفخ فيه الروح؟ قال: أنا. قال: فأنت إذاً أضللتهم[٤].

ثمّ إنّ موسى لما كلّمه الله تعالى أحَبَّ أن ينظر إليه قـال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْـكَ. قَالَ: لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الجَبَلِ فَـإِنِ آسْتَقَرَّ مَكَـانَهُ فَسَـوْفَ تَرَانِي. فَلَمَّـا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً، وخَـرَّ مُوسَى صَعِقـاً، فَلَمَّا أَفَـاقَ قَالَ: سُبْحَـانَكَ تُبْتُ إِلَيْـكَ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤمِنِينَ﴾[٥]. وأعطاه الألواح فيها الحلال والحرام والمواعظ.

وعاد موسى ولا يقدر أحد أن ينظر إليه، وكان يجعل عليه حريرة نحو أربعين يـوماً، ثمّ يكشفها لما تغشّاه من النور، فلمّا وصل إلى قومه ورأى عبـادتهم العجلَ ألقى الألـواح وأخـذ برأس أخيـه ولحيته يجـرّه إليه، ﴿قَـالَ: يَا آبْنَ أُمِّ لا تَـأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِـرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْـرَائِيلَ وَلَمْ تَـرْقُبْ قَوْلِي﴾[٦]. فتـرك هارون وأقبـل على السامريّ وقال: ﴿مَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ قَالَ: بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُـرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ قَبْضَـةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِـكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي. قَـالَ: فَآذْهَبْ فَـإِنَّ لَكَ فِي الحَيَـاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾[٦]. ثمّ أخذ العجل وبرده بالمبـارد وأحرقـه، وأمر السـامريّ فبـال عليه[٧] وذراه في البحر[٨].

فلمّا ألقى موسى الألواحَ ذهب ستّة أسباعِها وبقي سبعُ، وطلب بنو إسرائيلَ التـوبةَ،

---

(١) طه/٩٠.
(٢) طه/٨٣ ـ ٨٥.
(٣) في النسخة (ب): «بعبادة» بدل «أن يتخذوا».
(٤) الطبري ١/٤٢٢، عرائس المجالس ١٦٥، مرآة الزمان ١/٤٢٦.
(٥) الأعراف/٨٣ ـ ٨٥.
(٦) طه/٩٤ ـ ٩٧.
(٧) استخفافاً به وتصغيراً له. (عرائس المجالس).
(٨) الطبري ١/٤٢٣، ٤٢٤، عرائس المجالس ١٦٥، ١٦٦.

فأبى الله أن يقبل توبَتهم، وقال لهم موسى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[1]، فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه، فكان مَنْ قُتل من الفريقَين شهيداً، فقُتل منهم سبعون ألفاً، وقام موسى وهارون يدعوان الله، فعفا عنهم وأمرهم بالكفّ عن القتال، وتابَ عليهم[2].

وأراد موسى قتلَ السامريّ فأمره الله بتركه وقال: إنّه سخيٌّ، فلعنه موسى[3].

ثمّ إنّ موسى اختار من قومه سبعين رجلاً من أخيارهم[4] وقال لهم: انطلقوا معي إلى الله فتوبوا ممّا صنعتم وصوموا وتطهّروا. وخرج بهم إلى طور سينا للميقات الذي وقّته الله له. فقالوا: اطلبْ أن نسمعَ كلام ربّنا. فقال: أفعلُ. فلمّا دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشّى الجبل كلّه، ودخل فيه موسى وقال للقوم: ادنوا، فدنوا حتى دخلوا في الغمام، فوقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه، فلمّا فرغ انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾[5] فَأَخَذَتْهُمُ الصّاعقَةُ فماتوا جميعاً. فقام موسى يناشد الله تعالى ويدعوه ويقول: يا ربّ اخترت أخيارَ بني إسرائيل، وأعودُ إليهم وليسوا معي، فلا يصدّقونني. ولم يزل يتضرّع حتى ردّ الله إليهم أرواحهم، فعاشوا رجلاً رجلاً، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون[6]. فقالوا: يا موسى أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلّا أعطاكَه، فادعُهُ يجعلنا أنبياء. فدعا الله فجعلهم أنبياء[7].

وقيل: أمرُ السبعين كان قبل أن يتوب الله على بني إسرائيل، فلمّا مضوا للميقات واعتذروا قَبل[8] توبتهم، وأمرهم أن يقتل بعضهم بعضاً، والله أعلم[9].

ولما رجع موسى إلى بني إسرائيل ومعه التوراة، أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها، للأثقال والشدّة التي جاء بها، وأمر الله جبرائيل فقلع جبلاً من فلسطين على قدر عسكرهم، وكان فرسخاً في فرسخ، ورفعه فوق رؤوسهم مقدار قامة الرجل مثل الظُّلَّة،

---

(١) البقرة/٥٤.

(٢) الطبري ١/٤٢٤.

(٣) عرائس المجالس ١٦٦.

(٤) في النسخة (ب): «أحبارهم» والمثبت يتّفق مع صيغة الطبري: «الخيّر فالخيّر» (١/٤٢٧).

(٥) البقرة/٥٥.

(٦) الخبر في عرائس المجالس ١٦٦، ١٦٧، والطبري ١/٤٢٧، ٤٢٨.

(٧) الطبري ١/٤٢٩.

(٨) في النسخة (ر): «اعتذروا وتابوا قبل».

(٩) الطبري ١/٤٢٨.

وبعث ناراً من قِبَل وجوههم، وأتاهم البحر من خلفهم، فقال لهم موسى: خذوا ما آتيناكم بقوّة واسمعوا، فإن قبلتموه وفعلتم ما أُمرتم به، وإلاّ رضختم بهذا الجبل، وغُرِّقتم في هذا البحر وأُحرقتم بهذه النّار. فلمّا رأوا أن لا مهرب لهم قبِلوا ذلك وسجدوا على شقّ وجوههم، وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود، فصارت سنّة في اليهود، يسجدون على جانب وجوههم وقالوا: سمعنا وأطعنا[1].

ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوماً لا يراه أحد إلاّ مات، وقيل: ما رآه إلاّ عمي، فجعل على وجهه ورأسه برنساً لئلاّ يُرى وجهه[2].

ثمّ إنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل ابن عمّ له، ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله، وحمله وألقاه بموضع آخر، ثمّ أصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني إسرائيل، فجحدوا، فسأل موسى ربّه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة، فقالوا: ﴿**أَتَتَخِذُنَا هُزُواً؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ، أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ**﴾[3] المستهزئين. فقالوا له: ما هي؟ ولو ذبحوا بقرةً ما لأجزأت عنهم، ولكنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم، وإنّما كان تشديدهم لأنّ رجلاً منهم كان برّاً بأمّه، وكان له بقرة على النعت المذكور، فنفعه برُّه بأمّه، فلم يجدوا على الصفة المذكورة إلاّ بقرته[4]، فباعها منهم بملء جلدها ذهباً، فلمّا سألوا موسى عنها قال: ﴿**إِنّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ**﴾[5]. يقول: لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين. ﴿**قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا. قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ. قَالُوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ، إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا... قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا** - يعني لا عيب فيها، وقيل لا بياض فيها - **قَالُوا: الآنَ جِئْتَ بِالحَقِّ**﴾[6]. وطلبوها فلم يجدوا إلاّ بقرة ذلك الرجل البارّ بأمّه، فاشتروها، فغالى بها حتى أخذ مِلْء جلْدها ذهباً، فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها، وقيل: بغيره، فحيي وقام وقال: قتلني فلان. ثمّ مات[7].

---

(١) الخبر في عرائس المجالس ١٦٢، ١٦٣.
(٢) عرائس المجالس ١٦٣.
(٣) البقرة/٦٧.
(٤) إلاّ بقرة له.
(٥) البقرة/٦٨.
(٦) البقرة/٦٩ - ٧١.
(٧) الخبر هنا مختصر عما في عرائس المجالس للثعلبي ١٨١ - ١٨٤ وهو ليس في تاريخ الطبري.

ذكر أمر بني إسرائيل في التيه[1] ووفاة هارون عليه السلام

ثمّ إنّ الله تعالى أمر موسى، عليه السلام، أن يسير ببني إسرائيل إلى أريحا بلد الجبّارين، وهي أرض بيت المقدس، فساروا حتى كانوا قريباً منهم، فبعث موسى اثني عشر نقيباً من سائر أسباط بني إسرائيل، فساروا ليأتوا بخبر الجبّارين، فلقيَهُم رجلٌ من الجبّارين يقال له عوج[2] بن عناق[3]، فأخذ الاثني عشر، فحملهم وانطلق بهم إلى امرأته فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنّهم يريدون أن يقاتلونا، وأراد أن يطأهم برجله؛ فمنعته امرأته وقالت: أَطْلِقْهم ليرجعوا ويخبروا قومَهم بما رأوا، ففعل ذلك، فلمّا خرجوا قال بعضهم لبعض: إنّكم إنْ أخبرتم بني إسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم، فاكتموا الأمر عنهم؛ وتعاهدوا على ذلك ورجعوا، فنكث عشرة منهم العهد وأخبروا بما رأوا، وكتم رجلان منهم، وهما: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنّا[4] خَتن موسى، ولم يخبروا إلّا موسى وهارون، فلّما سمع بنو إسرائيل الخبر عن الجبّارين امتنعوا عن المسير إليهم. فقال لهم موسى: **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ الله لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا: يَا مُوسَى إنّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإنّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَإنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإنّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ - وهما يوشع وكالب - مِنَ الّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا: ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾**[5]. **﴿قَالُوا: يَا مُوسَى إنّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا، فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إنّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[6].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٢٩، عرائس المجالس ١٩٣، البدء والتاريخ ٣/٨٧، تاريخ اليعقوبي ١/٣٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء ٧٩، مروج الذهب ١/٤٩، مرآة الزمان ٤٢٨، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨، نهاية الأرب للنويري ١٣/٢٥٧، البداية والنهاية لابن كثير ١/٢٨٠.

(٢) في تاريخ الطبري ١/٤٢٩ «عاج»، والمثبت يتّفق مع عرائس المجالس ١٩٣ ومرآة الزمان ١/٤٢٩.

(٣) في عرائس المجالس «عنق»، والمثبت يتّفق مع مرآة الزمان.

(٤) في تاريخ الطبري ١/٤٣٠ «كالوب بن يوفنّة»، وقيل «كلاب».

(٥) المائدة/٢١ - ٢٣. وفي النسخة (ر) زيادة بعد (غالبون): «وعلى الله فتوكّلوا إن كنتم مؤمنين، قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبّارين فإنّا لن...».

(٦) المائدة/٢٤.

فغضب موسى فدعا عليهم فقال: ﴿رَبِّ إنّي لا أَمْلِكُ إلاّ نَفْسِي وَأَخِي، فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾[1]، وكانت عجلة من موسى. فقال الله تعالى: ﴿فَإنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ في الأَرْضِ﴾[2]. فندم موسى حينئذ. فقالوا له: فكيف لنا بالطعام؟ فأنزل الله المنّ والسلوى.

فأمّا المنّ فقيل هو كالصمغ، وطعمه كالشهد، يقع على الأشجار.

وقيل: هو الترنجبين[3].

وقيل: هو الخبز الرقاق.

وقيل: هو عسل كان ينزل، لكلّ إنسان صاع.

وأمّا السَّلْوَى فهو طائر يشبه السُّمانَى. فقالوا: أين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر ﴿فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[4] لكلّ سِبطٍ عين. فقالوا: أين الظلّ؟ فظلّل عليهم الغمام. فقالوا: أين اللّباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم[5] ولا يتمزّق لهم ثوب. ثمّ قالوا: ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا. قَالَ: أَتَسْتَبْدِلُونَ الّذِي هُوَ أَدْنَى بِالّذِي هُوَ خَيْرٌ؟ اهْبِطُوا مِصْراً فَإنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾[6]. فلمّا خرجوا من التيه رفع عنهم المنّ والسلوى[7].

ثمّ إنّ موسى التقى هو وعوج بن عناق، فوثب موسى عشرة أذرع، وكانت عصاه عشرة أذرع، وكان طوله عشرة أذرع، فأصاب كعب عوجَ فقتله.

وقيل: عاش عوج ثلاثة آلاف سنة[8].

ثمّ إنّ الله أوحى إلى موسى: إنّي متوفٍّ هارون. فأتِ به جبلَ كذا وكذا. فانطلقا نحوه، فإذا هم فيه بشجرةٍ لم يروا مثلها، وفيه بيت مبنيّ وسرير عليه فرش، وريح طيّبة،

---

(١) المائدة/٢٥.

(٢) المائدة/٢٦.

(٣) في النسختين (ب) و(ت): «الطرنجبين»
والترنجبين: طلّ يقع من السماء، وهو ندى شبيه بالعسل جامد متحبّب. تأويله عسل الندى، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الحاج. (المعتمد في الأدوية المفردة ٣٥).

(٤) البقرة/٦٠.

(٥) في النسخة (ب): «عليهم».

(٦) البقرة/٦١.

(٧) الطبري ١/٤٢٩ ـ ٤٣١، عرائس المجالس ١٩٢، ١٩٣.

(٨) الطبري ١/٤٣١.

فلمّا رآه هارون أعجبه، قال: يا موسى إنّي أريد أن أنام على هذا السرير. فقال له موسى: نمْ. قال: إنّي أخاف ربَّ هذا البيت أن يأتي فيغضب عليّ. قال موسى: لا تخف أنا أكفيك. قال: فنمْ معي. فلمّا ناما أخذ هارونَ الموتُ، فلمّا وجد حسّه قال: يا موسى خدعتني! فتُوُفّي ورُفع على السرير إلى السماء. ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فقال له بنو إسرائيل: إنّك قتلتَ هارونَ لحبّنا إيّاه. فقال: ويحكم أفترون أنّي أقتل أخي! فلمّا أكثروا عليه صلّى ودعا الله، فنزل بالسرير حتى نظروا إليه ما بين السماء والأرض، فأخبرهم أنّه مات، وأنّ موسى لم يقتله، فصدّقوه، وكان موته في التيه[1].

---

(١) الطبري ١/٤٣٢، وانظر عرائس المجالس ١٩٥ ومرآة الزمان ١/٤٤١ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. (٢/٥٧٩).

ذكر وفاة موسى عليه السلام[1]

قيل: بينما موسى، عليه السلام، يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه، إذ أقبلت ريح سوداء، فلمّا نظر إليها يوشع ظنّ أنّها الساعة، فالتزم موسى وقال: لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبيَّ الله. فاستلّ موسى من تحت القميص، وبقي القميص في يدي يوشع. فلمّا جاء يوشع بالقميص أخذه بنو إسرائيل وقالوا: قتلتَ نبيَّ الله! فقال: ما قتلتُه ولكنّه استُلّ مني. فلم يصدّقوه. قال: فإذا لم تصدّقوني فأخّروني ثلاثة أيّام، فوكّلوا به مَنْ يحفظه، فدعا الله، فأُتِيَ كلّ رجل كان يحرسه في المنام، فأُخبر أنّ يوشع لم يقتل موسى، وأَنَّا [قد] رفعناه إلينا، فتركوه[2].

وقيل: إنّ موسى كره الموت، فأراد الله أن يحبّب إليه الموت، فأوحى الله إلى يوشع بن نون، وكان يغدو عليه ويروح، ويقول له موسى: يا نبيّ الله ما أحدث الله إليك؟ فقال له يوشع بن نون: يا نبيّ الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فهل كنتُ أسألك عن شيءٍ ممّا أحدث الله لك؟ ولا يذكر له شيئاً. فلمّا رأى موسى ذلك كره الحياة وأحبّ الموت[3].

وقيل: إنّه مرّ منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً، فعرفهم فوقف عليهم، فلم يرَ أحسن منه، ولم يرَ مثل ما فيه من الخُضْرة والبهجة. فقال لهم: يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ فقالوا: نحفره لعبدٍ كريم على ربّه. فقال: إنّ هذا العبد له منزلُ كريم ما رأيتُ مضجعاً ولا مدخلاً مثله. فقالوا: أتحبّ أن يكون لك؟ قال: وددتُ. قالوا: فانزل واضطَّجع فيه، وتوجّه إلى ربّك، وتنفّس أسهل تنفّس تتنفّسه. فنزل فيه وتوجّه إلى ربّه ثمّ تنفّس، فقبض الله روحه ثمّ سوّت الملائكة عليه التراب[4].

---

(١) الطبري ١/٤٣٢، عرائس المجالس ١٩٤، مرآة الزمان ١/٤٤٢، نهاية الأرب ١٣/٢٧٥، تاريخ اليعقوبي ١/٤٥، المعارف ٤٤، البداية والنهاية ١/٣١٦.

(٢) الطبري ١/٤٣٢، ٤٣٣.

(٣) الطبري ١/٤٣٣.

(٤) الطبري ١/٤٣٣، ٤٣٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٠.

وكـان، صلّى الله عليه وسلّم، زاهـداً في الدنيـا راغباً فيمـا عنـد الله[١]، إنّمـا كـان يستظلّ في عريش، ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعاً إلى الله تعالى[٢].

وقال النبيّ، ﷺ: «إنّ الله أرسل مَلَكَ الموت ليقبض روحه، فلطمه ففقأ عينه، فعاد وقال: يا ربّ أرسلتني إلى عبد لا يحبّ الموت. قال الله: ارجعْ له وقلْ له يضع يده على ظهر ثور، وله بكلّ شعرة تحت يده سنة، وخيِّره بين ذلك وبين أن يموت الآن. فأتاه مَلَكُ الموت وخيَّره، فقال له: فما بعد ذلك؟ قال: المـوت. قال: فـالآن إذن. فقبض روحه». وهذا القول صحيح قد صحّ النقل به عن النبيّ، ﷺ[٣]، فكان موته في التيه أيضاً.

وقيل: بل هو الذي فتح مدينة الجبّارين على ما نذكره.

وكان جميع عمر موسى مائة وعشـرين سنة، من ذلـك في ملك أفريـدون عشرون، وفي ملك مِنـوجهر[٤] مـائة سنـة، وكان ابتـداء أمـره منـذ بعثـه الله إلى أن قبضـه في ملك مِنوجِهر[٥].

ثمّ نُبّيء بعـده يوشـع بن نـون، فكـان في زمن مِنُـوجِهـر عشـرين سنـة، وفي زمن أفراسياب سبع سنين.

---

(١) الطبري ١/٤٣٤ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٠.

(٢) الطبري ١/٤٣٣ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٠.

(٣) أخرجه البخـاري في الجنائـز ٦٩، ومسلم في الفضائـل ١٥٧، ١٥٨، والحاكم في المستـدرك ٢/٥٧٨ من طريق عليّ بن جمشاد العدل، عن حمّاد بن سلمـة، عن عمار بن أبي عمـار، عن أبي هريـرة، وقال: هـذا حديث صحيح على شـرط مسلم ولم يخرجـاه، وأخرجـه أحمد في المسنـد ٢/٢٦٩، و ٣١٥ وانظر تـاريخ الطبري ١/٤٣٤، ومرآة الزمان ١/٤٤٢، وعرائس المجالس ١٩٤.

(٤) في تاريخ الطبري، ومرآة الزمان «منوشهر».

(٥) الطبري ١/٤٣٤، مرآة الزمان ١/٤٤٤.

ذكر يوشع بن نون عليه السلام[1]
وفتح مدينة الجبّارين

لما توفّي موسى، بعث الله يوشع بن نون بن إفرائيم[2] بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، نبيّاً إلى بني إسرائيل وأمره بالمسير إلى أريحا مدينة الجبّارين، واختلف العلماء في فتحها على يد مَنْ كان.

فقال ابن عبّاس: إنّ موسى وهارون تُوُفّيا في التيه، وتوفّي فيه كلّ مَنْ دخله، وقد جاوز العشرين سنة، غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا[3]، فلمّا انقضى أربعون سنة أوحى الله إلى يوشع بن نون فأمره بالمسير إليها وفتْحها، ففتحها[4]. ومثله قال قتادة والسُّدّيّ وعِكْرِمة.

وقال آخرون: إنّ موسى عاش حتى خرج من التّيهِ، وسار إلى مدينة الجبّارين، وعلى مقدّمته يوشع بن نون ففتحها؛ وهو قول ابن إسحاق[5].

قال ابن إسحاق: سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبّارين، فقدّم يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا، وهو صهره على أخته مريم بنت عمران، فلمّا بلغوها اجتمع الجبّارون إلى بلعم بن باعور، وهو من ولد لوط، فقالوا له: إنّ موسى قد جاء ليقتلنا ويُخرجنا من ديارنا فَادْعُ الله عليهم. وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم، فقال لهم: كيف أدعو على نبيّ الله والمؤمنين ومعهم الملائكة! فراجعوه في ذلك، وهو يمتنع عليهم، فأتوا امرأته وأهدوا لها هديّة، فقبلتْها، وطلبوا إليها أن تحسّن لزوجها أن يدعو

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٣٥، عرائس المجالس ١٩٥، ١٩٦، مرآة الزمان ١/٤٥٢، الكسائي ٢٤٠، ابن وثيمة ٥١، تاريخ اليعقوبي ١/٤٦، البدء والتاريخ ٣/٩٦، المعارف ٤٤، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٧٩، مروج الذهب ١/٥٠ تاريخ مختصر الدول ٢١، نهاية الأرب للنويري ١٤/١ البداية والنهاية ١/٣١٩، العهد القديم ـ سفريشوع ـ الإصحاح الأول ـ ص ٣٣٧.

(٢) يُقال «إفرائيم» و«إفراييم» و«إفرايم». وفي مرآة الزمان ١/٤٥٢ «افراثم» بالثاء، وهو تحريف.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٤٣٧: «كلاب بن يوفنّة».

(٤) الطبري ١/٤٣٥ والمثبت يتفق مع المقدسي في البدء والتاريخ ٣/٩٧.

(٥) الطبري ١/٤٣٦.

على بني إسرائيل، فقالت له في ذلك، فامتنع، فلم تزل به حتى قال: أستخير الله. فاستخار الله تعالى، فنهاه في المنام، فأخبرها بذلك، فقالت: راجع ربّك. فعاود الاستخارة فلم يُرد إليه جواب. فقالت: لو أراد ربّك لنهاك، ولم تزل تخدعه حتى أجابهم، فركب حماراً له متوجّهاً إلى جبل مشرف على بني إسرائيل، ليقف عليه ويدعو عليهم، فما سار عليه إلّا قليلاً حتى ربض الحمار، فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه، فسار به قليلاً فبرك، فعل ذلك ثلاث مرّات، فلمّا اشتدّ ضرْبه في الثالثة أنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب؟ أما ترى الملائكة تردّني؟ فلم يرجع، فأطلق الله الحمارَ حينئذٍ، فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل، فكان كلّما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم، وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم، فقالوا له في ذلك، فقال: هذا شيء غَلَبَنا الله عليه، واندلع لسانُه فوقع على صدره، فقال: الآن قد ذهبت منّي الدنيا والآخرة، ولم يبقَ غير المكر والحيلة.

وأمرهم أن يزيّنوا نساءهم، ويعطوهنّ السلع للبيع، ويرسلوهنّ إلى العسكر، ولا تمنع امرأة نفسها ممّن يريدها. وقال: إن زنَى منهم رجل واحد كُفيتموهم، ففعلوا ذلك، ودخل النساء عسكرَ بني إسرائيل، فأخذ زمرى بن شلوم، وهو رأس سِبط شمعون بن يعقوب، امرأة وأَتَى بها موسى فقال له: أظنّك تقول هذا حرام، فوالله لا نطيعك، ثمّ أدخلها خيمته فوقع عليها، فأنزل الله عليهم الطاعون، وكان فنحاص بن العزار[1] بن هارون صاحب أمر[2] عمّه موسى غائباً، فلمّا جاء رأى الطاعون قد استقرّ في بني إسرائيل، وأُخبر الخبر. وكان ذا قوّة وبطش، فقصد زمرى، فرآه وهو مضاجع المرأة، فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما، ورُفع الطاعون، وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفاً، وقيل: سبعون ألفاً، فأنزل الله في بلعم: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ**﴾[3].

ثمّ إنّ موسى قدّم يوشع إلى أريحا في بني إسرائيل، فدخلها وقتل بها الجبّارين، وبقيت منهم بقيّة، وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي أن يدركهم اللّيل فيُعْجِزوه، فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم[4] الشمس، ففعل وحبسها حتى استأصلهم، ودخلها موسى، فأقام بها ما شاء الله أن يقيم، وقبضه الله إليه، لا يعلم بقبره أحد من الخلق[5].

---

(١) في تاريخ الطبري ١/٤٣٩ «العيزار».

(٢) في النسخة (ب): «امرأة» وهو وهْم.

(٣) الأعراف/١٧٥.

(٤) في النسخة (ب): «عليه».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٣٧ - ٤٣٩.

وأمّا مَن زعم أنّ موسى كان قد توفّي قبل ذلك فقال: إنّ الله أمر يوشع بالمسير إلى مدينة الجبّارين، فسار ببني إسرائيل، ففارقه رجل يقال له بلعم بن باعور، وكان يعرف الاسم الأعظم، وساق من حديثه نحو ما تقدّم.

فلمّا ظفر يوشع بالجبّارين أدركه المساء ليلة السبت، فدعا الله فردّ الشمس عليه، وزاد في النهار ساعة، فهزم الجبّارين، ودخل مدينتهم، وجمع غنائمهم ليأخذها القربان، فلم تأتِ النّار، فقال يوشع: فيكم غلول[1] فبايعوني، فبايعوه، فلصقت يده في يد مَنْ غلّ، فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت، فجعله في القربان، وجعل الرجل معه، فجاءت النّار فأكلتهما[2].

وقيل: بل حصرها ستّة أشهر، فلمّا كان السابع تقدّموا إلى المدينة وصاحوا صيحةً واحدةً، فسقط السور، فدخلوها وهزموا الجبّارين[3]، وقتلوا فيهم فأكثروا[4].

ثمّ اجتمع جماعة من ملوك الشام، وقصدوا يوشع، فقاتلهم وهزمهم، وهرب الملوك إلى غار، فأمر بهم يوشع بن نون فقُتلوا وصُلبوا. ثمّ ملك الشام جميعه، فصار لبني إسرائيل، وفرّق عمّاله فيه. ثمّ توفّاه الله فاستخلف على بني إسرائيل كالب بن يوفنّا.

وكان عمر يوشع مائة وستّاً وعشرين سنة، وكان قيامه بالأمر بعد موسى سبعاً وعشرين سنة[5].

وأمّا مَنْ بقي من الجبّارين، فإنّ إفريقش[6] بن قيس بن صيفيّ بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان مرّ بهم متوجّهاً إلى إفريقية، فاحتملهم من سواحل الشام، فقدِم بهم إفريقية، فافتتحها، وقتل ملكها جرجير[7] وأسكنهم إيّاها، فهم البرابرة.

وأقام من حِمْيَر في البربر صنْهاجَة وكُتَامة، فهم فيهم إلى اليوم[8].

---

(١) في النسخة (ر): «إن فيكم غلولاً».
(٢) الطبري ١/٤٤٠.
(٣) في النسخة (ر) زيادة: «أقبح هزيمة».
(٤) الطبري ١/٤٤١.
(٥) الطبري ١/٤٤٢.
(٦) في تاريخ الطبري ١/٤٤٢ «إفريقيس».
(٧) في النسخة (ب): «ابن حمير» وقد رُسمت «برحير».
(٨) الطبري ١/٤٤٢.

ذكر أمر قارون[1]

وكان قارون بن يصهر بن قاهث، وهو ابن عمّ موسى بن عمران بن قاهث.

وقيل: كان عمّ موسى؛ والأوّل أصحّ.

وكان عظيم المال كثير الكنوز.

قيل: إنّ مفاتيح خزائنه كانت تُحمل على أربعين بغلاً[2]، فبغى على قومه بكثرة ماله، فوعظوه ونهوه، وقالوا له ما قصّ الله تعالى في كتابه: ﴿لا تَفْرَحْ إنّ الله لاَ يُحِبُّ الفَرِحِينَ، وَآبْتَغِ فِيمَا آتاكَ الله الدّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأحْسِنْ كَمَا أحْسَنَ الله إلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ في الأرْضِ إنّ الله لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾[3]؛ فأجابهم جواب مغترٍّ لحلم الله عنه فقال: إنّما أوتيتُه، يعني المال والخزائن، على عِلمٍ عندي.

قيل على خبرٍ ومعرفة منّي.

وقيل: لولا رِضى الله عنّي ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا.

فلم يرجع عن غيّه، ولكنّه تمادى في طغيانه، حتى ﴿خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ في زِينَتِهِ﴾[4]، وهي أنّه ركب بِرْذَوْناً أبيض بمراكب الأرجوان المذهبّة، وعليه الثياب المعصفرة، وقد حمل معه ثلاثمائة جارية على مثل برذونِهِ، وأربعة آلاف من أصحابه، وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب، وعمل لها باباً من ذهب، فتمنّى أهلُ الغفلة والجهل مثل ماله، فنهاهم أهل العلم بالله[5].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٤٣، وعرائس المجالس ١٦٧، البدء والتاريخ ٣/٨٦، تفسير الطبري (سورة القَصَص)، زاد المسير ٦/٢٣٩ ـ ٢٤٥، الدّرر المنثور/١٣٦، مرآة الزمان ١/٤٤٩، نهاية الأرب ١٣/٢٣٢، تفسير ابن كثير ٥/٢٩٧، البداية والنهاية ١/٣٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ١/٤٤٥، تفسير الطبري ٢٠/٦٨ وقيل كانت تُحمَل على ستين بغلاً.

(٣) القصص/٧٦ ـ ٧٧.

(٤) القصص/٧٩.

(٥) الطبري ١/٤٤٦.

وأمره الله تعالى بالزكاة، فجاء إلى موسى من كلّ ألف دينارٍ دينارٌ، وعلى هذا من كلّ ألف شيءٍ شيءٌ، فلمّا عاد إلى بيته وجده كثيراً، فجمع نفراً يثق بهم من بني إسرائيل فقال: إنّ موسى أمركم بكلّ شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أخْذَ أموالكم. فقالوا: أنت كبيرنا وسيّدنا فمُرنا بما شئتَ. فقال: آمركم أن تُحضِروا فلانة البَغِيّ، فتجعلوا لها جُعلاً فتقذفه بنفسها، ففعلوا ذلك، فأجابتهم إليه.

ثمّ أتى موسى فقال: إنّ قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم. فخرج إليهم فقال: من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومَن زنَى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة، وإن كانت له امرأة رجمناه حتى يموت. فقال له قارون: وإن كنتَ أنتَ؟ فقال: نعم. قال: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنّك فَجَرْتَ بفلانة. فقال: ادعوها فإنْ قالت فهو كما قالت.

فلمّا جاءت قال لها موسى: أقسمتُ عليك بالذي أنزل التوراة إلّا صدقتِ: أنا فعلتُ بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، كذبوا، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن أقذفك. فسجد ودعا عليهم، فأوحى الله إليه: مُرِ الأرضَ بما شئتَ تُطِعْك. فقال: يا أرض خُذيهم[1].

وقيل: إنّ هذا الأمر بلغ موسى، فدعا الله تعالى عليه، فأوحى الله إليه: مُرِ الأرضَ بما شئتَ تُطِعْك. فجاء موسى إلى قارون، فلمّا دخل عليه عرف الشرّ في وجهه فقال له: يا موسى ارحمني. فقال موسى: يا أرض خُذيهم. فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبَين، وجعل يقول: يا موسى ارحمني. قال: يا أرض خذيهم. فأخذتهم إلى رُكَبُهم. فلم يزل يستعطفه وهو يقول: يا أرض خذيهم، حتى خسف بهم، فأوحى الله إلى موسى: ما أفظّك! أما وعزّتي لو إيّاي نادى لأجبته، ولا أعيد الأرض تُطيع أحداً أبداً بعدك، فهو يخسف به كلّ يوم[2]، فلمّا أنزل الله نقمته حمدَ المؤمنونَ الله، وعرف الذين تمنّوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا[3].

---

(١) الطبري ١/٤٤٧ وانظر عرائس المجالس ١٦٩، ١٧٠.

(٢) في النسختين (ب) و(ر): «كل يوم قامة».

(٣) عرائس المجالس ١٧٠، تاريخ الطبري ١/٤٥٠.

ذكر من ملك من الفرس بعد مِنُوجِهْر[1]

لما هلك مِنُوجِهرْ ملك فارس، سار أفراسياب[2] بن فشنج بن رستم ملك الترك إلى مملكة الفرس، واستولى عليها، وسار إلى أرض بابل، وأكثر المقام بها، وبِمِهْرِجانقذَقَ[3]، وأكثر الفساد في مملكة فارس، وعظُم ظلمُه، وأخرب ما كان عامراً، ودفن الأنهار والقِنيّ، وقحط النّاس سنة خمسٍ من ملكه، إلى أن خرج عن مملكة فارس، ولم يزل النّاس منه في أعظم البليّة إلى أنّ ملك زوّ بن طهْماسَب.

وكان مِنُوجِهر قد سخط على ولده طهْماسَب ونفاه عن بلاده، فأقام في بلاد الترك عند ملِكٍ لهم يقال لهم وامن، وتزوّج ابنته، فولدت له «زوّ بن طهْماسَب»، وكان المنجّمون قد قالوا لأبيها: إن ابنته تلد ولداً يقتله، فسجنها، فلمّا تزوّجها طهْماسَب وولدت منه، كتمت أمرَها وولدها، ثمّ إنّ مِنوجِهر رضي عن طهْماسَب وأحضره إليه، فاحتال في إخراج زوجته وابنه زوّ من محبسهما، فوصلت إليه.

ثمّ إنّ زوّاً فيما ذُكر قتل جدّه، وأمَّن في بعض الحروب [التُّرك]، وطرد أفراسيابَ التركيّ عن مملكة فارس، حتى ردّه إلى الترك بعد حروبٍ جرت بينهما، فكانت غَلَبَة أفراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرة سنة، من لدن توفّي مِنوجِهر، إلى أن أخرجه عنها زوّ، وكان إخراجه عنها في روزابان من شهر ابان ماه، فاتّخذ لهم هذا اليوم عيداً، وجعلوه الثالث لعيدَيهم النوروز والمِهرجان.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١٥٨/١، تاريخ الطبري ٤٥٣/١، مروج الذهب ٢٢٤/١، أخبار الزمان للمسعودي ١٠١، البدء والتاريخ للمقدسي ١٤٧/١، تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ١٤، نهاية الأرب للنويري ١٤٩/١٥، تاريخ الخميس ١٦٢/١.

(٢) في تاريخ الطبري ٤٥٣/١، ومروج الذهب ٢٢٥/١ «فراسياب» من غير ألف في أوله، والمثبت يتفق مع تاريخ اليعقوبي، وتاريخ سنيّ الملوك، والبدء والتاريخ.

(٣) مِهْرِجان قَذَق: ثلاث كلمات، بكسر أوله، وسكون ثانيه ثم راء. فهذا معناه الشمس أو المحبّة والشفقة، ثم جيم، وبعد الألف نون. وهذا معناه النفس أو الروح، ثم قاف مفتوحة وقد تُضَمّ، وذال معجمة وقاف أخرى. كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حُلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال. (معجم البلدان ٢٣٣/٥).

وكان زوّ محموداً في ملكه، محسناً إلى رعيّته، فأمر بإصلاح ما كان أفراسياب أفسده من مملكتهم، وبعمارة الحصون، وإخراج المياه التي غوّر طُرُقها، حتى عادت البلادُ إلى أحسنَ ما كانت، ووضع عن النّاسِ الخراج سبع سنين، فعمرتِ البلادُ في ملكه، وكثُرت المعايشُ، واستخرج بالسواد نهراً وسمّاه الزاب[1]، وبنى عليه مدينة، وهي التي تسمّى العتيقة، وجعل لها طسّوج[2] الزاب الأعلى، وطسّوج الزاب الأوسط، وطسّوج الزاب الأسفل، وكان أوّل من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة، وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم.

وكان جميع ملكه إلى أن انقضت مدّته ثلاثَ سنين.

وكان كرشاسب بن أنوط[3] وزيره في ملكه ومُعينه فيه.

وقيل: كان شريكه في الملك؛ والأوّل أصحّ؛ وكان عظيم الشأن في فارس إلاّ أنّه لم يملك[4].

---

(١) أنظر مادّة «الزاب» في معجم البلدان ٣/١٢٣.

(٢) الطسُّوج: فارسيّ معرَّب بمعنى الناحية.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٤٥٥ «أثرط»، والمثبت يتفق مع نسختين أُخريين من تاريخ الطبري. أنظر الحاشية رقم (٤).

(٤) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٥٣ - ٤٥٦.

ذكر ملك كَيْقَبَاذ[1]

ثمّ ملك بعد زوّ كَيْقَبَاذ بن راع[2] بن ميسرة[3] بن نوذر[4] بن مِنُوجِهر[5]، وقدّر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرض، وسمّى البلادَ بأسمائها، وحدّها بحدودها، وكوّر الكُوَر، وبيّن حيّز كلّ كورة، وأخذ العُشر من غلّاتها لأرزاق الجند، وكان ـ فيما ذُكر ـ كيقباذ حريصاً على عمارة البلاد، ومنعها من العدوّ، كثير الكنوز.

وقيل: إنّ الملوك الكيانيّة[6] وأبناءَهم من نسله.

وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة، فكان مقيماً بالقرب من نهر بَلْخ، وهو جَيْحُون، لمنع الترك من تطرّق شيءٍ من بلاده[7].

وكان ملكه مائة سنة[8].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٥٦، البدء والتاريخ للمقدسي ٣/١٤٧، تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، مروج الذهب ١/٢٢٦، نهاية الأرب ١٥/١٥٠، تاريخ الخميس ١/١٦٢.

(٢) في النسخة (ر): «راع». وفي تاريخ الطبري ١/٤٥٦ «زاغ».

(٣) في تاريخ الطبري «منشو».

(٤) في النسخة (ر): «نودرر».

(٥) في تاريخ الطبري: «كيقباذ بن زاغ بن نوحياه بن منشو بن نوذر بن منوشهر».

(٦) في تاريخ الطبري «الكيية».

(٧) الطبري ١/٤٥٦.

(٨) تاريخ اليعقوبي ١/١٥٨، البدء والتاريخ ٣/١٤٧، تاريخ الطبري ١/٤٥٦.

ذكر الأحداث في بني إسرائيل في عهد زو وكَيْقَبَاذ ونُبوة حِزْقِيل

لما توفّي يوشع بن نون قام بأمر بني إسرائيل بعده كالب بن يوفنّا، ثمّ حِزْقِيل بن نورى[1]، وهو الذي يقال له ابن العجوز، وإنّما قيل له ذلك لأنّ أمّه سألت الله الولدَ وقد كَبُرَت، فوهبه الله لها، وهو الذي دعا للقوم الموتَى فأحياهم الله.

وكان سبب ذلك: أنّ قرية يقال لها دَاوَرْدان[2] وقع بها الطاعون، فهرب عامّة أهلها ونزلوا ناحية، فهلك أكثر من بقي بالقرية، وسلِم الآخرون، فلمّا ارتفع الطاعون رجعوا. فقال الذين بقوا: أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منّا، ولو صنعنا كما صنعوا بقينا. فوقع الطاعون من قابل[3]، فهرب عامّة أهلها، وهم بضعة وثلاثون ألفاً، وقيل: ثلاثة آلاف، وقيل: أربعة آلاف، وقيل غير ذلك، حتى نزلوا ذلك المكان، فصاح بهم ملَك فماتوا ونخرت عظامهم، فمرّ بهم حزقيل[4] فلمّا رآهم جعل يتفكّر في بعثهم، فأوحى الله إليه: أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم. فقيل: نادِ، فنادى: يا أيّتها العظام البالية إنّ الله يأمرك أن تجتمعي، فجعلت العظامُ تطير بعضها إلى بعض، حتى صارت أجساداً من عظام. ثمّ نادى: يا أيّتها العظام إنّ الله أمرك أن تكتسي [فاكتست][5] لحماً ودماً وثيابها التي ماتت فيها. ثمّ نادى: يا أيّتها الأرواح إنّ الله يأمرك أن تعودي إلى أجسادك. فعادت وقامت الأجسادُ أحياء، وقالوا حين أُحيوا: سبحانك ربّنا وبحمدك لا إله إلّا أنت! فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنّهم كانوا موتَى، سُحْنَة الموت على وجوههم، لا يلبسون ثوباً إلّا عاد كَفَناً دسماً، ثمّ ماتوا، ثمّ مات حِزْقِيل؛ ولم تُذكر مدّته في بني إسرائيل.

---

(١) في تاريخ الطبري ١/٤٥٧ «بُوذَى».

(٢) في النسخة (ب): «واوودان»، وفي (ت): «اوودان»، وفي (ر): «راوودان»، وفي الطبعتين الأوربية وصادر ١/٢١٠: «راوردارة»، وقد أثبتنا ما جاء في تاريخ الطبري ١/٤٥٨ حيث يتفق مع معجم البلدان لياقوت ٢/٤٣٤ الذي ضبطها: بفتح الواو، وسكون الراء وآخره نون. من نواحي شرقي واسط بينهما فرسخ. ثم ذكر قصة الطاعون وحزقيل.

(٣) في النسخة (ب): «في بابل»، والمثبت يتفق مع الطبري وفيه «في قابل».

(٤) في تاريخ الطبري «هزفيل»، والمثبت يتفق مع تفسير الطبري ٥/٤٦٨.

(٥) في طبعة أوربة، وصادر: «فالبست» وأثبتنا ما يتفق مع الطبري.

وقيل: كانوا قوم حِزْقِيل، فلمّا أن ماتوا بكى حِزْقِيل وقال: يا ربّ كنتُ في قومٍ يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيداً! فقال الله: أتحبّ أن أحييهم؟ قال: نعم. قال: فإنّي قد جعلتُ حياتهم إليك. فقال حزقيل: احيوا بإذن الله تعالى، فعاشوا[1].

---

(١) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٥٧ ـ ٤٦٠، وفي تفسيره ٥/٢٧٢، ٢٧٣، وفي نهاية الأرب ١٤/٦ ـ ٩، وفي مرآة الزمان ١/٤٥٤ ـ ٤٥٦.

ذكر إلياس عليه السلام[1]

لما توفّي حزقيل كثرت الأحداثُ في بني إسرائيل، وتركوا عهدَ الله وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فِنْحاص بن العزار[2] بن هارون بن عمران نبيّاً.

وكان الأنبياء في بني إسرائيل بعد موسى بن عمران يُبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة.

وكان إلياس مع ملك من ملوكهم يقال له أَخاب[3]، وكان يسمع منه ويصدقه، وكان إلياس يقيم له أمره، وكان بنو إسرائيل قد اتّخذوا صنماً يعبدونه يقال له بعل، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله وهم لا يسمعون إلاّ من[4] ذلك الملك، وكان ملوك بني إسرائيل متفرّقة، كلّ ملك قد تغلّب على ناحية يأكلها، فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه: والله ما أرى الذي تدعو إليه إلاّ باطلاً لأنّي أرى فلاناً وفلاناً - يعدّ ملوك بني إسرائيل - قد عبدوا الأوثان فلم يضرّهم ذلك شيئاً، يأكلون ويشربون ويتمتّعون، ما يُنقص ذلك من دنياهم، وما نرى لنا عليهم من فضل.

ففارقه إلياس وهو يسترجع، فعبد ذلك الملك الأوثان أيضاً، وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم إيمانه، وله بستان إلى جانب دار الملك والملك يحسن جواره، وللملك زوجة عظيمة الشرّ والكفر، فقالت له: ليأخذ بستان الرجل، فلم يفعل، فكانت تخلف زوجها إذا سار عن بلده وتظهر للنّاس، فغاب مرّة، فوضعت امرأته على صاحب البستان مَنْ شهد عليه أنّه سبّ الملك، فقتلته وأخذت بستانه، فلمّا عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت: فات أمره. فأوحى الله إلى إلياس يأمره أن يقول للملك وامرأته أن يردّا البستان على وَرَثَة صاحبه، فإن لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما في

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٦١، عرائس المجالس ١٩٨، الكسائي ٢٤٣، ابن وثيمة ٦٣، تهذيب تاريخ دمشق ٩٨/٣، مرآة الزمان ٤٥٩/١، نهاية الأرب ٩/١٤، البدء والتاريخ ٩٩/٣، البداية والنهاية ٣٢٥/١، المعارف لابن قتيبة ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ١/٤٦١ وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٢ «اليعازر». «والعيزار».

(٣) في الأصل «أجاب» وفي تاريخ الطبري «أحاب».

(٤) «من» مستدركة من النسخة (ر).

البستان، ولم يتمتّعا به إلاّ قليلاً. فأخبرهما إلياس بذلك، فلم يراجعا الحقّ.

فلمّا رأى إلياس أنّ بني إسرائيل قد أبوا إلاّ الكفرَ والظُلْمَ دعا عليهم، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، فهلكتِ الماشيةُ والطيورُ والهوامّ والشجر، وجهد النّاسُ جهداً شديداً، واستخفى إلياس خوفاً من بني إسرائيل، فكان يأتيه رزقُه، ثمّ إنّه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له أليسع بن أخطوب[1]، به ضرّ شديد، فدعا له فعوفي من الضرّ الذي كان به، واتّبع إلياس، وكان معه وصَحِبَه وصدّقه، وكان إلياس قد كبر، فأوحى الله إليه: إنّك قد أهلكتَ كثيراً من الخلق من البهائم والدوابّ والطير وغيرها، ولم يعصِ سوى بني إسرائيل. فقال إلياس: أي ربّي، دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وأبتهج بالفرج لعلّهم يرجعون. فجاء إلياس إليهم وقال لهم: إنّكم قد هلكتم وهلكت الدوابّ بخطاياكم، فإن أحببتم أن تعلموا أنّ الله ساخط عليكم بفعلكم، وأنّ الذي أدعوكم إليه هو الحقّ، فاخرجوا بأصنامكم وادعوها، فإن استجابت لكم، فذلك الحقّ كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنّكم على باطل فنزعتم ودعوتُ الله ففرَّج عنكم.

قالوا: أنصفتَ: فخرجوا بأصنامهم فدعوها، فلم يُستجب لهم، ولم يفرَّج عنهم. فقالوا: لإلياس: إنّا قد هلكنا فادعُ الله لنا. فدعا لهم بالفرج وأن يُسقوا، فخرجت سحابةٌ مثل الترس، وعظُمت وهم ينظرون، ثمّ أرسل الله منها المطرَ، فحييت بلادُهم، وفرَّج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا[2] ولم يراجعوا الحقّ، فلمّا رأى ذلك إلياس سأل الله أن يقبضه فيُريحه منهم، فكساه الله الرِّيشَ، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، فصار ملكيّاً إنسيّاً سماويّاً أرضيّاً[3].

وسلّط الله على الملك وقومه عدوّاً فظفر بهم، وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما[4].

---

(١) يقال إن اليسع هو: ذو الكِفْل، وقيل هو الخضر، وقيل هو ابن العجوز. (البدء والتاريخ ٣/١٠٠).

(٢) في النسخة (ب): «يرتدوا»، والمثبت عن النسخ الأخرى، والطبري ١/٤٦٣.

(٣) الخبر في تفسير الطبري ٢٣/٦٠، وتاريخ الطبري ١/٤٦٢ - ٤٦٤، والبدء والتاريخ ٣/٩٩، ١٠٠، وعرائس المجالس ٢٠٤، ٢٠٥، ونهاية الأرب ١٤/٢٦، ٢٧.

(٤) نهاية الأرب ١٤/٢٨.

ذِكر نُبوة أليَسَع عليه السلام[1]
وأخْذ التابوت من بني إسرائيل

فلمّا انقطع إليـاس عن بني إسرائيـل بعث الله أليَسَع، فكـان فيهم ما شـاء الله، ثمّ قبضه الله وعظمت فيهم الأحداث، وعندهم التابوت يتـوارثونـه، فيه السكينـة، وبقيّةٌ ممّـا ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، فكانوا لا يلقاهم عـدوّ فيقدّمـون التابـوت إلّا هزم الله العدوّ، وكانت السكينة شبه رأس هرّ، فإذا صرخت في التابوت بصراخ هرّ أيقنـوا بالنصر وجاءهم الفتحُ.

ثمّ خلف فيهـا ملك يقال لـه إيـلاف، وكـان الله يمنعهم ويحميهم، فلمّـا عـظمت أحـداثُهم نزل بهم عـدوّ فخرجـوا إليه وأخـرجوا التـابوت، فـاقتتلوا، فغلبهم عدوّهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا، فلمّا علم ملكُهم أنّ التابوت أُخِذ مات كَمَداً، ودخل العدوّ أرضهم ونهب وسبَى وعاد، فمكثوا على اضـطّرابٍ من أمرهم واختـلاف، وكانـوا يتمادون أحياناً في غيّهم، فيسلّط الله عليهم مَن ينتقم منهم، فإذا راجعوا التوبةَ كفّ الله عنهم شـرّ عدوّهم، فكان هذا حالهم من لَدُن تُوفّي يوشع بن نون إلى أن بعث الله اشمويـل وملكهم طالوت وردّ عليهم التابوت[2].

وكـانت مدّة مـا بين وفاة يـوشع، الـذي كان يلي أمرَ بني إسرائيـل بعضها القضـاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلّبون إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوّة إلى اشمـويل، أربعمائة سنة وستّين سنة[3].

فكان أوّل من سُلّط عليهم رجل من نسل لوط يقـال له كـوشان(*)، فقهـرهم وأذلّهم

---

(١) عرائس المجالس ٢٠٥ ـ ٢٠٧، تاريخ الطبري ١/٤٦٤، المعـارف ٥٢، البدء والتـاريخ ٣/١٠٠، مـرآة الزمـان ١/٤٦٦، نهاية الأرب ١٤/٢٨، البداية والنهاية ٢/٤.

(٢) الخبـر في تفسير الـطبري ٥/٢٩٥، ٢٩٦، وتـاريخ الـطبري ١/٤٦٤، ٤٦٥ وانـظر مرآة الـزمان ١/٤٦٦، تاريخ سنيّ ملوك الأرض للأصفهاني ٧٩.

(٣) الطبري ١/٤٦٥.

(*) يقال: «كوشان الأثيم» (مروج الذهب ١/٥٣).

ثماني سنين، ثمّ أنقذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال لـه عتنيل، فقـام بأمـرهم أربعين سنة[1].

ثمّ سُلّط عليهم ملك يقـال له عجلون[2] فملكهم ثمـانيَ عشرة سنـة، ثمّ استنقـذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ[3]، وقام بأمرهم ثمانين[4] سنة.

ثمّ سُلّط عليهم ملك من الكنعـانيّين يقـال لـه يـابين[5]، فملكهم عشـرين سنـة، واستنقذهم منه امرأة من بني أنبيائهم يقال لها دبـوراً، ودبّر الأمـر رجل من قِبَلِهـا يقال لـه باراق أربعين سنة[6].

ثمّ سُلّط عليهم قوم من نسل لوط، فملكوهم سبع سنين، واستنقذهم رجل يقال لـه جدعون بن يواش من ولد نفتالى بن يعقوب، فدبّر أمرهم أربعين سنة وتوفّي، ودبّر أمرهم بعده ابنه ابيمالخ[7] ثلاث سنين، ثمّ دبّرهم بعده فولع[8] بن فوّا ابن خال ابيمالخ[9]، ويقال إنّه ابن عمّه، ثلاثاً وعشرين سنة، ثمّ دبّر أمرهم بعده رجل يقـال له يـائير اثنتين وعشـرين سنة[10].

ثمّ ملكهم قـوم من أهلِ فلسـطين بني عمون ثمـانيَ عشرة سنـة، ثـم قام بـأمرهم رجـل منهم يقال لـه يفتح ستّ سنين. ثمّ دبّـرهم بعده يبحسـون[11] سبع سنين. ثمّ بعـده آلـون عشر سنين. ثمّ بعـده لتـرون[12]، ويسمّيـه بعضهم عكـرون[13]، ثمـانيَ سنين. ثمّ قهرهم أهلُ فلسطين وملوكهم أربعين سنة. ثمّ وليهم شمسون عشرين سنة. ثمّ بقوا بعـده

---

(١) الطبري ١/٤٦٥، وفي مروج الذهب ١/٥٣ هو «عنيائيل بن يوقنا».

(٢) في الأصل، وفي تاريخ الطبري «جعلون». والمثبت يتفق مع نسخة للطبري. أنظر حاشيـة (٥) من الطبـري ١/٤٦٥، وفي المروج «أعلون» ١/٥٣.

(٣) هو «أهود بن جيرا» وقيل «أعور بن حنا»، أنظر الطبري، المتن والحاشية.

(٤) في النسخة (ت): «ثلثين»، والمثبت يتفق مع الطبري. وعند المسعودي ٥٥ عاماً.

(٥) في الطبري «يافين»، وقيل «يا قيس». والمثبت يتفق مع المسعودي ١/٥٣.

(٦) الطبري ١/٤٦٥، مروج الذهب ١/٥٣.

(٧) في النسختين (ب) و(ت): «اسمل»، وفي تاريخ الطبري «أبيملك» والمثبت يتفق مع المسعودي ١/٥٣.

(٨) في تاريخ الطبري «تولغ»، وفي مروج الذهب ١/٥٤ «تولع».

(٩) في الأصل «أتميل».

(١٠) الطبري ١/٤٦٥، ٤٦٦، وفي مروج الذهب ١/٥٤ «يامين» بدل «يائير».

(١١) في الطبري «يجشون» وفي نسخة أخرى له «يخشون»، وفي طبعة المنيرية من الكامل «يتحسون»، والمثبت عن النسخة الأوربية، وصادر ١/٢١٥ وفي مروج الذهب «نحشون».

(١٢) في الطبري ١/٤٦٦ «كيرون»، وفي نسخة «ليزون»، وفي مروج الذهب ١/٥٤ «عجران».

(١٣) تاريخ المنبجي ١/٧٠.

عشر سنين[1] بغير مدبّر ولا رئيس.

ثمّ قام بأمرهم بعد ذلك عالي الكاهن. وفي أيّامه غلب أهلُ فلسطين على التابـوت في قولٍ، فلمّا مضى من وقت قيامه أربعون سنة بُعث اشمويل[2] نبيّاً فدبّرهم عشر سنين. ثمّ سألوا اشمويل أن يبعث لهم ملكاً يقاتل بهم أعداءهم[3].

---

(١) في النسخة (ت): «عشرين سنة»، والمثبت يتفق مع الطبري ١/٤٦٦.

(٢) في الطبري «شمويل». بحذف الألف من أوله، وفي نسخة «سمويل».

(٣) مجموع هذه الأخبار ينقلها المؤلّف عن الطبري ١/٤٦٥، ٤٦٦ وقارن بما كتبه المسعودي في مروج الذهب ١/٥٣، ٥٤، وابن العبري في تاريخ مختصر الدول ٢٢ ـ ٢٦، واليعقوبي في تاريخه ١/٤٧، ٤٨، والأصفهاني في تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء، ٨٠، ٨١، وتاريخ المنبجي ١/٦٩، ٧٠.

ذكر حال اشمويل وطالوت[1]

كان من خبر اشمويل[2] بن بالي أنّ بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء، وطمع فيهم الأعداء، وأُخذ التابوت منهم، فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلاّ خائفين، فقصدهم جالوت ملك الكنعانيّين، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين، فظفر بهم، فضرب عليهم الجِزية، وأخذ منهم التوراة، فدعوا الله أن يبعث لهم نبيّاً يقاتلون معه، وكان سبط النبوّة هلكوا، فلم يبقَ منهم غير امرأة حُبْلَى، فحبسوها في بيت خيفة[3] أن تلد جارية فتبدّلها بغلام، لِما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فولدت غلاماً سمّته اشمويل، ومعناه: سمع الله دعائي[4].

وسبب هذه التسمية أنّها كانت عاقراً، وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد، فبَغَتْ عليها بكثرة الأولاد، فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً، فرحمَ الله انكسارَها وحاضت لوقتها، وقرب منها زوجها، فحملت، فلمّا انقضت مدّة الحمل ولدت غلاماً فسمّته اشمويل، فلمّا كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلّم التوراة، وكفله شيخ من علمائهم وتبنّاه[5].

فلمّا بلغ أن يبعثه الله نبيّاً أتاه جبرائيلُ وهو يصلّي، فناداه بصوتٍ يشبه صوتَ الشيخ، فجاء إليه، فقال: ما تريد؟ فكره أن يقول: لم أدْعُكَ، فيفزع، فقال: ارجعْ

(١) تاريخ الطبري ١/٤٦٧، عرائس المجالس ٢٠٦ وما بعدها، ابن وثيمة ٨٢، تفسير الطبري ٥/٢٩١ ـ ٣٧٢، زاد المسير ١/٢٩١ ـ ٣٠٠، الدر المنثور ١/٣١٣، مرآة الزمان ١/٤٦٧، نهاية الأرب ١٤/٣٨، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٩٠ (في ترجمة داود عليه السلام) و٧/٤٥، البداية والنهاية ٢/٥، تفسير ابن كثير ١/٥٣٣، البدء والتاريخ ٣/١٠٠، مروج الذهب ١/٥٤، ٥٥ تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٧، تاريخ اليعقوبي ١/٤٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني ٨١.

(٢) هو «صموئيل» في التوراة ـ العهد القديم ـ سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الأول ـ ص ٤٢٦، وتاريخ المنبجي ١/٧٣.

(٣) في النسخة (ت): «رهبة» وكذلك في تاريخ الطبري ١/٤٦٧.

(٤) عبارة الطبري: «فسمّته سمعون تقول: «الله سمع دعائي».

(٥) قارن بعرائس المجالس ٢٠٧.

فنمْ. فرجع، فعاد جبرائيل لمثلها، فجاء إلى الشيخ، فقال له: يا بنيّ عُدْ فإذا دعوتُك فلا تُجبْني. فلمّا كانت الثالثة ظهر له جبرائيل وأمره بإنـذار قومـه وأعلمه أنّ الله بعثـه رسولاً، فدعاهم، فكذّبوه، ثمّ أطاعوه[1].

وأقام يدبّر أمرهم عشر سنين[2].

وقيل: أربعين سنة[3].

وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قـد عظمت نكـايتهم في بني إسرائيـل حتى كادوا يُهلكونهم، فلمّا رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا: ﴿**ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقَاتِلْ في سَبِيـلِ الله. قَالَ: هَلْ عَسَيْتُمْ إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ ألّاَ تُقَاتِلُوا؟ قَالُوا: وَمَا لَنَـا ألّاَ نُقَاتِـلَ في سَبِيلِ الله وَقَـدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وأبْنَائِنَا**﴾[4].

فدعا الله فأرسل إليه عصاً وقرناً فيـه دُهْن، وقيل لـه: إنّ صاحبكم يكـون في طولـه طـولَ هذه العصـا[5]، وإذا دخل عليـك رجل فنشّ الـدُهّن الذي في القـرن فهو ملك بني إسرائيل، فادهن رأسه به وملّكه عليهم، فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها[6].

وكان طالوت دبّاغاً[7].

وقيـل: كان سقّـاء يسقي الماء ويبيعـه، فضلّ حمـاره فانـطلق يطلبـه، فلمّـا اجتاز بالمكان الـذي فيه اشمـويل[8] دخـل يسألـه أن يدعـو له ليـردّ الله حماره، فلمّـا دخل نشّ الدُّهن، فقاسوه بالعصـا فكان مثلهـا[9]، فـ﴿**قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنّ الله قَـدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُـوتَ مَلِكاً**﴾[10].

وهو بالسريانيّة: شاول بن قيس بن أنمـار بن ضرار بن يحـرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق[11].

---

(١) الطبري ١/٤٦٧، ٤٦٨، عرائس المجالس ١٠٨.
(٢) عرائس المجالس ١٠٨.
(٣) مرآة الزمان ١/٤٦٨، عرائس المجالس ١٠٨.
(٤) البقرة/٢٤٦.
(٥) الطبري ١/٤٦٨، عرائس المجالس ٢٠٩.
(٦) الطبري، عرائس المجالس.
(٧) عرائس المجالس ٢٠٩.
(٨) وورد «اشمويال» وهو تصحيف.
(٩) الطبري ١/٤٦٨، عرائس المجالس ٢٠٩.
(١٠) البقرة/٢٤٧.
(١١) اسمـه في عرائس المجـالس ٢٠٩: «شاول بن قيش بن أفيـل بن صـارو بن نحـورت بن أفيـح بن أنيس بن=

فقالوا لـه: ما كنت قطّ أكـذب منك السـاعة، ونحن من سبط المملكـة، ولم يؤتَ طالوت سَعَةً من المال فنتبعه [1].

فقـال اشمـويـل: ﴿إِنَّ اللهَ اصْـطَفَـاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْـطَةً فِي العِلْمِ وَالجِسْمِ﴾[2]. فقالوا: إن كنتَ صادقاً فأتِ بآية. فقال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَـةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلائِكَةُ﴾[3].

والسكينـة رأس هرّ، وقيـل طشت من ذهب يُغسل فيهـا قلوب الأنبيـاء، وقيـل غيـر ذلك، وفيه الألواح وهي من درّ وياقوت وزبرجد، وأمّا البقيّـة فهي عصا مـوسى ورُضاضـة الألواح.

فحملته الملائكةُ وأتت به إلى طالوت نهـاراً بين السماء والأرض والنـاس ينظرون، فأخرجه طالوت إليهم، فأقرّوا بملكه ساخطين وخرجوا معـه كارهين، وهم ثمـانون ألفـاً. فلمّا خرجوا قال لهم طالوت: ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[4].

وهو نهر فلسطين، وقيل: الأردنّ.

فشربوا منه إلّا قليلاً، وهم أربعة آلاف، فمن شرب منه عطش، ومن لم يشرب منه إلّا غرفة روي، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُـوَ وَالَّذِينَ آمَنُـوا مَعَهُ﴾[4]. لقيهم جـالوت، وكـان ذا بأس شديد، فلمّا رأوه رجع أكثرهم و﴿قَالُوا لا طَاقَـةَ لَنَا اليَـوْمَ بِجَالُـوتَ وجُنُودِهِ﴾[4]، ولم يبقَ معه غير ثلاثمائة وبضعة عشر[5] عدد أهـل بدر، فلمّـا رجع مَنْ رجـع قالـوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ، وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[6].

وكان فيهم إيشى[7] أبو داود، ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابناً، وكان داود أصغر بنيه، وقد خلّفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام، وكان قد قـال لأبيه ذات يـوم: يا أبتـاه ما أرمي

بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل».

(١) الطبري ١/٤٦٨، تفسير الطبري ٥/٣١٩.

(٢) البقرة/٢٤٧.

(٣) البقرة/٢٤٨.

(٤) سورة البقرة/٢٤٩.

(٥) في تاريخ الطبري ١/٤٦٩ «وتسعة عشر عدّة أهل بدر». وفي عرائس المجالس ٢١٢: «ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً» وفي حديث البراء بن عازب: «ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً».

(٦) البقرة/٢٤٩.

(٧) في مرآة الزمان ١/٤٧٢ «إيشا بن عويد».

بقذّافتي شيئاً إلّا صرعتُهُ. ثمّ قال له: لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً فركبتَ عليه وأخذتُ بأذنيه فلم أخفه، ثمّ أتاه يوماً آخر فقال: إنّي لأمشي بين الجبال فأسبّح فلا يبقى جبل إلّا سبّح معي. قال له: أبشِر فإنّ هذا خيرٌ أعطاكه الله.

فأرسل الله إلى النبيّ الذي مع طالوت قرناً فيه دُهن وتَنّور من حديد، فبعث به إلى طالوت وقال له: إنّ صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدُهن على رأسه فيغلي حتى يسيل من القرن، ولا يجاوز رأسه إلى وجهه، ويبقى على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التنّور فيملأه. فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم، فلم يوافقه منهم أحد، فأحضر داود من رعيه، فمرّ في طريقه بثلاثة أحجار، فكلّمته وقلن: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت، فأخذهنّ فجعلهنّ في مخلاته.

وكان طالوت قد قال: مَنْ قتل جالوت زوّجتُه ابنتي وأجريت خاتمه في مملكتي.

فلمّا جاء داود وضعوا القرن على رأسه، فَغَلى حتى ادّهن منه ولبس التنّور فملأه، وكان داود مسقاماً أزرقَ مصفارّاً، فلمّا دخل في التنّور تضايق عليه حتى ملأه، وفرح اشمويل وطالوت وبنو إسرائيل بذلك، وتقدّموا إلى جالوت وتصافّوا للقتال، وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذّافته ورمى بها جالوت، فوقع الحجر بين عينيه فنقب[1] رأسه فقتله، ولم يزل الحجر يقتل كلّ مَن أصابه ينفذ منه إلى غيره، فانهزم عسكر جالوت بإذن الله، ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه في ملكه، فمال النّاس إلى داود وأحبّوه.

فحسده طالوت وأراد قتله غِيلةً، فعلم ذلك داود ففارقه وجعلِ في مضجعه زقّ خمر وسجّاه، ودخل طالوت إلى منام داود، وقد هرب داود، فضرب الزقّ ضربة خرقه، فوقعت قطرة من الخمر في فيه، فقال: يرحم الله داودَ ما كان أكثر شربَه الخمر[2]!.

فلمّا أصبح طالوت علم أنّه لم يصنع شيئاً، فخاف داود أن يغتاله فشدّد حجّابه وحرّاسه.

ثمّ إنّ داود أتاه من القابلة[3] في بيته وهو نائم، فوضع سهمَين عند رأسه وعند رِجلَيه[4]، فلمّا استيقظ طالوت بصُر بالسهام فقال: يرحم الله داود! هو خير منّي، ظفرتُ

---

(١) في النسخة (ر): «فثقب». والمعنى فَتّ. وفي طبعة صادر بالحاشية ١/٢٢٠ «فنقبت»، وهو يتفق مع الطبري ١/٤٧٣.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٧٢، ٤٧٣، وتفسير الطبري ٥/٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) في طبعة صادر ١/٢٢١ «المقابلة» وهو خطأ، والتصحيح من الطبري ١/٤٧٣.

(٤) في النسخة (ر): «عند رجليه ونزل».

به وأردتُ قتله، وظفر بي فكفَّ عنّي[1]. وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به.

وركب طالوت يوماً فرأى داودَ، فركض في أثره، فهرب داود منه واختفى في غارٍ في الجبل، فعمّى الله أثره على طالوت.

ثمّ إنّ طالوت قتل العلماء حتى لم يبقَ أحد إلّا امرأة كانت تعرف اسمَ الله الأعظم، فسلّمها إلى رجلٍ[2] يقتلها، فرحِمَها وتركها وأخفى أمرها.

ثمّ إنّ طالوت ندِم وأراد التوبة، وأقبل على البكاء حتى رحِمه النّاس، فكان كلّ ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ويقول: أنشد الله عبداً علم لي توبةً إلّا أخبرني بها. فلمّا أكثر ناداه منادٍ من القبور: يا طالوت أما رضيتَ قتلتَنا أحياءً حتى تؤذينا أمواتاً! فازداد بكاءً وحزناً، فرحمه الرجل الذي أمره[3] بقتل تلك المرأة فقال له: إن دللتُك على عالم لعلّك تقتله! قال: لا. فأخذ عليه العهود والمواثيق، ثمّ أخبره بتلك المرأة فقال: سلْها هل لي من توبة؟ فحضر عندها وسألها هل له من توبة؟ فقالت: ما أعلم له من توبة، ولكن هل تعلمون قبر نبيّ؟ قالوا: نعم، قبر يوشع بن نون. فانطلقت وهم معها، فدعت، فخرج يوشع، فلمّا رآهم قال: ما لكم؟ قالوا: جئنا نسألك هل لطالوت من توبة؟ قال: ما أعلم له توبة إلّا أن يتخلّى من ملكه، ويخرج هو وولده فيقاتلوا في سبيل الله، حتى تُقتل أولاده، ثمّ يقاتل هو حتى يُقتل، فعسى أن يكون له توبة. ثمّ سقط ميتاً.

ورجع طالوت أحزن ممّا كان، يخاف أن لا يتابعه ولده، فبكى حتى سقطت أشفار عينَيْه، ونَحَل جسمُه، فسأله بنوه عن حاله، فأخبرهم فتجهّزوا للغزو[4] فقاتلوا بين يديه حتى قُتلوا، ثمّ قاتل هو بعدهم حتى قُتل.

وقيل: إنّ النبيّ الذي بُعث لطالوت حتى أخبره بتوبته أَليَسَع.

وقيل: اشمويل، والله أعلم.

وكانت مدّة ملك طالوت إلى أن قُتل أربعين سنة[5].

---

(١) الطبري ١/٤٧٣.
(٢) كان خبّازاً، كما في تاريخ الطبري.
(٣) في النسختين (ت) و(ر): «وكله».
(٤) في النسخة (ر): «للغزو معه».
(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٧٣ ـ ٤٧٥ وانظر: تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١.

ذكر ملك داود[1]

هو داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون[2] بن عمّي نوذب[3] بن رام بن حصرون بن فارض[4] بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق[5].

وكان قصيراً أزرق قليلَ الشعر[6].

فلمّا قُتل طالوت أتَى بنو إسرائيل داودَ، فأعطوه خزائن طالوت وملّكوه عليهم.

وقيل: إنّ داود ملك قبل أن يُقتل جالوت[7]؛ وسبب ملكه حينئذٍ، أنّ الله أوصى إلى اشمويل ليأمر طالوت بغزو مَدْين وقتْل مَنْ بها، فسار إليها وقتل مَنْ بها إلاّ ملكهم، فإنّه أخذه أسيراً، فأوحى الله إلى اشمويل: قلْ لطالوت آمرك بأمر فتركتَه! لأنزعنّ الملك منك ومن بنيك، ثُمّ لا يعود فيكم إلى يوم القيامة، وأمر اشمويل بتمليك داود، فملّكه وسار إلى جالوت فقتله، والله أعلم.

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٧٦، تفسير الطبري ٥/٣٦٦، عرائس المجالس ٢١٦، ابن وثيمة ٩١، الكسائي ٣٥٨، تاريخ اليعقوبي ١/٥١، البدء والتاريخ ٣/١٠٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، المعارف لابن قتيبة ٤٥، تاريخ مختصر الدول ٣٠، أخبار الزمان للمسعودي ٨٧، مروج الذهب ١/٥٦، مرآة الزمان ١/٤٧٥، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٩٠، زاد المسير ١/٣٠٠، و٢/٤٠٥، ٤٠٦، و٥/٣٧١ - ٣٧٤ و٧/١١٠ - ١٢٤، الدرّ المنثور ٥/٢٩٧ - ٣٠٨، نهاية الأرب للنويري ١٤/٤٥، البداية والنهاية ٢/٩، تفسير ابن كثير ١/٥٣٧ - ٥٣٩ و٤/٥٧٥ - ٥٧٩ و٦/٥٠ - ٥٢، العهد القديم - سفر صموئيل الأول - الإصحاح ١٧/١٢ - ص ٤٥٤، تاريخ المنبجي ١/٧٥.

(٢) في الأصل «يحسون»، والتصحيح من الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري ١/٤٧٦ «نادب» بالدال المهملة.

(٤) في تاريخ الطبري «فارص» بالصاد المهملة.

(٥) راجع نسب داود عليه السلام في المصادر المذكورة بالحاشية (١).

(٦) أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٥ نسبه وصفته، فقال: أخبرنا الحسن بن محمد الإسفراييني، ثنا محمد بن محمد بن أحمد بن البراء، ثنا عبد المنعم بن ادريس، عن أبيه، عن وهب بن منبه قال: وكان نبي الله داود بن إيشا بن عويد بن باعر بن سلمون بن يحسون بن يارب بن رام بن حضرون بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وكان رجلاً قصيراً أزرق قليل الشعر، طاهر القلب، فقيهاً». وانظر: الطبري ١/٤٧٦.

(٧) الطبري ١/٤٧٨.

فلمّا ملك بني إسرائيل جعله الله نبيّاً وملكاً، وأنزل عليه الزَّبُور، وعلّمه صنعة الدروع، وهو أوّل مَنْ عملها، وألان له الحديد، وأمر الجبال والطير يسبّحون معه إذا سبّح، ولم يعطِ الله أحداً مثل صوته، كان إذا قرأ الزّبورَ تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وإنّها لَمُصِيخةٌ تسمع صوته.

وكان شديد الاجتهاد، كثير العبادة والبكاء، وكان يقوم اللّيل ويصوم نصف الدّهر[١]. وكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف[٢]، وكان يأكل من كسْب يده.

وفي ملكه مُسخ أهل أَيْلَة [٣] قِردة؛ وسبب ذلك أنّهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيراً، فإذا كان غير يوم السبت لا يجيء إليهم منها شيء، فعملوا على جانب البحر حياضاً كبيرة وأجروا إليها الماء، فإذا كان آخر نهار يوم الجمعة فتحوا[٤] الماء إلى الحياض فتدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها، فيأخذونها يوم الأحد، فنهاهم بعضُ أهلها فلم ينتهوا، فمسخهم الله قِردةً، وبقوا ثلاثة أيّام وهلكوا[٥].

ذكر فتنته بزوجة أوريّا

ثمّ إنّ الله ابتلاه بزوجة أوريّا.

وكان سبب ذلك أنّه قد قسم زمانه ثلاثة أيّام، يوماً يقضي فيه بين النّاس، ويوماً يخلو فيه للعبادة، ويوماً يخلو فيه مع نسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان يحسد[٦] فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: أي ربِّي أرى الخير قد ذهب به آبائي، فأعطني مثلَ ما أعطيتهم! فأوحى الله إليه: إنّ آباءك ابتُلوا ببلاء فصبروا، ابتُلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتُلي إسحاق بذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بحزنه على يوسف. فقال: ربِّ ابتَلِني بمثل ما ابتليتهم، وأعطني مثلَ ما أعطيتهم. فأوحى الله إليه: إنّك مبتلىً[٧] فاحترِسْ[٨].

---

(١) إلى هنا الخبر في تفسير الطبري ٢٣/٨٦.

(٢) الطبري ١/٤٧٩.

(٣) أَيْلَة: بالفتح. مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مما يلي الشام. وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان ١/٢٩٢) وهي الآن ميناء العقبة الأردني.

(٤) في النسخة (ر): «يتحول» بدل «فتحوا».

(٥) الخبر مطوّلاً في عرائس المجالس ٢٢٦، ٢٢٧.

(٦) في النسخ: (ب) و(ت) و(ر): «يحد». والمثبت عن النسخة الأوربية. وفي تاريخ الطبري ١/٤٧٩ «وكان فيما يقرأ من الكتب يجد فيه فضل إبراهيم..»

وما في تاريخ الطبري يتفق مع ما في «المستدرك على الصحيحين» للحاكم ٢/٥٨٦.

(٧) في النسخة الأوربية «مبتل»، والتصحيح من «المستدرك» ومن طبعة صادر ١/٢٢٤.

(٨) الطبري ١/٤٧٩، ٤٨٠، والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق أحمد بن نصر، عن عمرو بن طلحة، عن أسباط، عن السُّدّي (٢/٥٨٦).

وقيل: كان سبب البليّة أنّه حدّث نفسه أنّه يطيق أن يقطع يوماً بغير مقارفة سوء، فلمّا كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على أن يقطع ذلك اليوم بغير سوء، وأغلق بابه وأقبل على العبادة، فإذا هو بحمامةٍ من ذهب، فيها كلّ لون حَسَن، قد وقعت بين يديه، فأهوى ليأخذها، فطارت غير بعيدٍ من غير أن ييأس من أخْذها، فما زال يتبعها وهي تفرّ منه، حتى أشرف على امرأةٍ تغتسل، فأعجبه حُسنُها، فلمّا رأت ظلّه في الأرض جلّلت نفسها بشعرها فاستترت به، فزاده ذلك رغبةً، فسأل عنها، فأُخبر أنّ زوجها بثغر كذا، فبعث إلى صاحب الثغر بأن يقدّم أوريّا بين يدي التابوت في الحرب، وكان كلّ مَنْ يتقدّم بين يديّ التابوت لا ينهزم، إمّا أن يظفر أو يُقْتَل، ففعل ذلك به فقُتل[1].

وقيل[2]: إنّ داود لما نظر إلى المرأة فأعجبته، سأل عن زوجها، فقيل: إنّه في جيش كذا، فكتب إلى صاحب الجيش أن يبعثه في سريّة إلى عدوّ كذا، ففعل ذلك، ففتح الله عليه، فكتب إلى داود، فأمر [داود] أن يُرسل[3] أيضاً إلى عدوّ كذا أشدّ منه، ففعل، فظفر، فأمر داود أن يُرسل إلى عدوّ ثالث، ففعل، فقُتل أوريّا في المرّة الثالثة، فلمّا قُتل تزوّج داود امرأته.

وهي أمّ سليمان في قول قتادة[4].

وقيل: إنّ خطيئة داود كانت، أنّه لما بلغه حُسْن امرأة أوريّا تمنّى[5] أن تكون له حلالاً، فاتّفق أنّ أوريّا سار إلى الجهاد، فقُتل، فلم يجد له من الهمّ ما وجده لغيره، فبينما داود في المحراب يوم عبادته، وقد أغلق الباب، إذ دخل عليه مَلَكان أرسلهما الله إليه من غير الباب، فراعه ذلك فقالا: ﴿**لا تَخَفْ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالحَقّ**[6]، **إنّ هَذا أخي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ، فَقَالَ: أكْفِلْنِيهَا وَعَزّني في الخِطَابِ**﴾[7]، أي قهرني، وأخذ نعجتي[8]، فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق، إنّي أردتُ أن أُكمل نعاجي مائة، فأخذتُ نعجته. فقال داود: إذاً لا ندعك

---

(١) الطبري ١/٤٨٢ و٤٨٣ ومرآة الزمان ١/٤٨٠، والمستدرك ٢/٥٨٦، ٥٨٧.

(٢) الخبر في عرائس المجالس ٢٢٠.

(٣) في النسخة الأوربية «يرسله»، والمثبت من نسخة صادر ١/٢٢٥.

(٤) عرائس المجالس ٢٢٠، وانظر العهد القديم ـ سفر صموئيل الثاني ـ الإصحاح ١١/٢ ـ ص ٤٩٨.

(٥) في النسخة الأوربية «فتمنّى»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٢٥.

(٦) في النسخة (ر): «بالحق ولا تشطط» وهو يتفق مع ما في «المستدرك».

(٧) ص/٢٢ ـ ٢٣.

(٨) قال الثعلبي: «وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيراً، وتورّي عن النساء وتكني عنها بألقابٍ كالظباء والنعاج والبقر، وهو كثير فاشٍ في أشعارهم». (عرائس المجالس ٢٢١).

وذاك، فقال الملك: ما أنت بقادر عليه. قال داود: فإن لم تردّ عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا، وأومأ إلى أنفه وجبهته. قال: يا داود أنتَ أحقّ أن يُضْرب منك هـذا وهذا، حيث لك تسعٌ وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريّا إلّا امرأة واحدة، فلم تزل به حتى قُتل وتـزوّجت امرأته. ثمّ غابا عنه[1].

فعرف ما ابتُلي به وما وقع فيه، فخرّ ساجداً أربعين يوماً، لا يرفع رأسه إلّا لحاجةٍ لا بدَّ منها، وأدام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطّى رأسه، ثمّ نادى: يا ربّ قَرِح الجبينُ، وَجَمَدَت العينُ، وداود لم يُرجَع إليه في خطيئته بشيء. فنودي: أجائع فتطعَم، أم مريضٌ فتُشفَى[2] أم مظلوم فتُنصر؟ قال: فنحِب نَحْبةً هاج ما كان نَبَت[3]، فعند ذلك قبل الله توبته[4]. وأوحى إليه: ارفع رأسك فقد غفرتُ لك. قال: يا ربّ كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لي؟ وأنتَ حَكَم عدْل لا تحيف في القضاء، إذا جاء أوريّا يوم القيامَة آخذاً رأسَه بيمينه، تشخب أوداجُه دماً قِبَلَ عرشك يقول: يا ربّ سلْ هذا فيمَ قتلني. فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دَعَوْتُه وأستوهِبك منه، فيهبك لي، فأهبه بذلك الجنّة. قال: يا ربّ الآن علمتُ أنّك قد غفرتَ لي.

قال: فما استطاعَ داود بعدها أن يملأ عينه من السماء حياءً من ربّه حتى قُبض. ونقش خطيئته في يده، فكان إذا رآها اضطربت يده، وكان يؤتى بالشراب في الإناء ليشربه، فكان يشرب نصفه أو ثُلُثَيْه فيذكر خطيئته، فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضُها من بعض، ثمّ يملأ الإناء من دموعه.

وكان يقال: إنّ دمعة داود تعدِل دموع الخلائق، وهو يجيء يوم القيامة وخطيئته مكتوبةٌ بكفّه فيقول: يا ربّ ذنبي قدِّمني، فيُقدَّم، فلا يأمن فيقول: يا ربّ أخّرني، فلا يأمن[5].

وأزالت الخطيئة طاعةَ داود عن بني إسرائيل، واستخفّوا بأمره، ووثب عليه ابن له يقال له إيشى، وأمّه ابنة طالوت، فدعا إلى نفسه، فكثر أتباعُه من أهل الزَّيغ من بني إسرائيل، فلمّا تابَ الله على داود اجتمع إليه طائفة من النّاس، فحارب ابنه حتى هزمه،

---

(١) عرائس المجالس ٢٢١ وانظر، العهد القديم - سفر صموئيل الثاني - الإصحاح ١٢، وتفسير الطبري ٩٤/٢٣، ٩٥

(٢) في النسخة الأوربية «فتسقى»، والتصويب من تاريخ الطبري وطبعة صادر.

(٣) في الأصل «بيت» وهو تحريف. والمثبت يتفق مع الطبري.

(٤) إلى هنا الخبر في تاريخ الطبري ٤٨٣/١.

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ٤٨٣/١، وتفسير الطبري ٩٦/٢٣ وانظر عرائس المجالس ٢٢٥.

ووجّه إليه بعض قوّاده وأمره بالرّفق بـه والتلطّف لعلّه يأسـره ولا يقتله، وطلبه القـائد وهـو منهزم فاضطّره إلى شجرة فقتله، فحزن عليه داود حزناً شديداً وتنكّر لذلك القائد[1].

ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود، عليه السلام

قيـل: أصاب النّـاسَ في زمان داود طـاعونٌ جـارف، فخـرج بهم إلى مـوضع بيت المقدس، وكان يرى الملائكة تعرج منه إلى السماء، فلهذا قصده ليـدعو فيـه، فلمّا وقف موضعُ الصخرة دعا اللَّهَ تعالى في كشف الطاعون عنهم، فاستجـابَ له ورفـع الطاعـون، فاتّخذوا ذلك الموضعَ مسجداً، وكان الشروع في بنائه لإحدى عشر سنة مضت من ملكه، وتـوفّي قبل أن يستتمّ بناءَه، وأوصى إلى سليمان بـإتمامـه وقتْل القـائـد الـذي قتـل أخـاه إيشى بن داود[2].

فلمّـا توفّي داود ودَفَنـه سليمـان، تقـدّم بـإنفـاذ أمـره، فقتـل القـائـدَ، واستتمّ بنـاءَ المسجد، بناه بالرخام وزَخْرَفَه بالذّهب ورصّعه بالجواهر، وقوي على ذلك جميعه بـالجنّ والشياطين، فلمّا فرغ اتخذ ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرّب قربانـاً، فتقبّله[3] الله منه، وكـان ابتداؤه أوّلاً ببناء المدينة، فلمّا فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد، وقـد أكثر النّـاس في صفة البناء ممّا يُستبعد ولا حاجة إلى ذكره.

وقيل: إنّ سليمان هو الذي ابتدأ بعمارة المسجـد، وكان داود أراد أن يبنيـه فأوحى الله إليه: إنّ هذا بيت مقدّس، وإنّك قد صبغتَ يدك في الدماء فلستَ ببانيه، ولكنّ ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدّماء. فلمّا ملك سليمان بناه[4].

ثمّ إنّ داود توفّي، وكان له جارية تغلق الأبواب كلّ ليلة وتأتيه بالمفـاتيحَ فيقـوم إلى عبادته، فأغلقتها ليلةً، فرأت في الدار رجـلاً فقالتْ: مَنْ أدخلك الـدار؟ فقال: أنـا الذي أدخل على الملوك بغير إذن. فسمع داود قوله فقال: أنتَ مَلَكُ الموت؟ قال: نعم. قال: فهلاّ أرسلتَ إليّ لأستعدّ للموت؟ قال: قد أرسلتُ إليك كثيـراً. قال: مَنْ كـان رسولـكَ؟ قال: أين أبوكَ وأخوكَ وجارُك ومعارفُك؟ قال: ماتـوا. قال: فهم كـانوا رسلي إليـك لأنّك تموتُ كما ماتوا! ثمّ قبضه[5]. فلمّا مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوّته[6].

---

(١) تاريخ الطبري ١/٤٨٤، عرائس المجالس ٢٢٦.

(٢) الطبري ١/٤٨٤، ٤٨٥، مرآة الزمان ١/٤٨٩.

(٣) في النسخة (ر): «فقبله».

(٤) الطبري ١/٤٨٥.

(٥) الخبر في عرائس المجالس ٢٢٩، ٢٣٠، وقد أخرج الإمام أحمد نحوه في المسند ٢/٤١٩.

(٦) عرائس المجالس ٢٣٠.

وكان له تسعة عشر ولداً[1]، فورثه سليمان دونهم.

وكان عمر داود لما توفّي مائة سنة[2]، صحّ ذلك عن النبيّ، ﷺ، وكانت مـدّة ملكه أربعين سنة[3].

---

(١) عرائس المجالس ٢٣٠.

(٢) الطبري ١/٤٨٥ وفي تاريخ اليعقوبي ١/٥٦ (١٢٠ سنة).

(٣) الطبري ١/٤٨٥، عرائس المجالس ٢٣٠، تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١، تاريخ اليعقوبي ١/٥٦.

ذِكْر مُلْك سليمان بن داود عليه السلام(1)

لما تُوفّي داود ملك بعده ابنُه سليمان على بني إسرائيل، وكان ابن ثلاث عشرة سنة، وآتاه [الله] مع الملك النُّبُوَّة، وسأل الله أن يؤتيه(2) ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجابَ له(3)، وسخّر له الإنس والجنّ والشياطين والطير والريح(4)، فكان إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الإنس والجنّ حتى يجلس(5).

وقيل: إنّما سخّر له الريح والجنّ والشياطين والطير وغير ذلك، بعد أن زال ملكه، وأعاده الله سبحانه إليه، على ما نذكره.

وكان أبيض جسيماً، كثير الشعر، يلبس البياض، وكان أبوه يستشيره في حياته ويرجع إلى قوله(6)، فمن ذلك ما قصّه الله في كتابه في قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾(7)؛ الآية.

وكان خبره: أنّ غنماً دخلت كرْماً فأكلت عناقيده وأفسدته، فقضى داود بالغنم لصاحب الكرْم. فقال سليمان: أوَغير ذلك، أن تسلّم الكرْم إلى صاحب الغَنَم، فيقوم

---

(1) تاريخ الطبري ١/٤٨٦، تفسير الطبري ٢٢/٤٨، عرائس المجالس ٢٣٠، المعارف ٤٦، ٤٧، تاريخ اليعقوبي ١/٥٧، تاريخ سِنيّ ملوك الأرض ٨١، البدء والتاريخ ٣/١٠٣، مروج الذهب ١/٥٧، تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٣١، المستدرك على الصحيحين ٢/٥٨٧، تلخيص المستدرك للذهبي ٢/٥٨٧، زاد المسير ٥/٣٧١ ـ ٣٧٥ و٦/١٥٩ ـ ١٨٠، ٤٣٨ ـ ٢٤٢، الدرّ المنثور ١/٩٥ و ٤/٣٢٤ و ٥/١٠٣، ٢٢٧، ٣٠٨، ابن وثيمة ١٢٧، الكسائي ٢٦٧، مرآة الزمان ١/٤٩٨، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٢٥٢، نهاية الأرب ١٤/٧٦، البداية والنهاية ٢/١٨، العهد القديم ـ سفر الملوك الأول ـ الإصحاح الأول ـ ص ٥٢٨، تاريخ المنبجي ١/٧٧.

(2) في النسخة الأوربية «يأتيه».

(3) الطبري ١/٤٨٦.

(4) أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٥٨٩ من طريق ابن إسحاق، عن الزهري، عن الشعبي، حديثاً فيه «فسخّر له الجنّ والإنس والطير والريح».

(5) الطبري ١/٤٨٦.

(6) الطبري ١/٤٨٦، مرآة الزمان ١/٤٩٨.

(7) الأنبياء/٧٨.

عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرْم، فيصيب منها إلى أن يعود كرمه إلى حاله، ثمّ يأخذ كرمه ويدفع الغنم إلى صاحبها. فأمضى داود قوله. وقال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[1].

قال بعض العلماء: في هذا دليل على أنّ كلّ مجتهد في الأحكام الفروعيّة مصيب، فإنّ داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى، وأصابه سليمان، فقال الله تعالى: ﴿وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾[1].

وكان سليمان يأكل من كسْب يده، وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزوَ أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره، ويركبون عليه هم ودوابّهم وما يحتاجون إليه، ثمّ أمر الريح فحملته، فسارت في غدوته مسيرةَ شهر، وفي رَوْحَته كذلك[2].

وكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سُرّيّة، وأعطاه الله أجراً[3]، أنّه لا يتكلّم أحد بشيء إلّا حملته الريح إليه، فيعلم ما يقول[4].

ذكر ما جرى له مع بِلقيس

نذكر أوّلاً ما قيل في نسبها ومُلْكها، ثمّ ما جرى له معها، فنقول: قد اختلف العلماء في اسم آبائها.

فقيل: إنّها[5] هي بلقمة ابنة ليشرح[6] بن الحارث بن قيس بن صيفيّ بن سبأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان.

وقيل: هي بلقمة ابنة هادد[7]، واسمه ليشرح بن تُبّع ذي الأذعار[8] بن تُبّع ذي المنار بن تُبّع الرايش[9].

وقيل في نسبها غير ذلك لا حاجة إلى ذِكره.

---

(١) قرآن كريم - سورة الأنبياء/ ٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ١/ ٤٨٧، عرائس المجالس ٢٣٠، ٢٣١، مرآة الزمان ١/ ٤٩٨.

(٣) في النسخة (ب): «خيراً».

(٤) الطبري ١/ ٤٨٨، عرائس المجالس ٢٣١.

(٥) في النسخة الأوربية «إن»، والمثبت عن طبعة صادر ١/ ٢٣٠.

(٦) في تاريخ الطبري ١/ ٤٨٩ «يلمقة ابنة اليشرح»، وقيل «ابنة أيلي شرح». وفي النسخة (ر): «ابنة أنيشرح».

(٧) في النسخة (ب) «الهندباد»، وفي النسخة (ت) «هاد ساد»، وفي النسخة (ر) «ابنة الهدهاد»، وفي البدء والتاريخ ٣/ ١٠٨ «بنت هدّاد».

(٨) في النسخة الأوربية «الأعذار»، والتصحيح من طبعة صادر.

(٩) في البدء والتاريخ «هدّاد بن شراحيل بن عمرو بن الحارث بن الرياش» (١٠٨/٣).

وقد اختلف النّاس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض، وزيادة في عددهم ونقصان، اختلافاً[1] لا يحصل الناظر فيه على طائل، وكذا أيضاً اختلفوا في نسبها اختلافاً كثيراً.

وقال كثير من الرُّواة: إنّ أمّها جنّيّة ابنة ملك الجنّ، واسمها رواحة بنت السكن[*].

وقيل: اسم أمّها يلقمة بنت عمرو بن عُمَير الجنّيّ، وإنّما نكح أبوها إلى الجنّ لأنّه قال: ليس في الإنس لي كفوة، فخطب إلى الجنّ، فزوّجوه.

واختلفوا في سبب وصوله إلى الجنّ حتى خطب إليهم فقيل: إنّه كان لَهِجاً بالصيد، فربّما اصطاد الجنّ على صُوَر الظّباء، فيخلّي عنهنّ، فظهر له ملك الجنّ وشكره على ذلك واتّخذه صديقاً، فخطب ابنته، فأنكحه على أن يعطيه ساحلَ البحر[2] ما بين يَبْرين[3] إلى عدن.

وقيل: إنّ أباها خرج يوماً متصيّداً، فرأى حيّتَين تقتتلان، بيضاء وسوداء، وقد ظهرت السوداء على البيضاء، فأمر بقتل السوداء، وحمل البيضاء وصبّ عليها ماء، فأفاقت، فأطلقها وعاد إلى داره، وجلس منفرداً، وإذا معه شابّ جميل، فذعر منه، فقال له: لا تخف أنا الحيّة التي أنجيتني، والأسود الذي قتلتَه غلامٌ لنا تمرّد علينا وقتل عدّة من أهل بيتي؛ وعرض عليه المال[4] وعلم الطبّ، فقال: أمّا المال فلا حاجة لي به، وأمّا الطبّ فهو قبيح بالملك، ولكن إن كان لك بنت فزوّجنيها، فزوّجه على شرط أن لا يغيّر عليها شيئاً تعمله، ومتى غيّر عليها فارقته، فأجابه إلى ذلك، فحملت منه[5]، فولدت له غلاماً، فألقته في النّار، فجزع لذلك وسكت للشرط، ثمّ حملت منه، فولدت جاريةً، فألقتها إلى كلبة فأخذتها، فعظُم ذلك عليه وصبر للشرط، ثمّ إنّه عصى عليه بعض أصحابه، فجمع عسكره، فسار إليه ليقاتله وهي معه، فانتهَى إلى مفازة، فلمّا توسّطها

---

(١) في النسخة الأوربية «اختلافاتهم»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣١.

(*) في الطبعة الأوربية وطبعة صادر ١/٢٣١ «السكر»، والتصحيح من مرآة الزمان ١/٥١٥.

(٢) في النسخة (ب) و(ت) و(ر): «الشحر».

(٣) في النسخة (ب): «هرمز».

وَيْبرِين: بالفتح ثم السكون، وكسر الراء. قيل هو رمل لا تُدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حَجْر اليمامة. وقال السكري: يبرين بأعلى بلاد بني سعد. وفي كتاب نصر: يبرِين من أصقاع البحرين. (معجم البلدان ٥/٤٢٧).

(٤) في الطبعة الأوربية «وعرض على أبيها المال»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣١.

وانظر الخبر باختصار في مروج الذهب ٢/٧٥، ومرآة الزمان ١/٥١٥

(٥) في الطبعة الأوربية «إليه»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٢.

رأى جميع ما معهم من الزاد يُخلط بالتراب، وإذا الماء يُصبّ من القِرَب والمَزَاوِد، فأيقنوا بالهلاك، وعلموا أنّه من فعال الجنّ عن أمر زوجته، فضاق ذرعاً عن حمل ذلك، فأتاها وجلس وأومأ إلى الأرض وقال: يا أرض صبرتُ لكِ على إحراق ابني وإطعام الكلبة ابنتي، ثمّ أنتِ الآن قد فجعتنا[1] بالزاد والماء، وقد أشرفنا على الهلاك!.

فقالت المرأة: لو صبرتَ لكان خيراً لك، وسأخبرك: إنّ عدوّك خدع وزيرك، فجعل السمّ في الأزواد والمياه ليقتلك وأصحابك، فمُرْ وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد، فأمره فامتنع، فقتله.

ودلّتهم على الماء والميرة من قريب وقالت: أمّا ابنك فدفعتُه إلى حاضنة تربّيه وقد مات، وأمّا ابنتك فهي باقية، وإذا بجُوَيرية قد خرجت من الأرض، وهي بلقيس، وفارقته امرأتُه، وسار إلى عدوّه فظفر به.

وقيل في سبب نكاحه إليهم غير ذلك، والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة.

وأمّا ملْكها اليمن فقيل: إنّ أباها فوّض إليها المُلك فملكت بعده.

وقيل: بل مات من غير وصيّة بالملك لأحد. فأقام النّاس[2] ابن أخ له، وكان فاحشاً خبيثاً فاسقاً، لا يبلغه عن بنت قَيْل ولا ملك ذات جمال إلّا أحضرها وفضحها، حتى انتهَى إلى بلقيس بنت عمّه، فأراد ذلك منها، فوعدته أن يحضر عندها إلى قصرها، وأعدّت له رجلَين من أقاربها، وأمرتهما بقتله إذا دخل إليها وانفرد بها، فلمّا دخل إليها وثبا عليه فقتلاه، فلمّا قُتل أحضرت وزراءَه فقرّعتهم فقالت: أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته! ثمّ أرتهم إيّاه قتيلاً وقالت: اختاروا رجلاً تملّكونه. فقالوا: لا نرضى بغيرك؛ فملّكوها.

وقيل: إنّ أباها لم يكن ملكاً وإنّما كان وزير الملك، وكان الملك خبيثاً، قبيح السيرة يأخذ بنات الأقيال والأعيان والأشراف، وأنّها قتلته، فملّكها النّاس عليهم.

وكذلك أيضاً عظّموا ملكها وكثرة جندها فقيل: كان[3] تحت يدها أربعمائة ملك، كلّ ملك منهم على كورة، مع كلّ ملك منهم أربعة آلاف مقاتل، وكان لها ثلاثمائة وزير يدبّرون ملكها، وكان لها اثنا عشر قائداً، يقود كلّ قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل.

---

(١) في الطبعة الأوربية «فجعتينا»، والتصحيح من طبعة صادر.

(٢) في النسخة (ت): «فملك الجند»

(٣) في الطبعة الأوربية «كانت» والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٣.

وبالغ آخرون مبالغةً تدلّ على سخف عقولهم وجهلم، قالوا: كان لها اثنا عشر ألف قَيْل[1]، تحت يد كلّ قَيْل مائة ألف مقاتل، مع كلّ مقاتل سبعون ألف جيش، في كلّ جيش سبعون ألف مبارز[2]، ليس فيهم إلّا أبناء خمسٍ وعشرين سنة، وما أظنّ الساعةَ راويَ هذا الكذِب الفاحش عرف الحسابَ حتى يعلم مقدارَ جهله، ولو عرف مبلغ العدد لأقصر عن إقدامه على هذا القول السخيف، فإنّ أهل الأرض لا يبلغون جميعهم، شبابهُم وشيوخُهم وصبيانُهم ونساؤهم هذا العدد، فكيف أن يكونوا أبناء خمسٍ وعشرين سنة! فيا ليت شِعري كم يكون غيرهم ممّن ليس من أسنانهم، وكم تكون الرعيّة وأرباب الحِرَف والفلاحة وغير ذلك، وإنّما الجند بعض أهل البلاد، وإن كان الحاصل من اليمن قد قلّ في زماننا فإنّ رقعة أرضه لم تصغر، وهي لا تسع هذا العدد قياماً كلّ واحد إلى جانب الآخر.

ثمّ إنّهم قالوا: أنفقتْ على كوّة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلاثمائة ألف أوقيّة من الذهب، وقالوا غير ذلك، وذكروا من أمر[3] عرشها ما يناسب كثرَة جيشها، فلا نطوِّل بذِكره.

وقد تواطأُوا على الكذِب والتلاعب بعقول الجُهّال، واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم، وإنّما ذكرنا هذا على قبحه ليقف بعض مَن كان يصدق به عليه فينتهي إلى الحقّ.

وأمّا سبب مجيئها إلى سليمان وإسلامها، فإنّه طلب الهُدْهُد فلم يره، وإنّما طلبه لأنّ الهدهد يرى الماء من تحت الأرض، فيعلم هل في تلك الأرض ماءً أم لا، وهل هو قريبٌ أم بعيد، فبينما سليمان في بعض مغازيه احتاج[4] إلى الماء، فلم يعلم أحد ممّن معه بُعده، فطلب الهدهدَ ليسأله عن ذلك فلم يره.

وقيل: بل نزلت الشمس إلى سليمان، فنظر ليرى من أين نزلت، لأنّ الطير كانت تظلّه، فرأى موضع الهدهد فارغاً، فقال: ﴿**لَأُعَذِّبَنَّه عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾[5].

---

(١) في النسختين (ب) و(ت): «قايد»، وهو تصحيف. وانظر الخبر في عرائس المجالس ٢٤٥. وعن «القيْل» أنظر: الروض الأنف للسهيلي ١/٤٣، ٤٤.

(٢) في عملية حسابية يتبيّن أن الرقم الإجمالي هو: ....٥,٨٨٠ وهذا رقم خيالي، وقد أصاب المؤلف في نقده.

(٣) في النسخة (ت): «عظم»، والمثبت من طبعة صادر.

(٤) في الطبعة الأوربية «فاحتاج»، والمثبت من طبعة صادر.

(٥) النمل/٢١، والخبر باختصار عن تاريخ الطبري ١/٤٨٩، ٤٩٠.

وكان الهدهد قد مرّ على قصر بلقيس فرأى بستاناً لها خلف قصرها، فمال إلى الخضرة، فرأى فيه هدهداً فقال له: أين أنت عن سليمان وما تصنع هاهنا؟ فقال له: ومَنْ سليمان؟ فذكر له حاله، وما سُخّر له من الطير وغيره، فعجب من ذلك. فقال له هدهد سليمان: وأعجب من ذلك أنّ كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة **﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾**[1]، وجعلوا الشكر لله أن سجدوا للشمس من دونه[2].

وكان عرشها سريراً من ذهب مكلّل بالجواهر النفيسة من اليَواقيت والزبرجد واللّؤلؤ[3].

ثمّ إنّ الهدهد عاد إلى سليمان فأخبره بعذره في تأخيره، فقال له: اذهب بكتابي هذا فَأَلْقِهْ إليها، فوافاها وهي في قصرها، فألقاه في حجْرها، فأخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت: **﴿إنّي أُلْقِيَ إليَّ كِتابٌ كَرِيمٌ، إنّهُ مِنْ سُلَيْمانَ، وَإنّهُ بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ألاّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**[4] **﴿يا أيُّها المَلأُ... ما كُنْتُ قاطِعَةً أمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾**[5].

﴿قَالُوا: نَحْنُ أُولُوا قُوّةٍ وَأُولُوا بَأسٍ شَدِيدٍ، وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[6]. قَالَتْ: **﴿إنّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾**[7] فإن قبلها فهو من ملوك الدنيا، فنحن أعزّ منه وأقوى، وإنْ لم يقبلْها فهو نبيّ من الله[8].

فلمّا جاءت الهديّة إلى سليمان قال للرُسُل: **﴿أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمّا آتَاكُمْ ـ إلى قوله: ـ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**[9]؛ فلمّا رجع الرّسلُ إليها سارت إليه، وأخذت معها الأقْيال من قومها، وهم القوّاد، وقدِمَتْ عليه، فلمّا قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لأصحابه: **﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ؟ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ**

---

(١) النمل/٢٣.
(٢) الخبر إلى هنا في تاريخ الطبري ١/٤٩٠.
(٣) أنظر: عرائس المجالس ٢٤٧.
(٤) النمل/٢٩ ـ ٣١.
(٥) النمل/٣٢.
(٦) النمل/٣٣.
(٧) النمل/٣٥.
وفي النسخة (ر) تكملة للآية الكريمة: «فناظرة بم يرجع المرسلون».
(٨) الطبري ١/٤٩١.
(٩) النمل/٣٦ ـ ٣٧.

الجِنّ: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾[1]، يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقصد فيه بيتك للغداء. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. فـ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ ـ وهو آصف بن برخيّا، وكان يعرف اسم الله الأعظم ـ: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[2]، وقال له: انظر إلى السماء وأدمِ النَّظَرَ، فلا تردّ طرفك حتى أُحْضِره[3] عندك. وسجد ودعا، فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره، فقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ﴾[4] إذ أتاني به قبل أن يرتدّ إليّ طرْفي ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾[4]، إذ جعل تحت يدي من هو أقدر منّي على إحضاره.

فلمّا جاءت قيل: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ قَالَتْ: كَأَنَّهُ هُوَ﴾[5] ولقد تركتُه في حصون، وعنده جنوده تحفظه، فكيف جاء إلى هاهنا؟.

فقال سليمان للشياطين: ابنوا لي صرحاً تدخل عليّ فيه بِلْقيس. فقال بعضهم: إنّ سليمان قد سُخّر له ما سُخّر، وبِلقيس ملكة سبأ ينكحها، فتلد غلاماً، فلا ننفكّ من العبوديّة أبداً، وكانت امرأة شَعْراء الساقين، فقال للشياطين: ابنوا له بنياناً[6] يرى ذلك منها، فلا يتزوّجها، فبنوا له صَرْحاً من قوارير خُضْرٍ[7]، وجعلوا له طوابيق من قوارير بِيض[8]، فبقي كأنّه الماء، وجعلوا تحت الطوابيق صُوَر دوابّ البحر من السمك وغيره، وقعد سليمان على كرسيّ، ثمّ أمر فأُدخِلَت بلقيس عليه، فلمّا أرادت أن تدخله ورأت صُوَر السمك ودوابّ الماء حَسِبَتْه[9] لجّةَ ماءٍ، فكشفت عن ساقيها لتدخل، فلمّا رآها سليمان صرف نظره عنها و ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ، قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[10].

فاستشار سليمانُ في شيءٍ يزيل الشعرَ ولا يضرّ الجسدَ، فعمل له الشياطين النُّورة، فهي أوّل ما عملت النُّورة[11].

---

(١) النمل/٣٨ ـ ٣٩.
(٢) النمل/٤٠.
(٣) في النسخة الأوربية «أحضر»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٦
(٤) النمل/٤٠.
(٥) النمل/٤٢.
(٦) في النسختين (ب) و(ت): «بيتاً»، والمثبت من نسخة (ر)، وهو يتفق مع الطبري ١/٤٩٣.
(٧) في الطبعة الأوربية «أخضر»، والتصحيح من طبعة صادر ١/٢٣٧.
(٨) في الطبعة الأوربية «أبيض».
(٩) في الطبعة الأوربية «فحسبته».
(١٠)النمل/٤٤.
(١١)الطبري ١/٤٩٣، ٤٩٤ وانظر عرائس المجالس ٢٥٣.

ونكحها سليمان وأحبّها حبّاً شديداً، وردّهـا إلى مُلكها بـاليمن، فكان يـزورها كـلّ شهر مرّة، يقيم عندها ثلاثة أيّام[1].

وقيل: إنّه أمـرها أن تنكِـحَ رجلاً من قـومها، فـامتنعت وأَنِفَت من ذلك، فقـال: لا يكون في الإسلام إلاّ ذلك. فقالت: إن كان لا بدّ من ذلك فزوّجْني ذا تُبَّع ملك هَمْدان، فزوّجه إيّاها ثمّ ردّهـا إلى اليمن، وسلّط زوجها ذا تُبَّـع على الملك، وأمر الجنّ من أهـل اليمن بـطاعتـه، فـاستعملهم ذو تبّـع، فعملوا لـه عـدّة حصـون بـاليمن، منهـا سُلْحين[2] ومراوح[3] وفليون[4] وهُنَيْدَة وغيرهما[5]، فلمّا مات سليمان لم يطيعوا ذا تُبَّع. وانقضى مُلك ذي تُبّع ومُلك بِلقيس مع مُلك سليمان[6].

وقيل: إنّ بِلقيس[7] ماتت قبل سليمان بالشام، وإنّه دفنها بتَدْمُرْ، وأخفَى قبرها.

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعَوْده إليه

قيل: سمع سليمان بملكٍ في جزيرة من جزائر البحر، وشـدّة ملكه وعِـظَم شأنـه، ولم يكن للنّاس إليه سبيل، فخرج سليمـان إلى تلك الجزيـرة، وحملته الـريح حتى نـزل بجنـوده بها، فقتـل ملكها، وغنم مـا فيهـا، وغنم بنتـاً للملك لم يـرَ النّـاس مثلهـا حُسنـاً وجمالاً، فاصطفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على قلّة رغبةٍ فيه، وأحبّها حبّاً شديداً، وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكي، فقال لها: ويحك ما هذا الحزن والدمـع الذي لا يرقأ؟ قالت: إنّي أذكر أبي وملكه وما أصابه، فيُحزنني ذلـك. قال: فقـد أبدلـكِ الله مُلْكـاً خيراً من ملكـه، وهداك إلى الإسـلام. قالت: إنّـه كذلـك، ولكنّي إذا ذكـرتُـه أصـابني ما تـرى، فلو أمرتَ الشيـاطين فصوّروا صـورته في داري، أراهـا بُكرةً وعشيّـة، لرجوتُ أن يُذهِب ذلك حزني.

---

(١) عرائس المجالس ٢٥٣.

(٢) في الطبعة الأوربية «سلخين»، والتصحيح من معجم البلدان ٣/٢٣٥ حيث قـال: بفتح أولـه، وسكون ثـانيه ثم حاء مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ساكنة وآخره نون. حصن عظيم بأرض اليمن كـان للتبابعـة ملوك اليمن..

(٣) في تـاريخ الـطبري ١/٤٩٥ «مـراح»، وفي معجم البلدان «مرواح»، ولم يُفْـرد له مـادّة، بل ذكـره في مـادّة «سَلْحِين» (٣/٢٣٥).

(٤) في تاريخ الطبري ومعجم البلدان ٣/٢٣٥ «بَيْنون».

(٥) راجع الطبري ١/٤٩٥ ومعجم البلدان ٣/٢٣٥ و ٥/٤١٩.

(٦) الطبري ١/٤٩٥، عرائس المجالس ٢٥٣.

(٧) في النسخة (ر): «وقيل بل بقيا».